١١٠٧

دار م. النحاس

كبير

1107

HARLEQUIN

معركة التملك

شارلوت لامب

www.elromancia.com

مـــرمـــوريـــة

معركة التملك

شارلوت لامب

(كانا على خلاف...)

(في العمل وفي الحب...)

كان دانيال بروني مدير مكتب الشؤون الأجنبية في صحيفة سنتنال، رجلاً لا يطاق بشكل لم تر روز مثله في حياتها. فهو عنيد الرأي، والأسوأ من كل ذلك، كان رئيسها في العمل.

فلماذا تجد نفسها منجذبة إليه؟ ولماذا أصبحت مشاجراتهما مكشوفة لزملائهما في المكتب كما المعارك التي تدور بين نيكولاس كاسبيان وجينا تيريل؟ لقد كانت روز تعلم أن المعارك الدائرة بين جينا ونيكولاس هي لأجل السيطرة على الصحيفة، فهل تجرؤ هي على ان تأمل بأن دانيال إنما يريد فقط السيطرة على قلبها...؟

سوريا: ٦٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين ١ دينار - قطر: ١٠ دراهم - السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الأردن: ١.٥ دينار - المغرب: ٨ درهم مغربي - سلطنة عمان: ١ ريال - تونس ٢ دينار

عالم باربري وارف

مؤسسة هارلكان وشارلوت لاسب مؤلفة اكثر الكتب مبيعاً يرحبان بكم في عالم باربري وارف.

في هذه الرواية الخلابة، ستتعرف إلى عالم الصحافة المثير والمتألق، سترقب العمل الداخلي في غرف صياغة الأخبار، وتشارك في معرفة الأسرار التي تناقش خلف الأبواب المغلقة وتسافر إلى اكثر المدن إثارة في العالم.

في الكتاب الأول، تتعرف إلى نيكولاس كاسبيان وجينا تيريل واللذين قصة حبهما تنكشف خلال هذه السلسلة، كما انك سترى وقوع هيزل وبييت فان ليدن في الغرام. في معركة التملك يستمر الحب والرغبة، ولكن المعركة الحقيقية لا تبدأ.

لا تدع هذه المغامرات الشاعرية تفوتك... والتي هي اكثر الروايات الشاعرية شعبية في العالم.

شارلوت لامب

شارلوت لامب هي إحدى اكثر كتّاب مؤسسة هارلكان شعبية كما ان رواياتها هي اكثر الكتب رواجاً، ان مهنتها غير العادية، وقد صدر لها حتى الآن اكثر من مئة رواية، قد ساهمت في نشر الشاعرية في انحاء العالم.

ولدت في شرق لندن حيث أمضت طفولتها متنقلة بين بيوت اقاربها هرباً من الغارات الجوية اثناء الحرب العالمية الثانية، وبعد ان عملت سكرتيرة في الإذاعة البريطانية، تزوجت مراسلاً سياسياً يعمل في جريدة التايمس، وهي تقول انها ابتدأت الكتابة بناء على اقتراح منه، «لأنه عمل يمكنني ان اقوم به دون الإضطرار إلى ترك اولادنا الخمسة.» وهي تعيش الآن مع أسرتها في إحدى الجزر البريطانية جزيرة الانسان وهو مكان رائع لمن يكتب القصص الشاعرية مثلها.

عبير ١١٠٧

Abir 1107

معركة التملك

شارلوت لامب

دار
مؤسسة النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

www.elromancia.com

انتبه ألا تبتاع هذه الرواية من غير غلاف لأنها قد تكون مسروقة، فيجب إبلاغ الناشرين لأن الكتاب الذي لم يبع، يجب إتلافه، فأي من الكاتبة أو الناشرين لم يتقاضوا ثمناً لهذه النسخة المسروقة.

العنوان الأصلي لهذه الرواية بالانكليزية:

BATTLE FOR POSSESSION

Copyright © by Charlotte Lamb 1992

ISBN 0-373-11509-1

Mills & Boon first edition October 1992

عنوان الطبعة العربية الأولى عن دار م. النحاس

معركة التملك بقلم: شارلوت لامب

ترجمة: بلقيس حوماني

سلسلة عبير ١١٠٧

حقوق النشر باللغة العربية محفوظة ومحصورة في جميع البلدان لدار م. النحاس لتوزيع الصحف والمطبوعات – بيروت (دار م. النحاس) بترخيص من هارلكوين انتربرايزس ليمتد (Harlequin Enterprises Limited).
جميع الحقوق محفوظة. باستثناء استعماله في أي مرجعية، يمنع استنساخ هذا الكتاب أو استعماله كلياً أو جزئياً بأي شكل وبأي جهاز من الأجهزة الالكترونية أو الميكانيكية أو الوسائل الأخرى، المعروفة الآن أو التي يتم في ما بعد اختراعها، بما في ذلك الوسائل الزيروغرافية والتصوير والتسجيل أو تخزين أي معلومات منها أو استعادتها بأي جهاز من الأجهزة، من دون الحصول على إذن من الناشر.
كل شخصيات هذا الكتاب ليس لها وجود خارج خيال الكاتبة، وليس لها أية علاقة بأي شخص قد يصدف ويتشابه اسمه مع أحد الأسماء في الكتاب ولا تستند شخصيات الكتاب، أو الأسماء التي تحملها إلى أية شخصية تعرفها، أو لا تعرفها الكاتبة، بل كل أحداث الرواية هي من نسج الخيال الصرف.

العنوان: دار م. النحاس لتوزيع الصحف والمطبوعات. بيروت. لبنان شارع فردان بناية رضوان الطابق التاسع: ص.ب: ١١/٩٧١٨ – فاكس: ٧٤٣٦٣١ (٠١) – هاتف: ٧٤٣٦٣٣ – ٧٤٣٦٣٤ (٠١) – ٢١٦٢٩٣ (٠٣)

عزيزي القارىء

يسعدنا أن نعيد إليك سلسلة عبير التي طال غيابها عن ساحتك الممتعة، وهي إذ تطل عليك من جديد بحلتها الكاملة لتضفي برونقها المميز شغفك للقراءة وحبك للمطالعة.

ونحن، إذ نعيد اليوم هذه السلسلة الى مسرحها السابق، نعدك بانتظام اصداراتنا من عبير بمعدل ٥ روايات شهرياً لتكون سلواك في أوقات متعتك الخاصة.

كما نعدك ببذل الجهد المتواصل من أجل إطلاعك دائماً باللغة العربية على أحدث ما يصدر في هذه السلسلة العالمية وعن لغة الأصل: الانكليزية.

إن رفع وتيرة الاصدار والزيادة في تنويع المواضيع وألوانها إنما هما هاجسنا الدائم.

ولا تنس يا عزيزي القارىء أن طبعة عبير هذه التي أردناها لاتقة بك وبذوقك، إنما هي النسخة الأصلية.

وقوفك إلى جانبنا، إنما يعبر عن اخلاصك لنفسك وذوقك وحرصاً على وقتك الذي نوظفه لك في مجال أدبي ثقافي، مفيد وممتع.

إن وقوفك معنا يوفر لنا الدعم والمناخ اللذين لا بد منهما للمضي قدماً في رحلة العطاء الدائم والتجدد والتنويع...

الناشر

الفصل الأول

وضعت روز إيميري سماعة الهاتف مكانها، فقد كانت هذه هي المرة الخامسة التي تتصل فيها بوالدها دون أن تحظى بجواب، أين عسى أن يكون؟

لقد اخذت تتصل به خلال ساعة من وفاة السير جورج تيريل، فقد كانت تعلم انه يفضل سماع هذا الخبر منها هي على ان يسمعه من الراديو أو يقرأه في الصحيفة، فقد كان يفكر كثيراً في ذلك الرجل العجوز، ذلك ان السير جورج كان واحداً من المدرسة القديمة لمالكي الصحف، فهو مستبد عنيد، ولكنه في نفس الوقت ذو مشاعر دافئة. كان الرجلان غالباً ما يتفقان في الرأي حتى انهما يمضيان ساعات في الشجار بسبب سياسة الافتتاحية، ولكن الواحد منهما كان يحترم الآخر ويحبه، وكانت هي تعلم ان والدها يريد ان يحضر الجنازة دون شك، ولكن السؤال هو كيف بإمكانها ان تخبره في الوقت المناسب.

كان في العادة عندما يريد السفر، ان يخبرها قبل ذلك، ولكنها في آخر مرة تحدثت فيها اليه، كان حديثه وكأنه ينوي البقاء في مونتريال إلى وقت غير محدود.

كان قد قال لها ضاحكاً: «لقد انتهت أيام تجوالي، ولدي هنا قطة عليّ أن اطعمها وسيرة حياتي عليّ ان اكتبها، ولهذا لن احضر إلى لندن هذا الربيع.»

وكانت سألته وقد تملكتها خيبة الأمل: «حتى ولا لعدة ايام فقط، يا والدي؟ انني لم أرك منذ شهور.»

فكان جوابه: «يجب ان تأتي أنت إلى هنا، ياروز، ويمكنك ان تنامي في الغرفة الاحتياطية التي لدي، وهي ستعجبك كثيراً، فهي تطل على مشهد رائع للنهر، وفي الناحية المقابلة من الشارع، يوجد واحد من افضل المطاعم في مونتريال. فطعامه بمثل جودة الطعام في باريس. وأنا لا احتاج أبداً لطهي طعامي هنا.»

فقالت تغيظه: «يا لك من رجل كسول.» ثم اضافت بجد: «انني مسرورة لاستمتاعك بالعودة إلى الحياة في مدينتك التي نشأت فيها.»

كانت خائفة من ان يجد التقاعد باعثاً على السأم، ولكنها رأت انه قد تقاعد من العمل في الصحافة ليصبح كاتباً بدوام كامل، وانه مازال رجلاً مشغولاً إنما في مجال آخر، ويبدو عليه بوضوح عشقه للحياة في مسقط رأسه.

لم يكن قد أدهشها اختياره التقاعد هناك، فقد كان دوماً يقول انه سيعود إلى هناك يوماً ما، عندما يتوقف عن الطواف حول العالم.

كان سليل زواج مختلط، فوالدته فرنسية الأصل بينما والده من اصل انكليزي، وهكذا نشأ والدها ديسموند ثنائي اللغة، قادراً على التلاؤم مع أي من الحضارتين. ولعل ذلك ما جعله مراسلاً اجنبياً متعاطفاً مع تلك المناطق الممزقة في العالم وهذا ما جعله مراسلاً غير عادي.

قطبت روز حاجبيها وهي تنظر من النافذة إلى الخارج حيث كانت الرياح تعصف رغم الجو الربيعي، لابد ان هناك من يعلم إلى اين رحل والدها... ولكن من؟ ماذا كان اسم تلك الأسرة من جيرانه والتي كان تحدث عنها عدة مرات؟ انه اسم فرنسي... يبدأ بحرف غ...

كانت أشعة الشمس تتألق على صفحة مياه نهر التايمس

فتجعلها زرقاء اللون، اخذت تحدق فيها بعينيها المليئتين بالحيوية والترقب، كان هذا المنظر جديداً عليها، ومثل هذا التغير بعد عملها في شارع الصحافة القديم، حيث سطوح الأبنية ولمحة من السماء هما كل ما تراه العين، إلى حد شعرت روز معه بأنها لن تتعب أبداً من منظر النهر المتدفق امام هذا المجمع الصحافي الجديد. باربري وارف.

كانت مكاتب محرري صحيفة سنتنال تحتل الطابق بأكمله، ونوافذها الواسعة تشرف على مناظر مختلفة من الجهات الأربع... وكان مكتبها يشرف على شارع راتكليف وهو المدخل إلى مجمع باربري وارف هذا من ناحية النهر، وفي الناحية المقابلة كانت النوافذ تشرف على شارع نورث ستريت حيث منفذ موقف السيارات الكائن تحت أرض المجمع.

في هذه اللحظة، كانت الفوضى والهرج والمرج يسودان المبنى، وعمال الكهرباء في كل مكان يقومون بآخر توصيلات الكمبيوتر، ومهندسو الهاتف يختبرون الأجهزة التي كانت وصلت حديثاً، مضت عليهم اسابيع الآن انهوا اثناءها تنظيم مكاتب صحيفتين احداهما في المبنى القديم في شارع الصحافة فليت ستريت، والتي عرضت للبيع، والثانية هنا في مجمع باربري وارف.

وهاهم الآن قد انتقلوا نهائياً من شارع فليت ستريت وحيث ان هذا النهار هو السبت وغداً لن تصدر الصحيفة، فأكثر الموظفين لن يكونوا في العمل، نظرت إلى صفوف المكاتب وهاتفاتها... حيث كان القليل من الموظفين يجلسون، وكذلك امكنها ان ترى خلف الجدران الزجاجية للمكاتب بعض المحررين الرئيسين يقومون بالعمل.

كانت صحيفة هذا الصباح ملقاة على مكتب روز، ألقت نظرة عليها فرأت على الصفحة الأولى صورة كبيرة للسير جورج تيريل والذي كان موته المفاجيء اثناء عشاء الاحتفال بانتقال الصحيفة سنتنال من شارع فليت ستريت. هو حديث اليوم، وقد ظهر نعيه في الصفحة المعتادة في الداخل، في القسم الخاص بالأسرة المالكة حيث تسجل ولادات ووفيات الأسرة، وكان نعي الرجال المشهورين يكتب مقدماً ثم يحفظ في ملفاتهم في الأرشيف، ما جعل من السهل إخراج ملف السير جورج ومراجعته قبل النشر.

في داخل الصحيفة كانت ثمة نشرة خاصة تتحدث عن الانتقال الهام من شارع الصحافة فليت ستريت إلى مجمع باربري وارف، وتاريخ صحيفة سنتنال ثم مقالة عن أسرة تيريل ومقالة أخرى عن تاريخ مجمع باربري وارف نفسه، أصله ونهضته التجارية ثم سقوطه، وتتضمن صوراً قديمة وحديثة لمبنى الصحيفة، وكذلك صوراً للمجمع العصري بجانب النهر، بشكله المثمن الأضلاع والذي بدا في عيني روز على شيء من النحس، فقد كانت تفضل كثيراً صور البناء القديم قبل ان يهدم لكي يبنى على انقاضه هذا البناء العصري.

تنهدت روز، لن تعود سنتنال أبداً إلى سابق عهدها بعد ان رحل الرجل العجوز، ذلك ان نيكولاس كاسبيان سيقوم بتغييرها دون اعتبار أو تقدير لشيء، وليس مجرد طريقة كتابتها وطباعتها، فالتقنية الحديثة، واستعمال اجهزة الكمبيوتر في جميع الاقسام، ستنعكس على طريقة التحرير، ان نيكولاس سيلغي المقالات الجادة لرؤساء التحرير، والمواقف الرائعة من المشاكل الدولية والتي

جعلت أعمدة الصحيفة هي المفضلة والمنتخبة من قبل وزارة الخارجية البريطانية، وكذلك التروي والعناية في التقارير المتعلقة بشؤون الوطن.

من الآن فصاعداً، ستنحدر قيمة سنتنال في السوق وتصبح سهلة القراءة إذ تكتب بلغة بسيطة، تتوخى الإثارة والمفاجآت بدلاً من تقديم وجهات نظر موزونة في الأخبار. وكذلك العناوين الرئيسية اكبر حجماً، هذا إلى كثير من الصور... لقد كانت روز تعرف نوع الصحف التي تنشرها مؤسسة نيكولاس كاسبيان الدولية، ولم تكن بحاجة إلى كرة بلورية لكي تعرف مستقبل سنتنال تحت إدارة نيكولاس.

كانت بعض الأفكار العصرية جيدة، في رأي روز، ولكنها لم تكن تريد ان تتلاشى جدية الصحيفة، واذا فقدت أسرة تيريل السيطرة عليها، فسيكون ذلك مأساة، لقد حرص السير جورج تيريل على أن يكون هو ونيكولاس متوازيين في عدد أسهم الصحيفة التي يمتلكانها، وبهذا يتمكن على الدوام من مراقبة ما يقوم به نيكولاس في الصحيفة. تنهدت بأسى وهي تحدق من النافذة ان بإمكان نيكولاس الآن ان يفعل بالصحيفة ما يريد حيث انه لن يكون هناك من يقول له لا.

جفلت وهي تسمع صوتاً عميقاً من خلفها يقول بالفرنسية: «ماذا تفعلين هنا؟»

لم تكن بحاجة لتلتفت إلى الخلف لكي تعرف ان القادم الجديد هو محرر الأخبار الأجنبية، دانيال برونى، فالتفتت متمهلة، تواجهه بعينيها الزرقاوين اليقظتين واعصابها المرهفة، بما ان هذا اليوم هو السبت، فقد كان يرتدي ملابس عادية هي عبارة عن كنزة بيضاء عالية العنق

وبنطلون أسود وسترة جلدية سوداء، ولكن تأثيره في النفس كان بعيداً عن ان يكون عادياً.

«من المفروض ان تكون نهاية الأسبوع عطلة لك.»

قال ذلك بلهجة الاتهام وكأنه يشتبه في أن بقاءها في العمل حين لا يكون عليها ذلك، هو لغرض غير قانوني أو حتى شرير.

حاولت ان تحتفظ بهدوئها وهي تقول له: «لقد جئت مع جينا.» لم يكن يفيدها بشيء ان تظهر غضبها، اذ ان ذلك سيدفعه فقط إلى الضحك منها ما يجعلها تغضب من نفسها.

«كنت اظن ان سكرتيرة السير جورج تقيم معها؟»

«لقد جعلت هيزل تذهب إلى بيتها، قائلة انها تريد ان تكون وحدها فاتصلت هيزل بي هاتفياً، فذهبت إلى هناك، فوجدت جينا على وشك القدوم إلى هنا، فأصررت أنا على المجيء معها رغم انها لم تكن تريدني ان أجيء، ذلك انني لم أشأ أن تبقى وحدها.»

أخذ دانيال ينظر حوله: «أين هي إذن؟»

«في مكتب السير جورج.» سكتت روز وهي تتنهد، ثم قالت تصحح ما قالت: «في المكتب المفروض ان السير جورج كان سيحتله، انها تقرأ بريده وتقوم باتصالات هاتفياً.»

«يكاد المرء يظن انها حفيدته وليست أرملة حفيده، دون أية صلة دم بينهما.» قال دانيال ذلك وقد كست المشاعر ملامحه، ثم تابعت يقول: «ما كان عليها ان تمكث مع السير جورج بعد وفاة زوجها، فقد تركها ثرية إلى حد كافٍ، أليس كذلك؟ كان بإمكانها ان تذهب إلى أي مكان، وتقوم بأي شيء... ولكنها بقيت مكرسة نفسها للعناية بذلك الرجل العجوز. انك لا تجدين مثل هذا الشعور بواجب القرابة هذه الأيام.»

«كانت شغوفاً بالسير جورج.»

قالت روز ذلك وهي تتساءل وان لم يكن للمرة الأولى، عما إذا كان دانيال معجباً بجمال جينا، فقد كانت جينا في الواقع إمرأة مثالية في نظره... فهي رقيقة مليئة بالأنوثة، متوارية عن الأضواء، بالعكس منها هي، ولوت شفتيها وهي تعترف بذلك شأنها مرات كثيرة.

هز دانيال كتفيه يجيبها: «هذا واضح! ولكن مع هذا فإن تكريس خمس سنوات من عمرك لخدمة رجل عجوز ليس بينك وبينه قرابة... فهذا شيء محير هذه الأيام، ان المرء ليظن، بالنسبة إلى أي امرأة أخرى، انها إنما تفعل ذلك لأجل أمواله.»

قالت روز بحدة: «ان جينا لا تهتم بالمال مثقال ذرة، لقد بقيت معه لأنه القريب الوحيد لها في الحياة، فوالداها متوفيان، كما تعلم، ولهذا بقيت إلى جانبه.» قالت ذلك وهي تتنهد، ثم تابعت تقول: «والآن لم يبق لها أحد، وستشعر بوحدة بالغة.»

فقال بقناعة بالغة: «انها ستتزوج مرة أخرى.»

قالت روز باستياء: «أهذا كل ما تظن ان المرأة تريده من الحياة؟ أن تتزوج؟»

رمقها بنظرة ماكرة: «اكثر هن، نعم، خصوصاً المليئات بالأنوثة مثل جينا، كما انها رائعة الجمال، ذات طبيعة ساحرة... وسيكون حولها كثير من الرجال المفتونين بها.»

«هل تفكر في التطوع لذلك أنت نفسك؟»

فضحك بهدوء: «اتظنينني أعجبها؟» لكن روز كانت ترى أنه يعجب أي امرأة. واسدلت اهدابها تخفي بذلك عينيها عنه، فقد كان دانيال جذاباً للغاية، متدفقاً بالحيوية. من من النساء تستطيع منع نفسها من النظر اليه مرتين عندما

يبتسم تلك الابتسامة الماكرة الساحرة؟ وكان هذا هو السبب في أنه لم يتزوج قط، بالطبع، ولماذا يزعج نفسه برباط دائم عندما تكون النساء رهن إشارته، سرعان ما تسقط الوحدة منهن في يده كالثمرة الناضجة لدى نظرة واحدة من عينيه السوداوين المتألقتين؟

لكنها اجابته ببرودة: «اننا لم نتحدث عنك قط.»

فقال غير مصدق: «أبداً؟»

نظرت في عينيه بعينها الزرقاوين الصافيتين، وهي تبتسم بعذوبة ساخرة: «آسفة، أترى هذا قد جرح زهوك برجولتك؟»

فابتسم بعنف: «لم يكن له أي تأثير.»

قالت متهكمة: «لأن ليس بإمكانك ان تصدق أننا لا نتحدث عنك على الدوام.»

قال وقد توترت ملامحه: «يوماً ما، يا روز، يوماً ما...»

ففتحت عينيها على اتساعهما: «نعم؟»

«لا شيء.» وسكت عابساً وفي عينيه نظرة بعيدة، ثم سألها بغلظة: «متى موعد الجنازة؟»

«بعد غد.» قالت ذلك وتغيرت ملامحها وقد تذكرت ما كانت فيه من قلق، ثم نظرت إلى الهاتف: «كنت احاول ان اتصل بوالدي، ولكنني لم احصل على جواب، لا اظنك تحدثت إليه مؤخراً؟ ألا تعلم ما اذا كان في نيته السفر إلى مكان ما؟»

قال مقطباً جبينه: «كلا، آخر مرة تكلمت فيها معه قال ان في نيته البقاء في مونتريال حالياً.»

«وهذا ما كان قاله لي أيضاً، ولكنه لا يجيب الهاتف.»

«قد يكون خارج المنزل.»

«لقد بقيت اتصل به مدة أربع وعشرين ساعة، وهو لا يبقى في الخارج كل تلك المدة، فأنت تعرف مونتريال في شهري فبراير ومارس.»

قال بارتجاف مصطنع: «وكيف لي ان أنسى؟»

كان فصل الشتاء في كويبك يختلف عنه في انكلترا، فالرياح قارسة في كويبك، والثلوج تغطي كل شيء وتمنحه شكلاً جديداً، وفي طرقات القرى كان الأطفال يذهبون إلى القرى على الزحافات، كما تتجمد الأنهر والبحيرات، والأشجار يغطيها جمال أبيض رائع، وصدى الاصوات يتجاوب من مسافات بعيدة أو يسود احياناً سكون يغمر الكون.

قد يكون الآن في لندن فصل الربيع، ولكن في مونتريال الحرارة ما زالت تحت الصفر بكثير، والشوارع تغطيها الثلوج فالناس يتنقلون تحت الأرض حيث لم يكن مجرد ممر لقطار تحت الأرض، وإنما أيضاً شارعاً يحتوي على اميال من المتاجر والمطاعم والمصارف والمسارح ودور السينما، كل ما انت بحاجة اليه يمكنك ان تحضره من تحت الأرض، فلا احد يحتاج إلى الصعود إلى فوق الأرض، وهكذا بإمكان سكان مونتريال ان يبقوا في جحورهم الدافئة إلى ان يأتي شهر ابريل. فإلى أين يمكن أن يكون والدها قد ذهب تاركاً شقته؟ انها تعرف نظامه اليومي، فهو يتناول طعامه في المطعم، ونادراً ما يتناوله في بيته، وهو يذهب للنزهة اكثر الأيام، ولكن حول المنطقة التي يسكن فيها فقط، وذلك خلال الشوارع الضيقة المتعرجة لمونتريال القديمة، وكان يزور مكتبات الجامعتين الفرنسية منها والانكليزية، وذلك حين يكون بحاجة إلى بعض المجلدات النادرة، أو يطوف بسرور على المكتبات المحلية الممتازة.

سألها دانيال: «هل اتصلت بأسرة غاسبارد؟ ربما كانوا يعلمون بأمره؟»

اتسعت عينا روز: «غاسبارد؟ هذا هو اسم الأسرة إذن، كنت أذكر انه يبدأ بحرف غ، لا اظنك تعرف رقم هاتفهم.»

قال ساخراً: «يا لك من مراسلة صحفية.»

فاحمر وجهها غضباً، وتمتمت تقول: «سأستعمل دليل الهاتف.»

لماذا لم تفكر في ذلك من قبل؟ في كل مرة تنسى شيئاً واضحاً كهذا، يشكل نقطة أخرى في صالح دانيال في معركتهما اللانهائية، وتمنت لو تصفع نفسها.

التقطت الهاتف واخذت تدير الأرقام، وبعد لحظة كانت تسجل رقم هاتف جيران والدها.. كان والدها قد انتقل إلى بناية عالية متداعية في مونتريال القديمة على بعد مسافة قصيرة من الميناء، وكانت هذه البناية ملكاً ذات مرة لأسرة غنية فقسمت إلى شقق سكن والدها منها في الطابق الثاني.

اتصلت روز بجيران والدها فأجابتها امرأة عرفتها روز على الفور إذ كانت تعرفها منذ طفولتها في مونتريال، سألتها روز: «السيدة غاسبارد؟» ثم عرفتها بنفسها بالفرنسية: «انني روز إيميري ابنة السيد إيميري...»

قاطعتها المرأة بلهفة: «آه، كنت بأشد القلق، لقد مرت ثلاثة ايام الآن ولم أدرك في البداية انه رحل إلى ان رأيت ساعي البريد فسألني عما اذا كان السيد مسافراً لأن ليس ثمة من يأخذ الرسائل من الصندوق فقد كان مليئاً تماماً، وقد لاحظت ان جيجي كانت جائعة أكثر من المعتاد...»

سألتها روز باستغراب: «جيجي؟»

«انها القطة، فهي دوماً تأتي إلينا لنطعمها إذا كان السيد

مشغولاً أو غائباً، وهكذا، لم يبد لنا الأمر غريباً في البداية، لقد وضعناها عندنا حالياً، رغم انها تعود إلى الشقة قافزة من الشرفة، كان على هذا ان ينبهني، أيضاً، فالمصاريع دوماً مغلقة ليلاً نهاراً، ولكنني لم اكن أرفع بصري إلى أعلى إلى ان كلمني ساعي البريد. ولكن اخبري والدك ان عليه ألا يقلق، فأنا احتفظ له برسائله وأرعى قطعته. هل نسي أن يخبرك عن سفره؟»

«ليس لدي خبر عن والدي ولا أدري أين هو، وانا اتصلت بك الآن لأسألك.»

قالت روز ذلك بهدوء وقد شحب وجهها للغاية.

كان دانيال قد وقف بجانبها يستمع باهتمام إلى ما تقوله المرأة الأخرى، وكانت روز من الإضطراب بحيث لم تنتبه إليه، مضت برهة قبل ان تعود المرأة فتقول: «يا له من مشاغب، ولا بد انه نسي ان يخبرني بأنه مسافر، انه سيرسل اليك بطاقة بريدية في أي يوم شارحاً لك كل شيء، لا تقلقي يا آنسة، ان بإمكان والدك ان يهتم بنفسه.»

وضعت روز السماعة ثم نظرت إلى دانيال وعيناها تنطقان بالقلق وهي تقول: «انها على حق، لا يمكن ان يكون ثمة شيء حدث له، ولكن ليس من عادته ان يرحل دون ان يهتم بمن يرعى القطة، ويخبر مكتب البريد بأن يحتفظ له بالرسائل، فهو ينظم مصالحه قبل السفر مهما كان السفر مفاجئاً.»

قال دانيال بحزم: «انه بخير، والأسفار هي مهنته، فهو يعرف ما يفعل، ولا بد ان هناك سبباً قوياً لعدم اخباره السيدة غاسبارد جارته عن سفره، وهو يعلم انها ستهتم بالقطة كالعادة، حسب قولها.»

فقالت متشككة: «ربما، ولكن هذه ليست عادته.»

قال: «اسمعي، انني سأتصل ببعض الأصدقاء لأرى ان كان ثمة من سمع عنه شيئاً مؤخراً، أو انهم يعلمون أين هو.»

فقالت برجاء: «آه، أحقاً؟»

«واثناء قيامي بذلك، لماذا لا تذهبين لأخذ جينا لتناول الغداء معاً؟ خذيها إلى مطعم بيير في بلازا وهو مطعم فرنسي افتتح منذ ثلاثة اسابيع، لقد سبق وأكلت عنده فوجدت طعامه رائعاً، وإذا سمعت أي خبر عن والدك فسأذهب اليك واخبرك.»

لأول مرة لم تشعر روز بالإستياء لإلقاء دانيال أوامره عليها، حتى انها ابتسمت وهي تقول له: «شكراً.»

استقلت المصعد إلى الطابق العلوي حيث يوجد مكاتب المديرين وقاعة الاجتماعات، كان كل شيء هادئاً ساكناً، حتى الهواتف لم تكن ترن، وكانت هذه المكاتب هي أول ما انتهت تأثيثاً وزخرفة بشكل مترف، ولكنها هذا النهار كانت كلها خالية تقريباً.

كان جناح مكاتب السير جورج مكسو الجدران بألواح من خشب السنديان المذهب، وكان يتألق في أشعة شمس الربيع بشكل رائع. دفعت روز باباً ودخلت لتجد جينا جالسة خلف مكتب مغطى بالجلد حيث كان الرجل الراحل يجلس اليه في المبنى القديم في شارع فليت ستريت، كان معظم أثاث غرفة المكتب جديداً ما عدا المكتب فقد كان قديماً أثرياً قد استعمله والد السير جورج قبله.

وقفت روز عند العتبة تنظر إلى جينا وقد بدت لها اكثر ضعفاً وهشاشة في ملابس الحداد وقد اخذت تمر بيدها على الخشب المصقول والجلد وكأنه حي يحس بأناملها.

كانت تفكر في الراحل العجوز، وكان هذا يبدو عليها واضحاً، فقد كان الحزن ظاهراً في انحناء زاويتي فمها وشحوب وجهها وانحناء جسمها الرشيق.

«ألم تنتهي بعد؟ ما رأيك في الخروج لنتناول الغداء؟»

أجفلت جينا ورفعت بصرها: «آه مرحباً يا روز، نعم، اظنني انتهيت نوعاً ما، ولكنني لست جائعة ولن اتغدى، إذا لم يكن لديك مانع.»

فقالت روز بصوت حازم: «هذه فكرة سيئة، هيا وكلي شيئاً من السلطة، لماذا لا نجرب المطعم الجديد في بلازا؟ ان دانيال يقول انه رائع.» وناولتها معطفها الأسود الذي كانت جينا ترتديه ذلك الصباح، «هيا بنا.»

«يا لك من متسلطة.» قالت جينا ذلك وعلى فمها شبه ابتسامة، ثم وقفت ترتدي معطفها.

كان الحداد قد سلب حيويتها، وجعلها اكثر شحوباً من المعتاد، حتى ان شعرها البني المحمر بدا وكأنه فقد بريقه المعتاد، لقد سبب لها موت السير جورج حزناً بالغاً، كما اخذت روز تفكر عابسة، أم ترى الأمر اكثر تعقيداً من ذلك؟ أهي الظروف التي احاطت بموت الرجل العجوز هو ما أحزن جينا إلى هذا الحد؟ لقد كان موته المفاجيء بالسكتة القلبية وذلك إثر جدال عنيف دار بينه وبين نيكولاس كاسبيان اثناء عشاء وداع حضره موظفو الصحيفة كافة، كان موته ذاك والذي حدث في لحظة واحدة وبشكل لا يصدق، قد سبب لها صدمة بالغة.

كان نيكولاس قد وعد السير جورج بأنه لن يشتري مزيداً من الأسهم في الشركة إذا كان له مقعد في مجلس المديرين، ومساهمة في الإدارة، ولكنه اخلف وعده اثناء ذلك العشاء

واشترى اسهم فيليب سليد، وهكذا منحه ذلك الاغلبية التي كان دوماً يسعى اليها، وعندما اكتشف السير جورج ذلك، بلغ به الغضب حداً جعله ينهار ميتاً، وإذ تملك جينا الخبل، اخذت تتهم نيكولاس بقتل السير جورج، وما زال مظهرها يدل على انها ما زالت في حالة الصدمة تلك.

عندما سارتا نحو المصعد، اخذت روز تتمنى لو انها تعرف ما سيحدث لجينا ولهم جميعاً، ان حياتهم بعد ان تسلم نيكولاس زمام الأمور في الصحيفة، ستتغير بشكل جذري، وخصوصاً جينا، على الأغلب والتي كانت حياتها بأجمعها مركزة على السير جورج والصحيفة... فما الذي ستفعله الآن؟

كانت ساحة بلازا تقع تحت مبنى المجمع الرئيسي، وفوق موقف السيارات الواقع تحت الأرض، وكان ثمة أعمدة تحيط بها وحوانيت وصالون تجميل ومصرف ووكالة سفريات ومقاهي ومطاعم، وفي الوسط قامت نافورة تحيط بها مقاعد واحواض زهور.

أسرعت الفتاتان نحو مطعم بيير الفرنسي والذي افتتح حديثاً، وكان شبه خالٍ لحسن الحظ، فقوبلتا بالترحاب، سألت النادل: «ايمكننا ان نحصل على مائدة هادئة تماماً؟» فأومأ هذا برأسه متفهماً ثم قادهما إلى زاوية شبه متوارية عن البقية بشجرة نخيل منتشرة مغروسة في أصيص، وجدار منخفض تعلوه نباتات.

أقنعت روز جينا بتناول قدر كافٍ من الوجبة المتواضعة التي طلبتها والمؤلفة من كوكتيل عصيري البرتقال والشمام، وسمك وسلطة، وشعرت بالارتياح وهي ترى مسحة من اللون تكسو وجنتي صديقتها.

سألتها: «ألم تقرري بعد ما ستفعلينه؟»

«كنت افكر في الذهاب إلى كلية لدراسة الاقتصاد والأعمال.»

تملكت روز الدهشة: «آه، ولكن... ماذا بالنسبة إلى عملك في الصحيفة هنا؟ ما الذي ستقومين به بهذا الشأن؟»

«أنسيت اننا فقدنا السيطرة على العمل؟» وامتلأت عينا جينا مرارة، «لقد تحدث إلى فيليب سليد بشأن شراء اسهمه، وبهذه اصبحت له اغلبية السيطرة الآن، وحيث ان السير جورج...» وتهدج صوتها، فعضت شفتها ثم تابعت تقول: «حيث ان السير جورج قد... رحل.. لم يعدلي عمل هنا.»

«جينا، انك ما زلت مالكة لعدد كبير من الأسهم، اطلبي مقعداً في مجلس الإدارة وهو سيضطر إلى اعطائك ذلك.»

تمتمت جينا تقول: «انا لا أريد أبداً ان أراه مرة أخرى، فهو الذي قتل الرجل العجوز، لقد كان السير جورج وافق على ان يصبح من المديرين، ويقوم بوضع أغلب القرارات، ولكن هذا لم يكن كافياً لـ...» لم تكن تستطيع حتى ان تلفظ أسمه، فكانت تقتصر على كلمة (هو).

قالت روز لاوية شفتيها: «لا شيء هناك يكفي نيكولاس كاسبيان، لقد ولد نهماً في كل شيء، وما زال كذلك مهما كان الثمن، عليك ان تواجهيه مواجهة الند للند، وتحصلي على ما تريدين، ان لديك سلاحك وهو الأسهم وتعاطف اكثر اعضاء مجلس الإدارة والذين سيساندونك، على الأقل لأنهم سيشعرون بالذنب إزاء موت السير جورج.» ابتسمت لجينا، «وجميعهم طبعاً، رجال فلن يروا فيك أي تهديد لهم على الاطلاق، فتاة جميلة مثلك ستكون زينة يسعدهم ان ينظروا اليها اثناء عملهم،

انهم سيشجعونك ويربتون على رأسك، ولكنهم لن يتوقعوا منك ان تعرفي أي شيء عن العمل في إدارة الصحيفة، أو ان تدلي برأي ما اثناء تحدثهم في شؤون العمل.»

قالت: «سيكون الحق معهم، فليس لديّ معلومات كافية في هذه الأمور.»

«لقد اشتغلت عند السير جورج سنوات، يا جينا، فتعلمت من العمل اكثر مما تظنين، فلماذا لا تقومين بالأمرين معاً؟ ان ترغمي نيكولاس على ان يمنحك مقعداً في مجلس الإدارة، وفي الليل تذهبين إلى معهد ليلي تتعلمين فيه؟ في معاهد لندن يعلمون إدارة الأعمال بشكل جيد جداً.»

عضت جينا شفتها وقد تشوش ذهنها، لا تستطيع ان تعتمد على قرار حاسم، ثم قالت: «آه، لا أدري، لا أريد ان أراه... مرة أخرى... أبداً.»

«هل ستدعينه يمضي دون عقاب على فعلته؟» قالت روز ذلك بهدوء، فاحمر وجه جينا، ثم شحب وهي تدير إليها عينيها الخضراوين المعذبتين، وتملك روز الندم، ما الذي جعلها تنطق بهذه الكلمات الحمقاء؟ مدت يدها إلى صديقتها قائلة: «أنا آسفة، آسفة يا جينا، ما كان لي أن أقول ذلك، إنسي ما قلته...»

همست بصوت مبحوح: «لا استطيع ان احتمل فكرة انني سأذهب اليه لأطلب مقعداً في مجلس الإدارة، ان في ذلك إذلالاً لي.»

فقالت روز: «معك حق.»

«أتمنى لو استطيع ان اجد طريقة اجعله يدفع بها ثمن ما فعله للرجل العجوز، ولكن ذهني غير صافٍ حالياً، فأنا

اشعر احياناً بالتنميل في جسمي وكأنني لا اشعر بشيء، واحياناً أخرى اشعر وكأنني ممزقة العواطف.»

قالت روز: «انها الصدمة، سأطلب لك كوباً من عصير الليمون.»

أطلقت جينا ضحكة قصيرة: «نعم، يا آنستي.» ابتسمت روز وقد تملكها الارتياح وهي ترى جينا قادرة على الضحك مرة أخرى، وقالت: «آسفة إذ كلمتك بلهجة الأمر هذه.»

«وأنا اشهد على ذلك.» كان هذا صوت دانيال برونى ما جعلهما تلتفتان مجفلتين وترفعان بصرهما إليه وهو واقف بجانبهما دون ان يشعرا بقدومه، منح دانيال جينا ابتسامة جذابة أسبغت ظرفاً على وجهه، بينما اخذت روز تنظر اليه بجمود، أتراه قد ابتدأ محاولاته في غزو قلب جينا؟ قال هو رامقاً روز بنظرة جانبية مازحة: «انها اختصاصية في إلقاء الأوامر.» وجه كلامه هذا لجينا التي ردت عليه على الفور: «انها تلقي الأوامر عليّ لمصلحتي.»

وجاء نادل يحمل كرسياً لدانيال الذي نظر إلى جينا مستأذناً: «هل من الممكن ان اجلس معكما؟»

«تفضل بالجلوس، فما زلنا في بداية الطعام.» جلس دانيال، ثم طلب من النادل ان يحضر له من طبق المطعم اليومي، حتى دون ان يكلف نفسه عناء الاختيار من قائمة الطعام.

سألته بفروغ صبر: «حسناً؟»

قال وهو يهز كتفيه: «لا احد يعرف أين هو.»

سألتها جينا: «من؟»

وعندما شرحت لها روز أمر والدها، بدا عليها الإنزعاج: «يا له من أمر مقلق لك. ولكنه اعتاد على السفر بمثل هذا الشكل

المفاجيء من قبل، أليس كذلك؟ انني واثقة من انه سيعود.»

فقال دانيال: «خطر لي انه ربما سمع بوفاة السير جورج قبل ان تحاولي الاتصال به، وهو الآن في طريقه إلى لندن لحضور الجنازة.»

قالت روز وقد أشرق وجهها: «نعم، هذا ممكن، هذا معقول تماماً، ربما اتصل به شخص ما، لكن كان بإمكانه ان يتصل بي ليخبرني بقدومه، لربما لن اكون موجودة في البيت حينذاك.»

فقال يذكرها: «انه يعرف السير جورج منذ سنين، ولا بد ان سماعه بموته كان صدمة فظيعة بالنسبة اليه، وهكذا نسي كل شيء آخر، وانطلق آتياً إلى هنا.»

قالت روز: «ولكنه لم يصل بعد. فلو كان شرع بالسفر إلى هنا أمس، لكان المفروض ان يكون وصل.»

«ربما كان حجز غرفة في فندق، وهو الآن يتصل بك في بيتك.»

بدا السرور على وجهها: «طبعاً، فهو لا يمكن أن يفكر في القدوم إلى هنا، وقد يكون ذهب إلى المبنى القديم في شارع فليت ستريت، فهو لم يعلم بعد اننا انتقلنا إلى هذا المجمع، سأعود بعد الغداء إلى البيت لأرى ان كان ترك لي خبراً في جهاز لإجابة في الهاتف.»

ولكنها عندما وصلت إلى بيتها لم تجد خبراً من والدها، وأثناء الليل استيقظت فجأة وقد تذكرت ان السيدة غاسبارد جارة والدها كانت ذكرت لها انه مضى على غياب والدها ثلاثة ايام!

جلست روز وانارت المصباح الموضوع بجانب سريرها، لقد اختفى والدها قبل وفاة السير جورج، فاختفاؤه لا علاقة له

بسماعه النبأ، نظرت إلى ساعة الجدار وكانت هذه تشير إلى الثانية والنصف صباحاً، ما هو الوقت الآن في مونتريال؟ ولم يستطع ذهنها أن يأتي بنتيجة، فقد كانت متعبة جداً، ومدت يدها إلى الهاتف الموضوع بجانب سريرها واخذت تدير رقم الهاتف والدها مرة أخرى دون ان تتوقع جواباً.

نهرت نفسها وهي تطفيء النور بأن تكف عن القلق، ثم عادت تستلقي في فراشها، انه سيعود كعادته على الدوام، وعلى كل حال، فقد استغرقت عودتها إلى النوم، بعض الوقت.

كانت في اعماقها، متأكدة تقريباً من انه سيحضر جنازة السير جورج، ولكنه لم يحضر، كان هناك المئات من المشيعين، وكثيرون منهم لم تكن روز رأتهم قط في حياتها، واخذت تتفحص وجوههم باحثة عن وجه والدها، دون فائدة.

تملكتها صدمة عندما رأت نيكولاس كاسبيان في الجنازة، رغم انها عندما فكرت في ذلك، رأت أن من الحماقة منها ألا تدرك ان المفروض فيه ان يحضر، ذلك ان الصحف ستذكر عدم حضوره لو ان ذلك حصل، ويكفي الأقاويل التي تحيط به الآن، حيث ان ثمة كثيرون كانوا موجودين اثناء وفاة السير جورج والمشادة التي حدثت معه بعد ذلك. وقد سمعوا ما كانت جينا قالته له، أيضاً، واتهامها العنيف له بالقتل وتهديدها له بجعله يدفع الثمن، وهكذا ارتفع الهمس والتمتمات عند ظهور نيكولاس، وتحولت الأعين إلى جينا لترى ردة فعلها، وكان نيكولاس بصحبة افراد من أعضاء مجلس إدارة الصحيفة والذين كانوا يحيطون به من كل الجهات وكأنهم حراس شخصيون، وربما كانت هذه حقيقتهم فعلاً.

كان يرتدي ملابس الحداد الرسمية، بذلة قاتمة اللون،

وقميصاً أبيض وربطة عنق سوداء ما جعله يبدو اكثر طولاً ومهابة ما يجعل من الصعب تحديه أو التسبب له بأي إزعاج، كانت بشرته شاحبة، وعيناه باردتي النظرات، كان يبدو متجهماً. أفسح الناس له الطريق ليمر وهم ينظرون إليه، ولكنه لم يتحدث إلى احد بل كان يومىء برأسه فقط هنا وهناك ولدى أول نظرة ألقتها جينا عليه، تغيرت ملامحها واشتد شحوبها وارتجف جسمها ولكنها تجاهلته بعد ذلك متظاهرة بعدم رؤيته... ولكن إلى متى يمكنها احتمال ذلك إذا كان هو من الصفاقة بحيث يأتي للتعزية بعد ما فعله؟ كانت روز تتساءل عن ذلك دون جواب.

بدا وكأن مراسم الدفن لن تنتهي أبداً، وابتدأ المطر يهطل، ورأت روز الجو كئيباً مقبضاً، فأخذت تجاهد كيلا تبكي.

عادت روز بعد ذلك مع هيزل إلى البيت وذلك في أول سيارة ليموزين سوداء مع جينا، وتبعهن بقية المعزين في صف طويل من السيارات، ووجدن مديرة المنزل مشغولة بالتجهيزات الأخيرة، وكانت عيناها محمرتان ووجهها منتفخ من البكاء، كانت في حزن بالغ على السير جورج الذي كانت أمضت معه سنوات طويلة.

سألتها جينا: «هل كل شيء على ما يرام، يا دفني؟»

فأومأت المرأة: «الندل جميعاً يعرفون ما يفعلونه كما يبدو... اظن الأمر سيكون على ما يرام.»

«اتظنين اننا طلبنا ما يكفي من الطعام والشراب؟»

اجابت المرأة متجهمة الوجه: «انه يكفي جيشاً.»

نظرت جينا إلى روز بعجز: «ليس لدينا فكرة عن عدد القادمين، ولهذا كان عليّ أن اطلب المزيد من الطعام.»

فقالت روز: «هذا اكثر حكمة.»

هزت جينا كتفيها: «اظن ذلك.»

سألت هيزل: «هل هناك ما يمكنني القيام به؟»

ابتسمت جينا لهما معاً وهي تقول: «أريد منكما فقط ان تساعداني في الترحيب بالقادمين، لقد كنتما رائعتين ولا أدري كيف اشكركما.»

ابتدأ الناس بالتوافد بعد ذلك بوقت قصير وسرعان ما امتلأ الطابق الأسفل من المنزل بالرجال في البزات السوداء والنساء في ثياب الحداد الأنيقة الغالية الثمن، حيث أخذن في تناول بعض المأكولات عند المقصف الذي أقيم في الردهة الخارجية.

جاء دانيال بصحبة بعض رؤوساء الأقسام، ثم وقف يسأل روز عما إذا كانت سمعت شيئاً عن والدها.

فقالت بصوت أبح: «لا خبر منه على الاطلاق.» «لا بد أنه قرأ في الصحف عن وفاة السير جورج إلا إذا كان في مكان بعيد من الكرة الأرضية، كنت واثقاً من انه سيكون هنا الليلة.»

فقالت: «وكذلك أنا.»

رمقها بنظرة ساخرة: «أتعنين أننا ولأول مرة، يتشابه تفكيرنا؟ لا استطيع ان اصدق هذا.»

تمتمت تقول وقد توترت ملامحها: «وكذلك انا، ولا اظن هذا سيحدث مرة أخرى فلا تدع الإثارة تتملكك.»

«اتظنينني كذلك؟»

تلاشت الأصوات في تلك اللحظة إذ التفت الجميع نحو الباب، وأدركت روز على الفور ان نيكولاس كاسبيان قد جاء، لم يشعر بأي وخز في الضمير وهو يدخل منزل الرجل الذي تسبب هو في موته.

ألقت نظرة قلقة على جينا، فرأت يديها ترتجفان عند جانبيها، لقد احتملت جينا الكثير مؤخراً... فكيف ستتصرف إزاء هذا الأمر الآن؟

تقدم نيكولاس نحو جينا مباشرة، مستقيم الجسم رافع الرأس يسير بقامته الفارعة برشاقة ودون سرعة، كان يبدو ظاهراً، هادئاً طبيعياً، ولكنه ما ان اقترب من جينا، حتى رأت روز شيئاً في مظهره ينم عن شيء ما، كان مثل جينا، بالغ الشحوب وكان مسيطراً على ملامحه بشكل حازم، ولكن حول فمه كان يبدو شيء من عدم الثبات وكذلك خفقة عصبية ضئيلة تحت إحدى عينيه.

أدركت روز ان نيكولاس ليس من السيطرة على اعصابه كما يحاول ان يبدو.

انتظرت روز من جينا ان تمد يدها إليه مصافحة ثم تتفوه ببعض الكلمات المؤدبة، كما تفعل مع كل من الضيوف الآخرين ولكن ما أن وصل اليها، حتى أدارت له ظهرها وسارت مبتعدة عنه، تاركة إياه واقفاً هناك وكل الأعين منصبة عليه تراقبه.

الفصل الثاني

عندما خرج الجميع، قالت جينا: «لا أريد أن أبقى وحدي، يا روز، فأنا اخاف من ان يعود نيكولاس.»

أجابت روز لاوية شفتيها: «لن يدهشني ذلك بالنظر إلى ما بدا عليه.» قالت هذا وهي تفكر في انها ما كانت لتحب بأن تكون في مكان جينا فيما لو عاد نيكولاس، فقد رأت في عينيه غضباً عارماً عندما أدارت له جينا ظهرها، ثم هو ليس بالرجل الذي يدير خده الأيسر لمن يضربه على خده الأيمن.

عضت جينا شفتها ثم قالت: «اذا لم يكن لديك موعد، وليس لديك مانع... فهل لك في ان تبقي لتناول العشاء معي ثم تنامي هنا الليلة؟ انني سأعيرك قميص نوم، مقياسنا متشابه كما اظن.»

قالت روز ببشاشة: «هذا يسرني جداً.»

وهكذا جلستا ذلك المساء في المنزل الهادىء تتحدثان، واثناء فترات الصمت التي كانت تسود بينهما، كانت روز تسمع صوت هواء الربيع في الحديقة ورذاذ المطر، فقد كان هذا الشارع هادئاً أثناء الليل إذ لم يكن ممراً عاماً للسيارات، ولكن حركة السير في لندن ممكن سماعها على الدوام آتية من بعد.

كان العشاء وجبة خفيفة من بقايا الطعام الذي تخلف عن المقصف في النهار كما اخبرتهم دفني مديرة المنزل، وقد

تجهم وجهها: «اننا سنستمر في أكل كل البقايا لمدة أيام، لقد كنت اعلم أننا أسرفنا في شراء كميات من الطعام دون حاجة لذلك.»

فقالت روز وهي تتلذذ بسمك السلمون البارد مع السلطة والفاكهة الطازجة: «لا بأس في ذلك ما دام لذيذاً كهذا.» واخذت تشجع جينا على الأكل، ولكنها لم تستطع أن تقنعها بتناول أكثر من لقمة واحدة من كل نوع، تساءلت روز عما إذا كانت جينا قد ورثت هذا البيت، وهي تنظر حولها في غرفة الطعام الأنيقة هذه، إذا كان قد اصبح ملكاً لها فستشعر فيه بوحدة بالغة وهي تسكن فيه بمفردها، فهل ستحتفظ به أم تبيعه.»

كانتا تتناولان القهوة في غرفة الجلوس عندما تصاعد رنين جرس الباب الخارجي، فاستقامت جينا في جلستها على الفور حتى كادت تهرق قهوتها.

ثم همست تقول وقد شحب وجهها: «انه هو.» رمقتها روز بنظرة شاردة مفكرة، كانت تعلم ان جينا لديها صديق تخرج معه وذلك حتى وقت قريب، وهو بيات فان ليدن.. ولكن كان هناك شيء شخصي جداً بالنسبة إلى الطريقة التي جعلتها تتصرف نحو نيكولاس كاسبيان بذلك الشكل، فما الذي يدور بينهما؟ ذهبت مديرة المنزل لتفتح الباب، فسمعت الفتاتان اصواتا صوت دفني تتكلم بغلظة، ثم صوت رجل، ولكنه كان من الانخفاض بحيث لم تستطع روز ان تميز ما إذا كان صوت نيكولاس.

لكن الارتياح بدا على جينا وهي تتنهد طويلاً: «كلا، انه ليس صوته.» قالت ذلك ما جعل روز تنظر اليها بحدة

وفضول: «لا بد ان سمعها كان جيداً، وإلا لما تمكنت من تمييز صوت نيكولاس مهما بلغت درجة انخفاضه.

نقرت دفني الباب ثم دخلت تقول: «يريد السيد سليد ان يراك لمدة خمس دقائق، يا سيدتي.»

اتسعت عينا جينا الخضراوان: «السيد فيليب سليد؟»

«نعم.» وكانت دفني تعلم انه هو الذي عجل بوفاة السير جورج بتسببه بالنوبة القلبية تلك، فبدا الغضب في وجهها كما احمرت وجنتاها وهي تنفجر قائلة: «ان مجيئه إلى هنا هو منتهى الوقاحة والصفاقة في رأيي، هل أخبره بأن يعود من حيث أتى؟»

قالت روز متسائلة: «عجباً لقدومه.» نظرت اليها جينا مجفلة، ورمقتها بنظرة مترددة: «هل جاء ليعبر عن أسفه؟»

تمتمت دفني: «لقد فات الوقت لذلك، وليس بإمكانه ان يريح ضميره بهذه السهولة.»

قالت روز لجينا: «اظن عليك ان تريه، وعلى كل حال، ربما لم يوقع بعد على عقد بيع أسهمه لنيكولاس، وقد يكون بإمكانك ان تجعليه يغير رأيه، حتى انك لست بحاجة إلى كثير من الاقناع... عليك فقط ان تبكي قليلاً، وتضعي في عينيك نظرة كئيبة ضارعة...»

قالت جينا برعب: «آه؟ كلا، لا استطيع ذلك يا روز، فهذا يحرجني جداً.»

«حتى وإن كان ذلك لكي لا ينال نيكولاس كاسبيان السيطرة الكاملة على جريدة سنتنال؟»

أجفلت جينا وتوهج وجهها ولم تقل شيئاً. بينما قالت روز لمديرة المنزل: «هل لك أن تدخلي السيد سليد من فضلك؟»

قالت نلك بحزم حين اتضح ان جينا لا تستطيع أن تعطي قراراً في الأمر.

بدا على المرأة وكأنها تريد ان تناقشها، ولكن روز قابلت نظراتها بحزم مما جعل المرأة تهز كتفيها وتخرج من الغرفة.

عادت على الفور مع السيد فيليب سليد، الذي وقف متردداً ينظر إلى المرأتين وقد بدا أنه فوجيء بوجود روز هناك، ثم ما لبث ان تقدم نحو جينا: «انني آسف لتطفلي في وقت كهذا... فقد صدمني موت السيد جورج، وأريدك ان تعلمي مبلغ ندمي...» وسكت فجأة وهو ينظر إلى جينا متوسلاً. «كان عليّ أن آتي إلى الجنازة، ولكنني كنت ما زلت أحاول ان أقرر ما عليّ ان افعل، وإلى ذلك الحين بدا لي من الخطأ بالنسبة إليّ، أن أراك.»

رفعت جينا بصرها إليه أخيراً، متفحصة وجهه لترى ان كان مخلصاً في أسفه هذا، لقد بدا أشبه بغلام منه برجل في أوائل العشرينات من العمر، ولم تستطع إلا ان تقتنع بشحوب وجهه والتعاسة البادية في عينيه.

وعاد يقول متوسلاً: «انني أدرك انك تعتبرينني ملوماً إلى حد ما، ولكن استمعي إليّ على الأقل.»

ترددت جينا لحظة ثم تنهدت قائلة: «حسناً، أجلس يا سيد سليد.»

«ادعيني فيليب، أرجوك.» قال نلك وهو يجلس على كرسي قرب منها، سألته روز: «هل يمكننا ان نقدم اليك شيئاً تشربه؟»

«آه، كلا... لا اريد ازعاجك...»

«آه، لا إزعاج في نلك، اتريد عصيراً أم قهوة؟»

«كوب عصير، من فضلك، وشكراً.» فسكبت عصير برتقال في كوب وعادت به إليه.

نظرت روز إلى جينا، من وراء ظهره، مشيرة إليها ان تكون اكثر لطفاً معه، فقد كان واضحاً لروز انه كان قد أعاد التفكير في مسألة بيع اسهمه لنيكولاس، ونلك بسبب شعوره بالذنب بالنسبة إلى وفاة السير جورج، وعلى جينا ان تعمق من شعوره هذا، وتستغله لكي يجعله يبيع أسهمه لها هي.

ألقت عليها جينا نظرة جفاء وهي تهز رأسها بخفة ما لم يدهش روز كثيراً، وهي التي تعلم ان ليس من طبيعة جينا ان تخفي مشاعرها الحقيقية، مهما كان مقدار الاعتماد على نلك.

أخذت روز تتأمل فيليب بإمعان وهي تناوله كوب العصير، أي نوع من الرجال هو يا ترى؟

من الواضح انه كان في أوائل العشرينات من العمر، شاباً رشيقاً ذا وجه صبياني وشعر بني ناعم كان يتهدل على احدى عينيه مرة بعد أخرى ما كان يجعله يبعده بحركة مستمرة ضايقت روز، فهي لم تكن تميل إلى الفتيان ذوي الرشاقة والظرف، وهذا الفتى يملك عينين متألقتين فاتحتي الزرقة ما جعلها تظنه تافهاً مغروراً، لقد كانت غالباً ما تلاحظ ان الرجال الذين يملكون أعيناً بهذا الشكل كانوا يميلون إلى الغرور، حتى فمه، كما رأت كان يدل على نلك، فهل تلاحظ جينا كل نلك هي أيضاً، يا ترى؟ كانت روز تعلم انها هي اكثر قسوة في الحكم على الناس، من جينا والتي هي أرق قلباً من ان تظن السوء في احد، شرب بعض

العصير من كوبه، ثم منح جينا إحدى ابتساماته الضارعة، مرة أخرى، هذا إلى نظرة صبي صغير تائه ما جعل روز تتمنى لو ترفسه.

وقال: «صدقيني أنني لم اكن اعلم أي ردة فعل ستحصل إذا أنا بعت نيكولاس كاسبيان تلك الأسهم، لقد اخذ يحدثني عن ذلك اثناء حفلة العشاء، وكنت أعلم ان السير جورج كان يتعامل معه، وان كاسبيان كان سيستلم الصحيفة، اما الذي لم اكن أعرفه فهو ان أسهمي كانت ستمنح كاسبيان السيطرة المطلقة ما يفسد اتفاقاً كان معقوداً بينهما... وعندما انفجر السير جورج بتلك العاصفة من الغضب، فوجئت أنا تماماً بذلك.»

بدا الاخلاص في صوته وملامحه، إذ نظرت روز إلى جينا، أدركت ان الفتى قد ابتدأ يقنعها، على الأقل، وأخذ هو يؤكد قوله: «صدقيني انني لو كان لدي أية فكرة، لما وافقت على البيع على الاطلاق.»

قالت جينا وهي تبتسم له: «انني اصدقك.» وكانت روز تنظر إلى كل ذلك وهي تعلم ان ذلك الصفح الرقيق كان حقيقياً تماماً، وليس لكي تكسب فيليب سليد بإعادته إلى صف تيريل، لقد كانت حثت جينا على ان تكون بالغة اللطف واللياقة حيال فيليب سليد، وذلك لكي تستعيد منه أسهمه، ولكن هذه لم تكن طريقة جينا مطلقاً في التعامل فهي لا تستطيع ان تمثل دوراً، وإنما كانت متأثرة حقاً بما سمعته لتوها، وقد صدقت قصة فيليب سليد، والتي اعترفت روز بأنها تبدو شبه حقيقية، ولكن الموضوع الآن هو هل وقع سند البيع؟ وهل أصبحت أسهمه الآن ملكاً لنيكولاس كاسبيان؟

وضع فيليب كوب العصير وهو يبادل جينا ابتسامتها ثم يقول: «لو كان بإمكاني ان اغير ما حدث، لفعلت صدقيني.»

فقالت برقة: «أنا واثقة من ذلك، وكذلك ، اثقة من أن السير جورج يعرف هذا الآن، هو أيضاً، انني اعلم انه تألم جداً بما كان ظنه عذراً منك له، فقد كان يشعر دوماً بالاعزاز لأسرتك، فقد كان والدك وجدك صديقين حميمين له... كان يثق بهما ويفكر فيك دوماً، أنت أيضاً يا فيليب، ان من المهم جداً بالنسبة إليه ان يعلم بأنك لم تكن تعلم خطورة ذلك العمل.»

اجفل فيليب سليد وبدا عليه الإضطراب فقد كانت جينا تتكلم وكأن الرجل العجوز ما زال حياً.

وجّهت روز عينيها على جينا، متمنية لو أنها تسأله عما إذا كان قد سلم الأسهم إلى نيكولاس، أو ما إذا كان بإمكانه إبطال هذه الاتفاقية، ولكن لم تكن هذه الفكرة تدور في رأس جينا، بطبيعة الحال، وإنما ابتسمت فقط لفيليب وقد اغرورقت عيناها بالدموع.

بدا مسمّراً في مكانه وكأنه يرى حلماً، جيناً بثوبها الأسود الملتصق بجسمها، وشعرها الذي هو بلون أوراق الشجر المتساقطة في فصل الخريف، وبشرتها الشفافة النقية، وفمها الوردي ملتوياً حزناً.. كل ذلك كان بالغ الجمال ما جعل فيليب سليد لا يستطيع تحويل عينيه عنها.

سألته روز أخيراً بنفسها قائلة: «هل تم إنجاز الاتفاقية؟ هل اصبح نيكولاس كاسبيان هو مالك الأسهم الآن؟»

نقل فيليب ببطء عينيه المتأملتين، من جينا اليها وهو يقطب جبينه متمالكاً نفسه: «كلا، لم اتحدث في الواقع، مع كاسبيان منذ ذلك الحين، لقد اتصل بي هاتفياً اكثر من مرة،

ولكنني طلبت مهلة لإعادة التفكير في الأمر.» عاد ينظر إلى جينا وقد عادت الرقة إلى ملامحه: «وكما قلت، لم أحضر الجنازة لأنني كنت لم أقرر بعد ما عليّ ان افعل، ولكنني اظن ان عليّ ان احتفظ بأسهمي.»

فأشرق وجه جينا وقالت: «أحقاً؟ آه، يا فيليب...»

ابتسم سعيداً للطريقة التي نظرت فيها إليه وقال: «سأطلب من المحامي ان يتصل بكاسبيان ويخبره بأنني غيرت رأيي.»

قالت روز باهتمام: «ولكن قد يحاول ان يدعي بأنك ملتزم قانونياً بالإتفاقية، فقد قلت انت نعم، وتصافحتما على ذلك، وفي دنيا المال، يمكن ان يكون هذا عقداً ملزماً.»

أجاب فيليب وهو يهز كتفيه: «ليس في هذه الأيام، وانا واثق من ان المحامي يمكنه ان يجعل ذلك كلاماً فارغاً.»

قالت روز بلهجة جافة: «فلنأمل بأن يكون كلامك صحيحاً، ولكنك تعلم ان نيكولاس كاسبيان لن يعجبه هذا.»

بدا شيء من الضعف على فيليب، ولكنه قال: «انه لا يستطيع ان يأكلني.» وابتسم لجينا ابتسامة صبيانية واسعة، مزهواً بنفسه، «فلحمي غليظ لا يؤكل.»

كانت هذه مزحة منه، فابتسمت له مجاملة.

أنهى فيليب شرابه ثم نهض واقفاً: «حسناً، الأفضل ان اذهب، وانا آسف لهذه الزيارة المتأخرة، ولكنني كنت أتمشى قريباً من هنا، افكر، عندما اكون وحدي افكر بشكل افضل، كما ان المشي يساعدني على ذلك، وكنت قد قررت أمري لتوي عندما أدركت انني اصبحت قريباً من بيتك ورأيت النور مضاء، فاندفعت عند ذلك أرن الجرس...»

ومنحها تلك الابتسامة الصبيانية مرة أخرى، فوقفت جينا تمد له يدها وهي تبادله الابتسام برقة: «انني مسرورة لمجيئك يا فيليب، ان نومي الليلة سيكون افضل كثيراً بعد ان سمعت الآن ما اخبرتني به.»

قال وهو يحملق فيها: «أنا مسرور لهذا.» وفي تلك اللحظة تصاعد رنين جرس الباب بحزم، هذه المرة، فقفزت جينا وتعلقت بيد فيليب.

نظر اليها بدهشة، فهمست جينا قائلة له وهي ترتجف: «انه هو...»

فسألها: «من؟» وعند ذلك سمعوا صوت دفني في الردهة: «لا تستطيع السيدة تيريل ان ترى أحداً هذه الليلة...» ثم ارتفع صوتها: «تعال هنا... ما هذا الذي تفعله؟ لا يمكنك ان تدخل إلى هناك...»

إنفتح الباب على مصراعيه، فشحب وجه جينا وهي ما زالت متشبثة بـ فيليب ناظرة بهلع إلى الرجل الذي وقف على العتبة.

أخذت عينا نيكولاس الرماديتان تجولان في أنحاء الغرفة بنظرات كالثلج، مستوعبة كل شيء... روز جالسة في كرسيها، وكوب فيليب الفارغ على المنضدة الصغيرة... جينا وفيليب يقفان في وسط الغرفة ويداهما متشابكتان.

ثم قال بصوت ناعم أرسل قشعريرة في جسم جينا: «حسناً، حسناً يا سليد، لم أكن أتوقع ان أراك هنا.» واستقرت نظراته على اليدين المتشابكتين وقد ضاقت عيناه، فأسرعت جينا بسحب يدها.

توهج وجه فيليب وتملكه التوتر ونظرات نيكولاس

العنيفة تنصب عليه، لكنه حاول ان يواجه الرجل الآخر بشجاعة: «مرحباً، يا نيكولاس، جئت لكي اخبر جينا أن...» ولكنه أخذ الآن يتعلثم بشكل سيىء وهو يرى نيكولاس ينظر اليه بحقد لا يعرف الصفح: «حسناً، بعد ان أدركت انني اقترفت غلطة... في قولي انني... سابيع أسهمي... و...» سكت فجأة وهو يبتلع ريقه وينظر إلى جينا بجانب عينه فرآها تمنحه ابتسامة عطف رقيقة ما شجعه على إنهاء حديثه بقوله باندفاع: «لقد غيرت رأيي.»

انفجر نيكولاس قائلاً: «ماذا؟» أجفل فيليب وكان هذا السؤال رصاصة اندفعت نحوه.

«أنا...»

فسارعت جينا إلى إنقاذه: «انه لن يبيع أسهمه لك.» قالت ذلك بصوت بارد كالثلج.

حول نيكولاس نظراته المتوعدة إليها: «لا يمكنه التراجع الآن، فقد تصافحنا عند عقد الإتفاق.»

قال فيليب وقد توهج وجهه: «إرفع.. إرفع دعوى عليّ.»

وقالت جينا: «إذا هو لم يشأ ان يبيع فلن يمكنك إرغامه.»

قال نيكولاس مهدداً جينا: «سننظر في هذا الأمر، فانا لن أدع تلك الأسهم تذهب إليك دون قتال، لأنها إذا اصبحت ملكك فستصبح لك السلطة الأولى، وأنت لا تعرفين شيئاً عن إدارة الصحف، فانت ستوقعيننا جميعاً في الافلاس في غضون عدة أشهر.»

قالت جينا: «انه لن يبيعني إياها.»

قطب نيكولاس حاجبيه الأسودين، ونظر إلى فيليب قائلاً: «ما الذي ستفعله بها إذن؟»

أجاب: «سأ... سأحتفظ بها، وسأبيع اسهماً أخرى لأحصل على النقود التي أنا بحاجة إليها، سأحتفظ بأسهم صحيفة سنتنال وسأبقى في مجلس الإدارة.»

جمد نيكولاس في مكانه وهو يحدق إليه بعينين ضيقتين لامعتين: «انني أتساءل عما جعلك تغير رأيك.» وحول نظره نحو جينا التي كانت واقفة وكأنها منحوتة من الثلج، وسألها: «كيف جعلته يغير رأيه؟ عندما دخلت إلى هنا رأيته يمسك بيدك، ما الذي وعدته به بالضبط إذا هو وافق على عدم البيع؟»

فاضت عينا جينا بالإزدراء وهي تجيبه بقولها: «ان لديك عقلاً شبيهاً بفتحة المجاري.»

قال نيكولاس لاوياً شفتيه: «انني أفهم الرجال.»

فقالت جينا بمرارة: «ليس الشرفاء منهم، فانا لم أعده بشيء، لقد غير رأيه لأنه شعر بالذنب بالنسبة إلى السير جورج، انني أعلم ان ليس لديك ضمير أ، ولكن فيليب لديه.»

سألها متباطئاً: «لماذا تمسكين بيده إذن؟»

«كنا نتصافح لأن فيليب كان على وشك الخروج.»

قال نيكولاس وهو يفتح الباب ويشير إلى الفتى بالخروج: «الأفضل إذن ان يخرج.»

فقال فيليب وهو ينظر إليه متحدياً: «سأبقى طالما كانت جينا بحاجة إليّ.»

فقالت جينا وهي تمنحه ابتسامة مرتجفة: «هذه شهامة بالغة منك، يا فيليب، ولكن الوقت قد تأخر، والسيد كاسبيان سيخرج هو أيضاً، تصبح على خير يا فيليب، وأنا شاكرة لك جداً مجيئك هذا.»

فشخر نيكولاس ساخراً، بينما كان فيليب، يقول لجينا:

«تصبحين على خير، إذن... واذا احتجت إليّ فرقم هاتفي في الدليل...» ثم أومأ لروز محيياً، وخرج من الغرفة متجنباً النظر إلى نيكولاس، بينما وقف هذا ينظر إلى جينا عابساً، فقالت له دون ان تنظر إليه: «أرجوك ان تخرج، وأنا اعني هذا، فأنا لا أريد ان أراك أو اتحدث إليك مرة أخرى.»

قال بجفاء: «إذا لم يبعني فيليب أسهمه، فسنشترك أنا وانت في إدارة الصحيفة، فاخبريني بالضبط كيف ستعملين معي دون ان تتكلمي إليّ؟»

احمر وجه جينا قليلاً، وهي تعض شفتها السفلى كطفلة وقد خفضت بصرها وهي تفكر في هذا الأمر، وكانت قد أدركت لتوها ما الذي كان يعنيه تغيير فيليب لرأيه.

وتمتم نيكولاس ساخراً: «هذا ما كان يريده السير جورج.»

ربما هو يسخر منها، ولكن هذا كان صحيحاً، فقد كان السير جورج يأمل ويخطط لهذا الأمر... وهو انها قد تتابع، يوماً ما، ادارة صحيفة سنتنال لتحميها من أن يدمر نيكولاس كاسبيان كل ما تمثله الصحيفة هذه من مبادىء.

قالت: «ربما سيكون عليّ ان أجلس في مجلس الإدارة، ولكن...»

فقاطعها بقوله: «وستعملين في المكتب، أيضاً، فانت تعلمين ان السير جورج كان يريد منك أكثر من مجرد حضور اجتماعات مجلس الإدارة.»

توهج وجهها احمراراً، والتهبت عيناها الخضراوان: «لا أراك تظنني سأعمل لأجلك كما كنت اعمل لأجل السير جورج؟»

«هذا ليس مطلوباً منك، فأكثر الوقت لن اكون موجوداً،

انني ساكون غائباً بقية هذا الأسبوع، لأعود فامضي أياماً قليلة، أعود بعدها لأغيب أسابيع، ولكن بإمكاننا ان نتحدث في أمر مستقبلك صباح الاثنين القادم، فإلى اللقاء ذلك الحين.» وإذ استدار نحو الباب، وقعت عيناه على روز فقال لها بعنف وهو يبتسم: «اقفلي فمك، يا روز، فأنا أرى مكراً في عينيك، تصبحان على خير.»

لم يترك لها فرصة تجيبه، إذ كان قد اصبح في لحظة خارج الغرفة، بينما أخذت الفتاتان تنظران إلى بعضهما البعض بحيرة حين سمعتا الباب الخارجي ينصفق خلفه.

أخيراً قالت روز: «ان الرجل زوبعة بشرية.»

جلست جينا على أقرب كرسي: «لا استطيع العمل معه، حتى ولو لم يكن سيمكث في لندن بشكل دائم، فأنا لن استطيع احتمال ذلك، ان مكوثي معه خمس دقائق في نفس الغرفة، ستجعلني أشعر وكأنني في معصرة.»

أخذت روز تتأملها بإمعان مقطبة جبينها: «هذا ما يبدو عليك الآن، هيا بنا، يا جينا، نذهب إلى الفراش، فأنا نفسي متعبة، وما انا بحاجة إليه هو ثمانية ساعات نوم متتابعة.»

نامت بشكل جيد جداً، ولكن نظرة منها في الصباح، إلى جينا، أدركت منها انها لم تنم على الاطلاق، فقد كان ثمة هالات قاتمة تحت عينيها، بينما وجهها شديد الشحوب، وألحت عليها روز بالخروج معها للتمشي في احدى الحدائق العامة حيث الربيع قد تجلت مظاهره في الأنحاء.

تناولتا الغداء في مطعم لا يبعد كثيراً عن بوابة الحديقة العامة، وكان عازف ماهر يعزف على البيانو اثناء تناول الزبائن الطعام.

وعندما انتهى العزف، اخذتا تصفقان بحماسة، فابتسم العازف وتقدم منهما يتحدث إليهما، ولهذا طلبتا منه الجلوس معهما ليتناول القهوة التي كان سبق وطلبها، كان طالباً في إحدى كليات لندن للموسيقى، كما قال لهما، ولكنه يشتغل عازفاً في المطاعم عدة ليال في الأسبوع وكذلك في عطلات نهاية الأسبوع وذلك لكي يوفر لنفسه نفقاته الشخصية.

التنقل والطعام والموسيقى، كل ذلك أعاد شيئاً من اللون إلى وجنتي جينا، فهي الآن اكثر استرخاء، تبتسم احياناً، واقل اكتئاباً بكثير.

في طريقهما إلى منزل تيريل، قالت روز: «عليّ ان اذهب إلى بيتي، فان لديّ الكثير من العمل. سأعمل عدة ساعات، ولكن إذا أردتني أن أعود اليك فسيسرني هذا.»

قالت جينا باسمة: «كلا، فانا ساكون على ما يرام، اشكرك لوجودك معي الليلة الماضية، فقد كنت مسرورة جداً لذلك.»

انزلتها روز امام بيتها، ثم ذهبت إلى منزلها، كانت توخت أن تبقى باسمة بشوشاً وذلك لأجل جينا، ولكنها ما ان انفردت بنفسها حتى عاد اليها ذلك الشعور بالقلق على والدها، وكان أول ما قامت به هو رؤية ما إذا كان لها رسالة في الهاتف، ولكن مازال لا يوجد خبر من والدها، فعادت تطلبه ولكن دون جواب، أعادت سماعة الهاتف إلى مكانها، ثم سارت نحو النافذة تنظر إلى الشارع أسفل، كانت تسكن في منزل قديم الطراز مبني على سفح تلة، كان المنظر رائعاً، ولكن الوهن كان قد ابتدأ ينال من البيت، فصاحبه لم

يدهنه قط، كما ان الخشب متعفن، وفي الداخل كان الأثاث قديماً ضعيفاً، وكان هناك فئران وخنافس، وكانت الحديقة تعج بالأعشاب الطفيلية... ولكن روز كانت تفضل هذا على صندوق الأسمنت العصري الذي يسمى شقة، بكل أجهزة القرن العشرين الكهربائية والثالية كلها من سحر القديم ودفئه، لم يكن ذهنها الآن يفكر في البيت أو مناظره، على كل حال، فقد كانت مشاعرها تضطرب وهي تفكر في اسئلة لا جواب لها، لماذا لم يتصل بها والدها؟ وإلى أين ذهب؟ ولماذا فعل هذا بذلك الشكل المفاجيء، ودون القيام بأي من ترتيباته المعتادة؟

رن جرس الهاتف فجأة، فقفزت إليه لاهثة: «ألو؟»

سمعت ذلك الصوت المألوف يقول دون أن يعرف بنفسه: «هذا أنا... ألم يأتك خبر عن والدك بعد؟»

كف قلبها عن الخفقان: «كلا، وأنت؟»

فقال دانيال: «كلا.»

تملكها الغضب منه على الفور: «يا لك من معتوه، ظننت لحظة ان لديك خبراً عنه، لقد كدت تسبب لي نوبة قلبية.»

فقال: «ما كان لك ان تقفزي مسبقاً إلى النتائج.»

«لماذا اتصلت بي ما دام ليس لديك أي خبر؟» لقد شعرت بطبعه سيئاً... فما الذي حدث له يا ترى؟

أجاب بخشونة: «ظننته في لندن لأنني اخذت أتصل بك هاتفياً منذ أمس دون جواب منك، فأخذت أتساءل عما قد يكون هناك، والدك يختفي، ثم أنت. أين كنت طوال الليل؟»

توهج وجهها قليلاً: «هذا ليس من شأنك.»

فقال بلهجة قاسية: «أرجو ألا تكوني سهرت مع احد من

المكتب خصوصاً إذا كان متزوجاً، فأنا لا أحب المشاكل.»

فقررت روز ألا توضح له الأمر، ذلك انها لم يعجبها طريقته في الكلام، فقالت وهي تضع السماعة: «وداعاً.» كانت تتوقع، ان يعاود الاتصال، فصممت على ان تتشاجر معه إذا هو فعل، ولكنه لم يتصل. منذ ان كانت تلميذة في المدرسة ودانيال يلقي عليها اوامره، ويمنحها نصائحه وينتقدها وكانت تكره هذا منه، خصوصاً عندما كان يحاول ان يتدخل في حياتها الشخصية، وذلك بالنسبة لعلاقاتها الغرامية، فهو لم يكن يريدها لنفسه، ولكنه كان يظن، كما يبدو ان لديه الحق في أن يختار لها رجلها بنفسه.

مضى وقت كانت تظن نفسها فيه، مغرمة به، وكانت قد تركت مدرستها الانكليزية الداخلية وأمضت سنة في باريس مع والدها حيث أخذت تذهب إلى مدرسة فرنسية لتحسين لغتها، وكان دانيال يعمل في باريس في ذلك الحين، هو أيضاً، فكان يمضي كل أوقات فراغه معها ومع والدها، وهكذا وقعت روز في غرامه، حتى ان قلبها كان يخفق كلما رأته يدخل غرفة، وكانت واثقة من ان دانيال كان مغرماً بها هو أيضاً. فقد كانت عيناه السوداوان تبتسمان دوماً لرؤيتها، وتبدو الحرارة في صوته، وكان يأتي في كل عطلة أسبوعية ليأخذها إلى السباحة أو التزحلق على الجليد أو السينما، واثناء أمسيات الأسبوع كان يسهر معها ومع والدها حين لا يكون أي منهما مشغولاً، ثم يتعشون معاً ويلعبون الشطرنج، أو حتى يجلسون لمجرد الحديث، انه في الحقيقة لم يغازلها قط، ولكنها كان واثقة من ان ذلك سيحدث يوماً ما، فكانت تسير وكأنها فوق السحاب،

والسعادة تدير رأسها، قررت ذات ليلة ان تقوم هي بالمبادرة، حيث ان دانيال يبدو خائفاً من ذلك... فجاءت إليه تعترف بحبها له، وفوجيء هو وشعرت هي للحظة واحدة، بتألق ورقة بالغة في نظراته ما لبثت ان تحولت إلى نظرة ساخرة وهو يبعدها عنه ضاحكاً منها بقسوة منهياً احلامها، بقوله: «ما هذا الذي أسمعه منك، يا فتاتي الصغيرة؟ ما زال أمامك وقت طويل لكي تكبري وتتصرفي كامرأة.» لقد سخر منها، وما زالت هذه الذكرى تسبب لها الاجفال والشعور بالمذلة.

بعد تلك الليلة، اخذت روز تتجنب دانيال قدر امكانها، بينما كان هو ينظر اليها بعينين ساخرتين ما كان يزيد شعورها سوءاً، أما والدها فلم يظهر عليه انه لاحظ شيئاً، ما جعلها تشعر بالارتياح، فهي لم تكن تريد ان يأخذ والدها عنها فكرة سيئة، وبعد ذلك بعدة اسابيع، ترك دانيال باريس إلى حيث التحق بوظيفة أخرى، ثم مضت عدة سنوات قبل ان تقابله مرة أخرى، كانت روز تغيرت بشكل جذري اثناء تلك السنوات، فقد اصبحت اكثر صلابة، وقد صممت على ألا تسمح قط لرجل بأن يجعلها تشعر بمثل ذلك الخزي والإذلال مرة أخرى، ولم تجعل للحب مكاناً في حياتها، فقد كانت مشغولة عن ذلك ببناء مستقبلها من وراء مهنتها بالصحافة، وذلك بتعلم اللغات ودراسة الشؤون العالمية والجغرافيا والتاريخ وكل شيء ضروري لمراسل في البلاد الأجنبية.

كانت سنوات التجوال مع والدها قد جعلتها تتذوق تلك الحياة، فهي لم تكن ترغب في وظيفة نظامية هادئة من التاسعة صباحاً إلى الخامسة مساء، وذلك يومياً ودون

تغيير، فقد كانت روز تحب المجهول وكل شيء جديد غامض، ذلك ما كانت تريده عندما التحقت بهذه المهنة في صحيفة سنتنال فكان ان تملكتها صدمة بالغة وهي تجد ان دانيال كان يعمل في نفس الصحيفة محرراً في مكتب الشؤون الاجنبية هو أيضاً كما انه رئيسها في العمل، اما ما لم تكن تتوقعه، فهو ان يسد الطريق امامها في المهنة، فهو لم يكن يرسلها إلى الخارج إلا عندما لا يكون هناك سواها، وحتى حينذاك، كان يحرص على أن يكون ذهابها إلى الأماكن الآمنة في أوروبا، فالرحلات الخطرة البعيدة كان يرسل إليها الرجال فقط، ناقشته، توسلت اليه لكنها لم تصل إلى نتيجة فقد كان دانيال لا يتراجع عما كان صمم عليه.

في الأيام التي تلت، لم تر روز دانيال كثيراً، ولكنها عندما ذهبت إلى العمل صباح الاثنين التالي، وجدته هناك، رأته من مكتبها في مكتبه الجديد ذي الجدران الزجاجية وهو يسير رائحاً غادياً بقلق، يتحدث بالهاتف في يد، بينما يمسك بيده الأخرى تقرير وكالة أخبار يقرأه، كان شعره الأسود غير منظم كما أنه كان يرتدي قميصاً دون جاكت فوقه، ومفتوحاً عند العنق، كان دانيال يستعد للعمل، كما كان يقول زملاؤه كلما رأوه يفك أزرار قميصه وربطة عنقه، ويلقي بجاكتته جانباً.

حولت عينيها عنه، ثم جلست وابتدأت تتفحص الأوراق القادمة إلى مكتبها، ووقف أحد زملائها بجانب مكتبها وهي تدرس موجزاً لريبورتاجات هذا الصباح لترى مبلغ أهميتها: «حسناً يا روز، هل أعجبك هذا المكان؟ أنا لم أحب العمل هنا، هل لاحظت مبلغ حرارة جو الغرف؟ انهم

رفعوا درجة حرارة جهاز التدفئة المركزية ما جعل الجو خانقاً لا يحتمل.»

وضعت روز الأوراق التي في يدها جانباً، ثم قالت له ضاحكة: «جيمي، انك لا تكون سعيداً إلا اذا وجدت ما يدعو إلى الانتقاد.»

فلوى أساريره: «حسناً، هنالك شيء يجعلك سعيدة، وهو الاجتماع الصباحي بعد نصف ساعة، وأنا واثق من انهم سيرسلون واحداً منا إلى مدينة مكسيكو لتغطية هذا المؤتمر الدولي.»

«ان إدوارد هناك.»

«إدوارد مريض، وهم يشتبهون في اصابته باليرقان بعد ان اصفر جلده.»

قالت روز بذعر: «آه، ما افظع هذا، ان الرعب يتملك زوجته دوماً حين يكون خارج البلاد، وهي تريده أن يعمل في مكتب بشكل ثابت في الوطن.»

فهز جيمي كتفيه: «ان شيرلي امرأة عصبية، وإلا لماذا، في رأيك، إصرار إدوارد على البقاء في البلاد الأجنبية؟»

نظرت إليه عابسة: «يا لك من ماكر، مسكينة تلك المرأة، فهي تحب زوجها، ولا تستطيع ان تمنع نفسها من الشعور بالقلق عليه.» ولكن ذهنها لم يكن مشغولاً بزوجة إدوارد، بل كانت تستعرض بسرعة اسماء المراسلين الذين ليسوا في الخارج، وهي تتساءل من منهم سيرسله دانيال إلى مدينة مكسيكو، فقد كان عددهم قليلاً.

قالت له: «اتظنه سيختارك أنت؟»

فقال بابتسامة ذات معنى: «نعم، هذا ما اظنه، فلا تتعلقي

بالأمل، لأنني اعرف مكسيكو، اما انت فلم تذهبي إليها بعد، أليس كذلك؟»

«بل ذهبت إليها عدة مرات.» وفيما بعد، عندما أثير نفس الموضوع أثناء الاجتماع والذي ترأسه دانيال، كررت نفس دعواها، فنظر اليها دانيال باستخفاف قائلاً: «ذلك عندما كنت طفلة.»

«آخر مرة ذهبت إلى هناك كنت في السابعة عشرة.»

فقال: «بل في الخامسة عشرة.» ثم تمتم يقول: «ولم يكن هذا من زمن بعيد.» فضحك الجميع بينما قالت روز متظاهرة بالهزل بينما كان الاستياء يحرقها: «ولهذا ما زلت اتذكرها جيداً.»

ألقى دانيال عليها نظرة ساخرة: «انك لن تذهبي.»

فقالت باحتجاج: «انك لا ترسلني إلى أي مكان ممتع، على الاطلاق.»

«بل ستذهبين ولكن ليس إلى مكسيكو، انك انت من سيذهب، يا جيمي ان مقعدك محجوز في الطائرة للساعة الثانية بعد ظهر هذا اليوم، وهذا يمنحك وقتاً للذهاب إلى بيتك إذا شئت، لا تنسى اخذ تذكرتك واوراقك من هيلاري، وهي ستخبرك في أي فندق حجزت لك فيه غرفة، كما ان لديها العملة المتداولة هناك.»

أومأ جيمي برأسه وهو ينهض واقفاً، مانحاً روز ابتسامة إغاظة، قائلاً: «أرجو لك حظاً افضل المرة القادمة.»

لم تظهر استياءها من فشلها امام زملائها، فهزت كتفيها بعدم اكتراث: «ابلغ تحياتي لإدوارد إذا انت زرته، واحذر التعرض للعدوى منه.»

أخذ دانيال ينظر إلى القائمة التي في يده وقال: «والآن هناك بولندا، ان بإمكانك ان تتكلم اللغة البولندية يا توم، أليس كذلك؟»

وكان توم نابغة في اللغات، فهو يتكلم كل اللغات الأوروبية تقريباً، فأومأ قائلاً: «متى سيكون سفري؟»

تحدث معه دانيال، وبعد ذلك غادر توم القاعة على الفور، هو أيضاً. ثم اخذ يتحدث عن شؤون العالم الرئيسية التي يرى ان المفروض تغطيتها في نشرة الغد من الصحيفة، وكان قد سبق وزار مكتب التحرير الجديد للتفاهم على الاجتماع الصباحي بين الأقسام، فأعطي الاذن بالسير قدماً في ما يريد تغطيته من شؤون.

كان لديهم مراسلون مقيمون في البلدان الرئيسية، مثل اميركا والهند واليابان وكثير من بلدان أوروبا وغيرها، ولكنهم احياناً يرسلون مراسلاً ثانياً عندما يكون في احد البلدان عدة مشاكل كبرى تجري في وقت واحد، وحالياً كان هنالك عدد من المشاكل الأجنبية تحتل اخبارها واجهة الصحف، وكان كل مراسلي لندن المقيمون، تقريباً، قد أرسلوا إلى الخارج في رحلات قصيرة.

عدا عن روز، كان هنالك اثنان فقط من المراسلين دون عمل يذهبان إليه، فأخبرهم دانيال ان يستمروا في عملهم اليومي في قراءة الصحف الأجنبية ثم يضعان ملخصات لمحتوياتها، مختارين ما يرونه مناسباً لإعادة طبعه في سنتنال.

نهضا يبغيان الخروج، فقال دانيال لروز: «انتظري لحظة من فضلك، يا روز.» وعندما اصبحا وحدهما، قالت بغضب: «لماذا انا دوماً آخر من ترسلونه للعمل؟ لا أريدك أن تقول

انني اتخيل ذلك، انني أعلم ان هذا غير صحيح، ان لديك شيئاً ضدي، فأنت تكرهني فقط لأنني ابنة ديسموند، وجعلك السير جورج تمنحني وظيفة في صحيفته هذه، فأنت تكرهني لهذا السبب، ولهذا ترسل بدلاً مني أي شخص غيري يكون حاضراً، فالآن، مثلاً... انا بإمكاني ان اتكلم الأسبانية بطلاقة، فقد كنت أمضيت في مكسيكو اشهراً مع والدي، كما تعلم، ولم يكن هذا منذ وقت طويل، فلماذا لم تدعني أذهب؟»

رد عليها بحدة، يقول: «لأنني أريد ان ارسلك إلى مونتريال.»

الفصل الثالث

صباح هذا الاثنين، ساور جينا الإغراء في أن تتجاهل أوامر نيكولاس لها، وتبقى في البيت.

كانت قد قالت لهيزل على الهاتف، في الليلة السابقة: «وبعد، فإن لدي الكثير من الأعذار... إن لي الحق حتماً ببضعة أيام عطلة. أولا، لأنني مشغولة جداً بتصفية أمور السير جورج الشخصية. إن عليّ أن اتابع مقابلة محاميه، وأقرأ مستنداته.»

قالت هيزل على الفور: «يسرني جداً أن اقدم خدماتي للمساعدة إذا كان بإمكاني ذلك.»

فقالت جينا متنهدة: «إنك فتاة رائعة، ولكنني أظن أنهم لا يستغنون عنك في المكتب، تباً لهذا الصداع الذي يتملكني... وهذا عذر آخر لي.»

«حسناً، لا تذهبي إلى العمل إذن. إنني سأقول لهم أنك مريضة جداً.»

«لقد كان قال إنه سيغادر لندن خلال بضعة أيام، على كل حال.»

«إذن، فكل ما عليك أن تفعليه هو أن تبتعدي عن الأنظار إلى أن يسافر.»

قالت جينا بتردد: «نعم.»

ولكن إذا هي لم تكن موجودة، فمن الذي سيمنعه من صرف عدد كبير من موظفي سنتنال؟ ولقد ابتدأ فعلاً بذلك

عندما صرف المحرر هاري ديردن والمدير العام جو ماكينلي، جاعلاً مكانهما رجلين من معارفه. وكذلك صرف آخرين، ولكن جينا تشتبه في أن نيكولاس لم يفرغ من هز فأسه بعد. وسيكون هناك موظفون سيعتبرون فائضين عن الحاجة، وآخرون يحالون إلى تقاعد مبكر وهي تعلم أن السير جورج سيتوقع منها أن تناضل في سبيل احتفاظ هؤلاء بوظائفهم. لقد ترك لها إرثاً مزدوجاً، ذلك المذكور في وصيته، والذي هو عبارة عن الأموال والأسهم والبيوت وهي تساوي ما لم تكن تتوقعه قط والتي أثارت الذعر في نفسها... أما الثاني فهو الإرث غير المذكور، والذي هو المسؤولية تجاه الصحيفة التي أسستها أسرته وادارتها عدة أجيال، ومن يعمل فيها.

كانت شغفت بالرجل العجوز، وكانت تعلم ما كان يريدها أن تعمل. وهكذا عادت تتنهد وهي تقول لهيزل: «كلا، إنني سأحضر إلى العمل، فالسير جورج لن يقبل مني الهرب من أول معركة.»

كان المدخل إلى موقف السيارات تحت الأرض في شارع اندي، ولكن السائق أنزل جينا في شارع راتكليف على ضفاف النهر والذي كان هذا الصباح بارداً أغبر اللون كعيني نيكولاس، ومثلها عنفاً ووعيداً. وما أن دخلت إلى المبنى حتى ابتدأ المطر في الهطول.

كانت الساعة التاسعة تقريباً وقد أخذ المجمع يموج بالحركة، مختلفاً جداً عما كان يوم السبت الماضي قبل الجنازة، عندما لم يكن نصف الموظفين في العمل. كان الجميع يسرعون رواحاً ومجيئاً كالنمل في الغابة ورآها

البعض منها، فأخذوا يحيونها وقد بان العطف في ملامحهم وواحد أو اثنان وقف ليحدثها بمقدار أسفه لوفاة السير جورج، فكانت تشكرهما باسمة برقة.

كان الطابق المحتوي على مكاتب المدراء أكثر هدوءاً، فسارت في الممرّ إلى أن وصلت إلى مكتبها حيث كانت هيزل، في تنورتها الرمادية الأنيقة وكنزتها السوداء، جالسة وراء مكتبها. وعندما دخلت جينا رفعت بصرها إليها مبتسمة بحرارة.

«كيف حال رأسك هذا الصباح؟»

قالت لاوية شفتيها: «ما زال بين كتفي.»

فضحكت هيزل: «ولكن الصداع ذهب، أليس كذلك؟»

«نعم، شكراً كيف حالك أنت؟»

«بخير.»

سألتها جينا مازحة: «وكيف حال بييت؟»

فاحمر وجه هيزل: «إنه بخير هو أيضاً. إن الحياة رائعة حالياً، في الواقع يا جينا واتمنى لك نفس الشيء وأن تنتهي كل مشاكلك.»

«شكراً، وأنا أتمنى ذلك أيضاً.» قالت جينا ذلك وهي تنظر إلى الباب المؤدي إلى المكتب الآخر حيث مكتب نيكولاس، ثم قالت مخفضة صوتها: «بالنسبة لذكر المشاكل، هل هو موجود؟»

«نعم، ولدي أوامر بأن ادعوك للتفضل بالدخول إليه حال وصولك.»

«أراهن على أنه قال لك (أرسليها إليّ) وليس (دعيها تتفضل بالدخول).»

«حسناً، لقد ربحت الرهان.» وقلبت هيزل شفتيها.

تنهدت جينا قائلة وهي تنصب قامتها: «حسناً، أظن عليّ التعود على هذا.»

«هل ترغبين في فنجان من القهوة؟»

«نعم، من فضلك. حسناً، تمني لي حظاً حسناً.»

قالت هيزل وهي تضغط زر الجهاز في مكتب نيكولاس: «أتمنى لك حظاً سعيداً.» ثم وجهت حديثها إلى نيكولاس: «السيدة تيريل هنا، يا سيدي.»

فجاءها صوت نيكولاس العميق آمراً: «ارسليها إلى المكتب.»

نقرت جينا على الباب، فسمعته يقول: «أدخلي يا جينا.» دخلت غرفة المكتب مغلقة الباب خلفها ونظراتها تتجه إلى المكتب.

كان نيكولاس يجلس خلفه، كما كانت هي منذ أيام، ولكنه كان يملأ جو الغرفة بشخصية قوية مسيطرة كانت جينا تعلم أنها لن تتوفر لها.

قال مشيراً إلى كرسي في الناحية الأخرى من المكتب: «اجلسي.» فاجتازت الغرفة الفسيحة، على كرء منها، متقدمة نحو المكتب.

استند نيكولاس إلى الخلف في مقعده وهو ينقر على المكتب بأنامله: «إن علي أن استقل الطائرة هذا الصباح إلى روما، ولهذا سنختصر حديثنا. إنني افترض، ما دمت أنت هنا، انك قبلت فكرة أننا سنعمل معاً.» سكت وهو ينظر إليها متحدياً بعنف واصرار.

لم تثق جينا بنفسها في أن تقول شيئاً، وبعد لحظة اومأت بالايجاب.

فقال وقد توتر فمه: «دون نزاع مكشوف لا أريدك أن تظهري لي العداء أمام الناس مرة أخرى، كما فعلت اثناء الجنازة، أو أن تهينيني ايضاً أمام الناس. إنني لم أقل شيئاً آخر مرة تقابلنا فيها لأنني أدركت أنك كنت ما تزالين حزينة مصدومة ولكن إذا حدث هذا مرة أخرى، فسأفعل وربما لن يعجبك ما سيحصل.»

فهمست تقول: «لا تتوعدني.»

أجاب بحدة: «هذا ليس توعداً، بل هو تحذير. إن علينا أن نعمل معاً، ولن يمكننا هذا إذا أنت لم تتعاوني معي.»

قالت جينا بصوت أكثر ثباتاً: «إنني هنا فقط لأن السير جورج يريدني أن أبقى وأبذل جهدي في سبيل مصلحة موظفي سنتنال وأنا سأتعاون معك أثناء ساعات العمل.»

أمعن فيها النظر وهو ينقر بأصابعه وقد توتر فمه، ثم هز كتفيه قائلاً: «أرجو أن يفهم كل منا الآخر، إذن أريدك أن تعملي في هذا المكتب كلما كنت غائباً عن لندن. إن المدير الجديد، سين ييتس سيتولى كل شؤون اصدار الجريدة ورئيس التحرير الجديد فابيان أرنود هو بطبيعة الحال المسؤول عن شؤون التحرير. إن كل الأقسام ستعمل حالياً كعادتها حتى الآن. إنني سأبقي هيزل فورس في وظيفتها السابقة والتي هي سكرتيرة الرئيس المسؤول. وأنت ستكونين عينيّ وأذنيّ، تماماً كما كنت بالنسبة للسير جورج، وكذلك المتكلمة باسمي ايضاً إذا دعت الضرورة لذلك. وفي كل الاوقات ستعملين فقط تحت إدارتي.»

نهضت جينا وضربت المكتب بقبضتها قائلة وقد توهج وجهها: «إنني لن اكون دمية بين يديك.»

فاستمر نيكولاس في كلامه بخشونة، متجاهلاً ما قالت: «إنك ستتصلين بي يومياً، وستحرصين على أن أتلقى خلاصة كل ما يجري هنا... انك ستكتبين كل ذلك وترسليه إلي بالفاكس، في أي مكان أكون فيه. وسأتلقى تقارير أخرى، مالية وصحفية، ولكن ما أريده منك هو رأيك الشخصي في ما يحدث في الجريدة.»

«وأيضاً لا أريد أن أتجسس لأجلك.»

«لا تكوني سخيفة. اتظنين رئيس التحرير يظن أنني اطلب منه التجسس عندما اطلب منه تقريراً يومياً عما ينشره في الصحيفة، وما لا ينشره... ولماذا؟ أو أي صحافي يترك العمل، أو يلحق به أو يأخذ إجازة مرضية؟ كلا بالطبع فهو يعلم أن علي أن أبقى على اتصال مع كل صحفي في اوروبا، وقراءتي لها يومياً لا تخبرني كيف تدار وهذا ما أنا بحاجة إلى معرفته يمكنني أن أكون في أي مكان ولكن من الضروري أن اعوض عن ذلك بشكل ما. إن علي أن اكون على علم بالوضع في كل صحيفة.»

«لماذا؟» لم يكن سؤالها هذا لكي تغيظه وإنما كانت تريد أن تعرف السبب، ولديه كل تلك الصحف، الذي يجعله يشعر بأن عليه أن يراقب كل شيء في كل منها، بمثل هذا الحرص.

نظر إليها بفروغ صبر: «لقد كنت فوجئت مرة بإضراب حصل في احدى صحفي، وذلك منذ سنوات. وقد استمر هذا الاضراب أشهراً وكلفني مبلغاً باهظاً. كان ذلك من الممكن التنبؤ به مسبقاً لو انني كنت أراقب اوضاع الموظفين في تلك الصحيفة، ولما كان ذلك حصل وقد أخذت من ذلك درساً

في الحذر والمراقبة، وهكذا لن يحدث اضراب كهذا أينما كنت، مرة أخرى، فأنا الآن أعرف بالضبط ما يحدث في كل صحيفة أملكها.»

شهقت جينا وهي تقول: «إنك تمزح.»

نظر إليها بجفاء: «كلا.»

«ولكن... كيف... متى يمكنك قراءة كل ذلك؟»

«إن سكرتيرتي الخاصة تلخص المعلومات التي ترسل إلي بالفاكس كل صباح. عليك أن تتعرفي إلى رينيتا... إنها سويسرية من القسم الناطق بالالمانية. وهي بالطبع تعمل في مركزنا في لكسمبورغ، وتدير مكتبي هناك أثناء غيابي والذي يستغرق أكثر الأوقات. إن أكثر بريدي يصل إلى يدها، فإذا وجدت من الضروري أن اقرأه بنفسي أرسلته مع رسول خاص أو، إذا لم تكن أوراقاً سرية، ترسله بالفاكس إلي وعندما تقوم بالتلخيص، إذا رأت أن عليّ أن اقرأ شخصياً أي فاكس معينّ، فهي تضع نجمة بجانب مختصر ترجمتها له، فأرى أنا ذلك الفاكس فأعرف ما تظنه هي ذا أهمية وأنا بطبيعتي، ذو قدرة على السهر ولهذا أقرأ الكثير أثناء الليل.»

حدقت جينا إليه مقطبة جبينها. إن ذلك يفسر الكثير من قدرته على تحمل كل ذلك العبء من العمل ظاهراً، يبدو نيكولاس كاسبيان رجلاً ذا قدرات فوق طاقة البشر. وعندما يجلس إليه الشخص تملأه الطاقة الهائلة التي تنبعث منه، بالهيبة.

رفع نيكولاس حاجبيه ساخراً: «أهي أحلام يقظة؟»

احمر وجهها وحولت نظراتها عنه، وقد أدركت فجأة أنها

كانت تحملق فيه بشكل ثابت مستمر، ولا بد أنه كان يتساءل عما يجول في خاطرها.

فتمتمت تقول: «آسفة...»

قال وقد تغيّر صوته فأصبح أكثر عمقاً وشعوراً: «جينا، هذه حماقة منا... ألا يمكننا أن...؟» حينئذ تصاعد رنين الهاتف فأخذ نيكولاس يشتم بصوت خافت.

تناول السماعة ثم قال بحدة: «أظنني قلت لك إنني لا أريد إزعاجاً.» ثم أخذ يستمع لحظة وقد قطب جبينه: «آه، حسناً جداً. صليها بي.» ونظر إلى جينا قائلاً: «هذا غريب. إنها رينيتا تتصل بي من لكسمبورغ. إنني آسف إذ علي أن آخذ الخط، فلو لم يكن الأمر هاماً لما اتصلت بي، ولكن الحديث لن يكون طويلاً، فهي لا تضيّع الوقت.»

فأومأت جينا تقول: «هل أنتظر في الخارج؟» ابتدأت بالنهوض ولكنه أشار لها بيده أن تبقى: «كلا، ابقي حيث أنت.» ثم أخذ يتحدث في الهاتف وهو يستدير بكرسيه: «رينيتا؟» ابتسم وهو يتكلم فتصلبت جينا في كرسيها وهي تتساءل عما عسى أن تكون العلاقة بينه وبين تلك المرأة. إن اسمها جميل... فهل هي أيضاً جميلة؟ من الواضح أنه يثق بها... لا بد أنها نكية ماهرة. منذ متى تعمل عنده؟ وسرح بها الخيال مكوناً قصة دائرة بين الاثنين، هل هما حبيبان، أما كانا كذلك؟ ورسخت هذه الصور داخل رأسها فجعلتها تشعر بتعاسة بالغة.

كان يتحدث بالالمانية بسرعة وصوت عميق منخفض. وشيئاً فشيئاً وجدت جينا نفسها أن بإمكانها فهم الكلمات الغريبة وهي تتذكر الدورس الالمانية التي كانت تلقتها في

المدرس: «نعم، الحق معك، فالأمر مستعجل. دعيه معي، حسناً ساكون غداً في روما وهناك سأرى فنسنتي وبعد ذلك سآتي إلى لكسمبورغ لا بد أن يكون هناك سواء كان مشغولاً أم لا.» وأخذ نيكولاس يستمع قليلاً، ثم ضحك قائلاً: «إلى اللقاء يوم الخميس أو الجمعة على الأكثر. وداعاً يا رينيتا.»

وضع السماعة ثم أخذ يحدق إلى مكتبه لحظة وكأنه نسي وجود جينا بينما كان ينقر بأنامله على المكتب غائب الذهن. لقد كانت تعلم أنه يفعل ذلك دوماً عندما يكون مستغرقاً في التفكير، فقد طالما رأته يفعل ذلك.

ثم رفع بصره إليها، وقال وهو يتخلل شعره بيده: «آسف، أين كنا؟»

«كنت تطلب مني أن أرسل إليك موجزاً عما يحدث في سنتنال يومياً.»

«نعم، أرسلي الفاكس إلى لكسمبورغ وستحوله رينيتا إليّ.»

فقالت: «للمزيد من التلخيص.»

قال بابتسامة صارمة: «إنها ترسل الفاكس كاملاً. ولكن خلاصة ما يكون عليك أن ترسليه يدخل في تلخيصها اليومي. إنني سأقرأ الفاكس الذي ترسلينه إذا كنت بحاجة لذلك.»

فتمتمت تقول: «أو بالأحرى إذا رأت سكرتيرتك أنك بحاجة إلى ذلك.»

التمعت عيناه: «في حالتك أنت، قد أجعل المراسلة شخصية.» وابتسم بعنف.

شحب وجه جينا، ثم قالت بلهجة جليدية: «لا تفعل هذا، من فضلك.»

«إنك ستستعملين هذا المكتب اثناء غيابي، وعندما اكون هنا ستشاركين هيزل مكتبها، إلا إذا كان لديك اعتراض على ذلك...»

قاطعته قائلة: «كلا، ليس لديّ اعتراض على ذلك طبعاً.»

فاوما قائلاً: «إنني أعلم انكما صديقتان فرأيت انكما ستنجحان تماماً. إن مكتبها فسيح تماماً ويمكنه أن يستوعب مكتباً آخر. والآن، عليك أن تحتفظي بنسخة عن كل كلمة ترسلينها بالفاكس إليّ. فإذا كان ما تريدين إخباري به سرياً، فسترسلينه بيد موظف إلى لكسمبورغ.»

«هل سيكون عليّ أن استمر في التلخيص أثناء وجودك هنا في لندن؟»

«نعم، أظن ذلك. ففي الاستمرار في ذلك فائدة، ومعلوماتك ستعطي صورة واضحة عن كيفية إدارة الصحيفة سنتنال. وبهذا يمكنني أن استخرج في المستقبل أي معلومات احتاجها.»

قالت: «إن هذا لن يأخذ النهار بطوله لإنجازه، أليس كذلك؟»

«أريدك أن تنجزيه قبل كل شيء في الصباح وسرعان ما ستتمكنين من كتابته في خلال ساعة، أو ساعة ونصف على الأكثر، وبعد ذلك عندما لا أكون هنا، سيكون لديك عمل كثير عليك إنجازه، إذ تمثلينني كما تمثلين نفسك. تذكري أنك ستكونين الآن في مجلس الإدارة.» وسكت لحظة ثم قال بفتور: «إنني جعلتك نائبة الرئيس.»

شهقت جينا بعجب: «نائبة الرئيس...؟ ولكن... ماذا يستدعي هذا أن أعمل؟»

فقال: «عمل كثير ستعرفينه فيما بعد. أما بالنسبة للحاضر فعليك أن تلزمي المكتب هنا إلى أن اعود.» نهض ودار حول المكتب، فنهضت جينا بدورها ووقفت عندما وقف بجانبها.

لم تحتمل أن تكون قريبة منه بهذا الشكل. ربما تحدث نفسها بأنها تكرهه، ولكنها لا تستطيع منع مشاعرها من أن تتحرك نحوه. فقد أخذ قلبها يخفق لمجرد أنه وقف إلى جانبها. حولت عينيها عنه وهي تحاول السيطرة على مشاعرها تلك.

سألها: «أتعلمين أن بييت يخرج مع هيزل؟» وعندما اومأت إيجاباً، عاد يقول: «ألا يزعجك هذا؟»

نظرت إليه قائلة: «إنني من الاشغال بحيث ليس في حياتي فسحة للرجال، على كل حال.»

«آه، أحقاً؟» قال ذلك وعيناه تلتمعان، وإذا بالهاتف يعود إلى الرنين فتحول نحوه عابساً يجيب، واغتنمت جينا الفرصة فانسلت خارجة من غرفة المكتب.

• • •

في عصر ذلك اليوم، كانت روز في الطائرة المتوجهة إلى مونتريال ترشف كوباً من المياه المعدنية وهي تدون ملحوظات عما عليها أن تفعله هناك.

استدارت تحدق من خارج النافذة. كانت غيوم بيضاء تسبح تحتهم، وكان الجو هادئاً صافياً ممثلاً يوماً ربيعياً رائعاً.

كيف الجو في مكان إقامة والدها، يا ترى؟ أخذت تتساءل عن ذلك عابسة. لماذا رحل بعيداً تاركاً حياته هنا؟ هل تملكه السأم؟ هل حياته ككاتب بين أربع جدران لم يعجبه؟ هل هو مريض؟ أم هل استدعي فجأة بشكل عاجل إلى مكان ما فنسي القيام بالترتيبات المعتادة قبل الرحيل؟

كان من السهل الدخول إلى شقته، كما قالت لها السيدة غاسبارد عندما اتصلت بهم تخبرهم بمجيئها. فقد كان والدها متفقاً مع امرأة تأتي لتنظيف الشقة مرة في الأسبوع وذلك أثناء وجوده في مونتريال وكانت السيدة غاسبارد تعرفها فتطوعت بأن تحضر المفتاح منها وتسلمه لروز عند حضورها إلى مونتريال.

رسمياً، كانت رحلتها هذه بتكليف من دانيال لكتابة مقال عن السياحة في مونتريال، طلباً لجذب الاعلانات عن هذا الأمر.

كانت الصحيفة قد سبق وأرسلت مراسلاً إلى القسم المتكلم بالانكليزية من كندا، ولكن طلب من دانيال أن يرسل مراسلاً يتكلم الفرنسية وذلك إلى كويبك والمصورون المحليون سيجهزون مجموعة كبيرة من الصور الفوتوغرافية.

كانت قد قالت لدانيال بعد أن شرح لها مهمتها: «أشكرك لارسالك لي.»

فهز كتفيه قائلاً: «حتى ولو لم أكن أعلم انك ستبحثين عن والدك، فأنا كنت سأجدك الخيار الأفضل لذلك. فأنت تعرفين المدينة بشكل أفضل مما يعرفه أي شخص آخر ما عداي.» فقد كان هو قد ولد في مونتريال أيضاً من أسرة

فرنسية كانت هاجرت إلى هناك بعد الحرب العالمية الثانية.

فقالت له: «ومع هذا فأنا اعترف بفضلك علي.»

ابتسم قائلاً: «لا تظني أنني لا أتذكر.»

كانت تعرف معنى النظرة التي بدت في عينيه. فقد كان دوماً يحاول استفزازها، ولكنها اليوم كانت صممت على ألا تتشاجر معه.

ردت عليه بحدة: «إنني واثقة من أنك لا تنسى.» لقد نظر إليها دانيال حينذاك، بإمعان وقد تغير وجهه وتألقت عيناه السوداوان فجأة. تملك روز الاضطراب فجأة، وأخذ قلبها يخفق وتملكها الذعر. وما لبثت أن استدارت قائلة: «أرى أن اذهب لأعد نفسي للسفر.»

كان دانيال قد استعاد حزمه مرة أخرى، وامتلأت عيناه سخرية، ولكنه أجابها بهدوء: «من الواضح انك ستبحثين عن والدك أثناء وجودك هناك، ولكن لا تنسي القيام بالعمل الذي أنت مرسلة لأجله.»

فقالت بلهجة متوترة: «لن أنسى.» لم تكن مهمتها صعبة، فهي مثل دانيال قد عاشت في مونتريال اثناء طفولتها، ولم تتركها إلا بعد أن توفيت والدتها وابتدأ والدها جولته الصحافية حول العالم. فهي لم تنس تلك المدينة قط. وفي السنوات الأخيرة أخذت تذهب مع والدها إلى هناك لمرات كثيرة.

كان قد عاد للعمل هناك مرة أخرى في صحيفة كندية فرنسية تدعى الصحافة وذلك في مونتريال حيث تعرف إلى دانيال لأول مرة والذي كان قد دخل لتوه مهنة الصحافة.

ومن خلال والدها، تعرفت روز إلى كثير من رجال الصحافة، فهي بإمكانها أن تتصل على الفور بكل المصادر لكي تنجز المقالة التي طلبها دانيال منها وكانت رحلتها ستطول ثلاثة أيام، وهذا يعني أنها ستجد الوقت الكافي للتجوال في المنطقة حيث شقة والدها، فتتحدث إلى اصدقائه وترى إن كان بإمكانها أن تجد أثراً يدلها على مكانه.

حاولت أن تنام مريحة رأسها على الوسادة الصغيرة التي احضرتها لها مضيفة الطائرة مع بطانية تغطت بها، ولم تنس قبل كل شيء، أن توقت ساعتها على ساعة مونتريال، كما علمها والدها.

عندما هبطت الطائرة في مطار ميرابيل أسرعت في الخروج حيث أنها لم تحضر معها سوى حقيبة سفر خفيفة. ثم استقلت تاكسي إلى المدينة. تملكها الارتياح وهي تجد الجو ربيعياً صحواً رغم بقايا الثلوج على جانبي الطريق، والتي جعلت البرودة كما تعهدها.

سارت بها السيارة عدة أميال وعندما أخذت تنظر إلى اشارات السير المكتوبة بالفرنسية، تملكها الشعور المعتاد بأنها قادمة إلى وطنها.

كانت لغة روز هي الفرنسية وذلك إلى حين وفاة أمها والتي كانت فرنسية الأصل. وهكذا عاشت في شقتهما الصغيرة في مونتريال في بيئة فرنسية حيث كانت أمها تغني لها بالفرنسية، وتقرأ لها قبل النوم حكايات بتلك اللغة.

عندما رحلت أمها، وكانت روز في السادسة، انتقل بها والدها إلى انكلترا حيث استلم عملاً في صحيفة سانتنال

وقد أدركت فيما بعد أن والدها كان شعر بأنه يريد الابتعاد عن المدينة التي كان يعيش فيها سعيداً. فقد كانت مونتريال مليئة بالذكريات الحزينة. أما بالنسبة إلى روز، فقد كان حزنها لهذا التغيير في حياتها يوازي حزنها لوفاة والدتها.

لم تنس قط يومها الأول في المدرسة الجديدة، حيث كانت طفلة صغيرة شاحبة يتملكها الخوف والاضطراب وهي ترى نفسها محاطة بهؤلاء الغرباء ذوي الألسن الأعجمية. لقد جلست إلى طاولتها حينذاك تبكي أمها وتملأها التعاسة.

أما ما حدث معها أثناء السنوات القليلة التالية فقد كان صفحة بيضاء في ذاكرتها. ولا شك أنها قد ابتدأت تتخذ اصدقاء حالما تعلمت شيئاً من الانكليزية، وسرعان ما أصبحت تتكلمها بطلاقة. وعندما بلغت الثامنة تملكتها صدمة أخرى. فقد انتقل والدها إلى وظيفة مراسل أجنبي وأخبرها أنها ستذهب إلى مدرسة داخلية وذلك أثناء وجوده في الخارج.

لقد كرهت روز السير جورج لأنه قدم لوالدها تلك الوظيفة التي أبعدته عنها. ولم تكن تعلم أن والدها كان ينتظر لحظة تكبر فيها هي إلى حد يكفي لكي يتمكن معه من تركها والانطلاق في عمله بصفة مراسل أجنبي، وهو العمل الذي كان يتمناه على الدوام. كل ما كانت تعلمه هو أنهم أبعدوها عن والدها.

كان والدها قد قال لها: «ترين يا روز أنني سأجول حول العالم، لا أدري، بين دقيقة وأخرى، أين ساكون فأنا لا استطيع أن اجرك معي وإذا كان علي أن اقلق لأجلك فلن أتمكن من القيام بعملي على الوجه الأكمل. فأنت بحاجة إلى

مكان آمن تعيشين فيه بسلام وهدوء وقد وجدت لك مدرسة داخلية جيدة في الريف حيث ستعيشين في الهواء النقي وسيكون لديك اصدقاء تلعبين معهم.»

لقد انهمرت الدموع من عينيها وهي تنشج باكية: «أبي، لا أريدك أن تتركني خذني معك...»

ولكنه أجابها: «لا أستطيع، يا روز آسف ولكنني لا استطيع، ولكن هذا لن يكون إلى الأبد، كما تعلمين فنحن سنمضي الإجازات معاً، والعطلات الصيفية في فصول الصيف.»

لكنها لم تستمع إليه وأخذت تبكي بصمت ما جعل صبره يفرغ فيقول: «لا فائدة من البكاء، يا روز. فهذا ما سيكون.» وكان قوله هذا فاصلاً.

بقي الفصل الدراسي الأول في ذاكرتها ممثلاً ثاني أكثر الفترات حزناً في حياتها.

لقد كانت واثقة من أن والدها قد هجرها ورحل عنها إلى الأبد كما فعلت أمها من قبل. كانت تبكي كل ليلة على وسادتها حتى رسائل والدها وبطاقاته الملونة لم تخفف عنها. ولم ترتسم البشاشة على وجهها إلا بعد أن انتهى الفصل الدراسي الأول، ووضعت في طائرة مسافرة إلى مصر حيث كان والدها في انتظارها في مطار القاهرة.

أخذت بعد ذلك تمضي كل إجازة طويلة مع والدها أينما كان المكان الموجود فيه، طالما هو آمن بالنسبة إليها، وكان غالباً كذلك. لقد عشقت تلك العطلات وما كانت تراه من مناظر جديدة وشمس ساطعة وأماكن غريبة. وقد بعثت

أسفارها الغيرة في نفوس رفاقها في المدرسة وجعل لها سمعة في الحنكة ومعرفة العالم.

وحيث أنها دوماً كانت تتعلم شيئاً من لغة البلاد التي كانت تزورها، فقد ساعدها هذا كثيراً عندما قررا أن تكون مراسلة أجنبية، وهذا طبعاً يحتاج إلى تعلم لغات عديدة قدر الإمكان. وقد اكتشفت أثناء تلك العطلات الصيفية مع والدها، أن لديها استعداداً فطرياً لتعلم اللغات بسرعة، وكذلك غراماً برؤية البلدان المختلفة وسكانها.

تعلمت روز أن ليس ثمة خبرة دون ثمن فقد علمها موت والدتها أن تحتمل الأحزان وزادتها وحدتها بعد ابتعادها عن والدها، جلداً على مجابهة ما يأتي به الدهر.

كانت التاكسي قد وصلت الآن إلى المدينة ثم دخلت في الشوارع الضيقة المزدحمة وعندما نظرت حولها، أدركت على الفور أين أصبحت. كانت على بعد شوارع قليلة من المرفأ وشقة والدها فاقتربت من زجاج النافذة وأخذت تنظر وقد تملكتها البهجة.

بعد ذلك بخمس دقائق، كانت تقف في طريق جانبي تنظر إلى شرفة شقة والدها، شبه آملة في أنها سترى النافذة مفتوحة وتسمعه يناديها. ولكن النوافذ بقيت مغلقة. تنهدت روز وهي تصعد السلم إلى حيث مدخل الشقة، ثم قرعت جرس الباب المكتوب عليه اسم غاسبارد.

فتحت الباب السيدة غاسبارد، وهي امرأة صغيرة الحجم ذات شعر أسود خطه الشيب، فحيتها بحرارة والحت عليها بالدخول لتناول القهوة قائلة: «لا بد أنك متعبة بعد تلك الرحلة الطويلة من لندن. وأنا آسفة لأن زوجي ليس هنا إذ

أنه في زيارة لشقيقه هنري الذي يعمل في المتحف في مدينة فودريل.» وأثناء صنعها القهوة كانت تتحدث إلى روز بسرعة لم تتمكن هذه من مقاطعتها: «هل أنت جائعة؟ هل أصنع لك طبق عجة؟ استطيع أن اصنعها لك بأسرع من غمضة عين، وستكون الذ عجة تتذوقينها في حياتك.»

أخذت تضحك لمديحها لنفسها، وهي تتابع قائلة: «ولكن هذا صحيح، فأنا اعشق الطبخ، وما تحبينه يمكنك صنعه جيداً على الدوام.»

قالت لها روز مجاملة: «دوماً كان أبي يقول إنك طاهية ماهرة هل تذكرين آخر مرة رأيت فيها أبي؟ هل أنت واثقة من أنه لم يمنحك فكرة عن مكان ذهابه؟»

أجابت المرأة لاوية شفتيها: «حتى إنه لم يشر إلى أنه مصمم على السفر. كنا نتحدث في أمور عديدة، ولكنني لا أنكر شيئاً مما كنا نقوله. ولكن لو أنه كان مصمماً على الرحيل لأخبرني بذلك فهو دوماً يفعل ذلك.» نظرت باهتمام إلى روز وقد عقدت حاجبيها: «حتى إنني لا أعرف متى رحل لأننا كنا في الخارج طوال ذلك النهار وعندما عدنا وجدنا جيجي جالسة على عتبة بابنا وما أن رأتنا حتى أخذت تموء جائعة فقلت لزوجي أترى السيد قد نسي اطعامها مرة أخرى؟ لأن هذه كانت عادته عندما يكون مستغرقاً في العمل وهكذا قرعت جرس شقته، ولكنه لم يجب كما انني لم أسمعه يطبع على الآلة الكاتبة، وهكذا اطعمت جيجي، ولم افكر بعد ذلك في الأمر ولكنها عادت في اليوم التالي فادركت أن والدك لا بد قد سافر كما أنك لا تعرفين مكانه. أرجو ألا يكون قد حدث له شيء.»

وضعت روز فنجان قهوتها ثم نهضت واقفة وهي تقول: «آه، إنني واثقة من أنني سأجد رسالة في شقته لأجلي يشرح لي فيها الأمر. شكراً يا سيدتي.»

حملت حقيبة ملابسها الصغيرة وصعدت إلى شقة والدها الكائنة فوق شقة آل غاسبارد. كان في الشقة غرفتا نوم صغيرتين، وغرفة جلوس تفتح نافذتها على الشرفة والتي كان يتناول فيها الطعام عندما يكون الجو دافئاً، أما عندما يكون بارداً فقد كان يحب تناول الطعام في مطعم بالغ الدفء.

كانت الشقة نظيفة للغاية على غير العادة ولا بد أن المرأة المكلفة بالتنظيف قد بذلت جهدها في ذلك منذ غياب والدها. ذلك أنه اثناء وجوده كان يلقي بالكتب والصحف في كل مكان. وضعت روز حقيبتها على الأرض وأخذت تطوف الشقة تبحث عن أثر يرشدها إلى أبيها رغم أنه لم يكن لديها فكرة عما تبحث عنه في الواقع. لا بد أن يكون قد ترك رسالة. ولم تعرف ما إذا كان قد أخذ معه ملابس إذ لم يكن يبدو أن هناك فراغاً بين قمصانه وبذلاته في الخزانة.

وأخيراً، تخلت عن تفتيش الشقة وصنعت لنفسها شيئاً من القهوة، ثم جلست خلف مكتب والدها وبجانبها الهاتف والدليل. لكنها قبل كل شيء فتحت دفتر العناوين الخاص بأبيها والذي وجدته في الدرج الأعلى من مكتبه. ربما الأفضل أن تبدأ بالاتصال بأصدقائه في الصحافة. وبهذا يمكنها أن تضرب عصفورين بحجر واحد. فهي تسألهم عما إذا كان أي منهم يعلم شيئاً عن مكان أبيها وفي نفس الوقت ترى ما بإمكانهم أن يخبروها به عن السائحين في مونتريال ووسائل اجتذابهم.

أخذت ترشف قهوتها وتحدق في الصفحة التي انفتح عليها دفتر العناوين. كان ثمة بقعة بنية اللون على الصفحة اليمنى. وعقدت روز حاجبيها مفكرة. كانت تعلم ما هذا الشيء... فقد كانت هذه بقعة خلفها فنجان قهوة كان موضوعاً على الصفحة ليبقي الدفتر مفتوحاً.

كانت هذه إحدى عادات أبيها السيئة والتي اكتسبها خلال سنوات من العمل بسرعة، فيكتب بيد واحدة، ويمسك الهاتف بيد أخرى بينما يبقي الدفتر مفتوحاً بوضع الفنجان عليه. وقد طالما تجادلت هي معه خوفاً من أن يتلف الدفتر.

نظرت إلى الصفحة اليسرى من الدفتر بسرعة. كان ثمة سطران عليهما كتابة باللغة الفرنسية، وكذلك عنوان في باريس دون اشارة إلى اسم صاحب العنوان، كما لم يكن هناك رقم هاتف. كانت روز تعرف المنطقة الواقع فيها هذا العنوان في باريس، ولكن هذا لم يكن يعني شيئاً. فوالدها يعرف مئات من الناس في باريس... فهذا العنوان قد يكون كتب في أي وقت كان في الماضي.

ما عدا أن الدفتر انفتح من نفسه على تلك الصفحة وكان فنجان القهوة قد وضع هناك من وقت قريب جداً، ولمدة طويلة.

قررت أن تتصل بالاستعلامات الهاتفية وترى إن كان بإمكانها أن تحصل على رقم هاتف ذلك المسكن. ولكن هذا كان مستحيلاً معرفته ما دام ليس هنالك اسم، كانت تعلم هذا، ولكن يأسها دفعها إلى المحاولة.

لكن هذا لم يأت بنتيجة، وضعت روز السماعة ثم جلست

تفكر عابسة وهي تتساءل عما إذا كان الأمر يستحق تجربة وسائل أخرى لمعرفة صاحب العنوان. إن بإمكانها أن تتصل بأحد ما في باريس وتسأله إن كان بإمكانه أن يعثر على شيء. وابتدأت تبحث في دفتر عناوين أبيها، وبعد لحظة تصاعد رنين الهاتف ما جعلها تجفل للمفاجأة.

مضت لحظة لم تستطع فيها التحرك، إلى أن اصبحت فجأة مقتنعة وكأنها في حلم بأنها ستسمع صوت والدها في الهاتف فأمسكت بالسماعة وهمست: «أبي؟ أهذا أنت؟»

www.elromancia.com

الفصل الرابع

وإذا بصوت دانيال العميق يقول: «كلا، انه أنا.»

أطلقت آهة طويلة ثم قالت: «آه، مرحباً.» ثم أردفت ساخرة: «انني لم أبدأ العمل بعد، فقد وصلت لتوي، امنحني فرصة لذلك.»

فقال: «لقد اتصلت لأعرف ان كنت وجدت خبراً عن والدك، هل أفهم من سؤالك لي انك قد وجدت والدك؟»

«كلا، ليس ثمة أثر له على الاطلاق، وقد مضى على رحيله ايام الآن، وذلك دون كلمة واحدة منه.» كانت اكثر قلقاً مما جرؤت على الاعتراف به له، ولكنها لم تستطع ان تلغي القلق من صوتها.

سألها دانيال بحدة: «لماذا إذن ظننت انني قد اكون والدك؟»

فأجابت بصوت باك تقريباً: «لا أدري... فقد ظننت لسبب أحمق، انك قد تكون هو، كنت جالسة هنا افكر فيه وإذا بجرس الهاتف يرن، وكأنه كان جواباً لأفكاري.»

«انت ما زلت تعانين من تعب السفر، الأفضل ان تذهبي إلى فراشك.»

فقالت: «سأذهب حالاً.» ثم حدثته عن دفتر العناوين، قائلة: «لقد اتصلت باستعلامات الدليل ولكنهم لم يستطيعوا ان يفيدوني بشيء حيث انه لا يوجد اسم مع العنوان.»

«من الممكن ان يكون كتب ذلك العنوان في أي وقت.»

«أعلم ذلك، ولكن...»

«لا تخبريني بأن فطنتك الأنثوية تقول لك بأن هذا العنوان هام.»

تنهدت قائلة: «هذه حماقة، أليس كذلك؟ آه، إنسى ذلك، ربما هذه مجرد تخيلات مني.»

فقال ببطء: «انك على الأقل تفكرين كامرأة.»

فصرفت بأسنانها غيظاً: «ألا تتعب أبداً من المزاح بهذا الشكل؟ لماذا لا تنسى ابداً انني امرأة؟ وبماذا يؤثر جنسي على قدرتي في التفكير أو العمل؟»

فقال: «بكل شيء، تماماً كما يؤثر جنسي في كل شيء أقوم به أو افكر فيه، ولكنني لن أضيع الوقت في مجادلتك عبر الهاتف اعطيني ذلك العنوان وأنا أرى ما بإمكاني ان اعرفه عن السكان.»

حاولت ان تتناسى غيظها منه، ثم قالت: «فكرت في الاتصال بأصدقاء والدي في باريس وأسالهم ان كانوا يعرفون سكان هذا العنوان.»

«سأتصل انا ببعض الاشخاص، وبالمناسبة، لقد طرد نيكولاس مراسلنا في باريس، ولم يضع مكانه أحداً بعد.»

جمدت روز في مكانها، وضاقت عيناها: «إذن، فهناك وظيفة شاغرة في باريس؟»

فقال: «لا تفرحي، فأنت صغيرة جداً لوظيفة كهذه، انها ستمنح لشخص اكثر خبرة منك بكثير، وقد يكون شخصاً عاش في باريس مدة طويلة، فقد رأيت القائمة التي تضم المتقدمين لهذه الوظيفة ولم يكن اسمك بينهم.»

«لكنني لم اكن اعلم بوجود هذه الوظيفة؟ ولهذا لم اتقدم

اليها منذ متى عرفت انت بها؟ لا بد انك علمت بذلك منذ أيام، فلماذا لم تخبرني عنها قبل الآن؟»

فقال: «لكي لا تضيعي وقتك في التفكير فيها.»

انفجرت فيه غاضبة: «انك تعرقل طريقي إليها متعمداً.»

«هذا غير صحيح، لأن ليس لديك ذرة من الحظ في نيل هذه الوظيفة.»

تصورته امامها بعينيه الساخرتين، والتهكم يكسو ملامحه، فصرخت فيه ثائرة: «انك تحاول ان تحطم مهنتي منذ وصولي إلى لندن، انك تكرهني على الدوام وتريد النيل مني...»

فقاطعها بخشونة: «إذهبي إلى فراشك، فقد تملكتك الهستيريا، سأتلطف بها فأسميها دوار السفر، ولكنها مهما تكن، فأنا لا أريدك ان تقذفيها في وجهي عبر أسلاك الهاتف.

قال ذلك وأقفل الهاتف في وجهها، فألقت بسماعتها، هي الأخرى، بعنف وهي ترتجف، لشد ما تكره دانيال بروني، فهذه الوظيفة في باريس هي ما تريده بالضبط، وهي مؤهلة تماماً لها، فهي تتكلم الفرنسية بطلاقة كأهلها، وتفهم السياسة الفرنسية كأي شخص آخر، كما انها تعرف البلاد تماماً خصوصاً وانها من أصل فرنسي جزئياً فمن الطبيعي ان تكون مؤهلة طبيعياً لهذه الوظيفة في باريس.

كانت واثقة من انها كانت ستتمكن من اقناع نيكولاس كاسبيان بإعطائها الوظيفة، أيضاً، وذلك فقط لو ان دانيال لم يكن يتدخل ضدها، فلماذا يحاول دوماً ان يبعدها عن العمل في البلاد الأجنبية؟ لماذا هذا العداء منه لها؟ هل لأنها ابنة والدها ديسموند إيميري، وكان دانيال يغار منها على الدوام لذلك؟ لقد كان والدها مثله الأعلى في مطلع شبابه

فأخذ يغار منها لأنها ابنته... ولكن هل يستمر ذلك الحسد وتلك الغيرة طوال تلك السنوات؟

استعدت للنوم وذهنها مشغول بدانيال وفي الحقيقة، كان دانيال يشغل بالها معظم حياتها كامرأة، فهي تكرهه، وتحبه، وتحتقره.

ولكن، ماذا كانت حقيقة شعوره هو نحوها؟ كم كانت متلهفة لتعلم ذلك، إذ منذ اللحظة التي وصلت فيها إلى لندن، أخذ يجعل حياتها صعبة بالنسبة إليها، كلما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وكانت هي واثقة من انه كان يرغب في اقصائها، ربما إلى صحيفة أخرى. اثناء اغتسالها وارتدائها بيجامتها التي احضرتها معها من لندن في حقيبتها الصغيرة، كان ذهنها مشغولاً بحقيقة شعور دانيال نحوها، احياناً كانت واثقة من انه يكرهها، وأحياناً كان يتملكها شعور غريب بأنه...

سكتت فجأة وقد تملكها صداع عنيف، يجب ان تكفّ عن التفكير فيه، فقد كان هذا يسبب لها الشعور بالمرض، وأسرعت إلى الغرفة الاحتياطية التي كانت تعلم ان والدها احتفظ بها لاستعمالها اثناء زياراتها النادرة له. وكانت مفروشة ببساطة أنيقة بستائر صفراء، وتغطي أرضها الخشبية بسط مصنوعة باليد كانت تتذكرها منذ الطفولة، وعندما كان يغير مكان إقامته كان يحفظها في مكان خاص.

كان السرير مغطى بلحاف قديم حائل الألوان، مصنوعاً باليد من الخرق القديمة، وعندما كانت صغيرة كانت تحدق حالمة في المربعات من الحرير والقطن التي كانت تشكل غطاء اللحاف، وتتصور الأثواب الجميلة التي جاء منها.

كان هذا اللحاف قد صنعه أحد أسلاف والدها، وهي عمة جدها والتي كانت عاشت في مزرعة في كويبيل في القرن التاسع عشر، عندما كانت روز طفلة لم يكن مسموحاً لها قط بأن تضعه على سريرها، وكانت تتوق إليه على الدوام كما كان والدها يعرف جيداً، كانت منذ سنوات ستشعر بسرور بالغ لو كانت تغطت به، ولكنها الآن اكبر سناً واكثر حكمة. وقبل ان تصعد إلى سريرها، طوت اللحاف بعناية ومحبة، ووضعته على كرسي، فقد كان اكبر قيمة من ان يستعمل لغير العرض على السرير، كما ان جهاز التدفئة المركزي كان يجعل جو غرفتها دافئاً للغاية.

استغرقت في نوم عميق بعد ان أرهقتها رحلتها الطويلة تلك، ولكنها ما لبثت أن استيقظت إثر حلم لم تشأ ان تتذكره، فقد كان عن دانيال، وكان جسدها يرتجف وقد غمرته البهجة، أضاءت النور وجلست لا تريد ان تفكر في الحلم، وبدلاً من ذلك أخذت تقرأ في أحد كتب والدها مدة نصف ساعة قبل ان تعود إلى النوم.

وفي الصباح كانت ما تزال تشعر بالدوار من أثر السفر، وكان الصداع مازال يتملكها، وحيويتها منخفضة. قامت بسلسلة من الاتصالات الهاتفية، واخذت مواعيد مع مختلف الأشخاص الذين سيفيدونها، ولكن كان من المرهق لها أن تعمل بينما تحس بكل هذا الخمول والتعب، وأخيراً قررت ان تمضي ساعة في معهد ليزا للتجميل والذي كانت قامت بزيارة له في آخر مرة جاءت فيها إلى مونتريال حين أرادت ان تتخلص من إرهاق السفر، اخبرتها موظفة الاستقبال ذات المعطف الأبيض بأنها محظوظة حقاً إذ

وجدت مكاناً بسرعة في هذا الصالون المكتظ عادة بالزبائن، واجابت روز: «أعلم هذا... وأنا احاول ان استعيد طاقتي بعد رحلتي الطويلة تلك.»

ابتسمت لها المرأة بلطف: «انك ستجدين هنا ما انت بحاجة إليه بالضبط، هل تريدين وجبة خفيفة تتناولينها بين جلسة التمسيد، وفترة تنظيم شعرك؟»

«نعم، من فضلك.» اجابت روز بهذا وهي تتبع المرأة إلى إحدى غرف التمسيد.

وسرعان ما جعلتها أنامل الممسدة وصوتها المنخفض الرقيق، في حالة من الغيبوبة، وذلك بعد ان دهنت المرأة الشابة وجهها بمستحضر طبي، بينما موسيقى هادئة حالمة تصدح من مكان بعيد، ممثلة اصوات أوراق الشجر وهينمة النسائم وخرير المياه في الجداول، وسرعان ما تلاشى الصداع ونسيت معه قلقها على والدها، وتملكتها سكينة هادئة عميقة.

تناولت وجبتها الخفيفة في غرفة صغيرة جانبية في الطابق الأسفل، واختارت روز سلطة وفاكهة طازجة وجبن، وبعد ذلك غسل شعرها ونظم، وزين وجهها وصبغت اظافر يديها وقدميها.

عندما تركت معهد التجميل كانت تشعر بانتعاش وارتياح بالغين، ومقدرة على الاستمرار في العمل ساعات طويلة في ذلك اليوم، استأجرت سيارة زارت بها اماكن سياحية عديدة، متحف بوزارت ومتحف ماكورد ما تتمكن معه من الكتابة عن كل ذلك بإسهاب، وكذلك جبل رويال ببحيراته وأشجاره، ثم عادت بعد ذلك إلى المدينة

خلال الجادة العريضة الممتدة في الجانب العصري من المدينة حيث ناطحات السحاب، كان التناقض الواضح بين الجانبين القديم والحديث في مونتريال، كفيلاً بإثارة البهجة في نفس أي سائح، كما رأت وهي تقود السيارة في شارع سانت كاترين بمتاجره الرائعة غير العادية، وكذلك مطاعمه ومقاهيه، انها ستأتي غداً إلى العالم الكائن تحت الأرض حيث المتاجر والمقاهي والمطاعم ودور السينما وذلك دون الصعود إلى سطح الأرض.

تناولت العشاء في ذلك المساء برفقة صديق قديم لوالدها، إسمه أندريه كريستوف وهو محرر متقاعد وكان أول من اتصلت به لتسأله عن والدها، وأجاب هو بدهشة: «انني لم أر ديموند منذ أسابيع، هل حدث له شيء، يا عزيزتي؟»

أجابت بلهجة عادية: «لا بد انه في إحدى رحلاته.»

سمعته يضحك قائلاً: «عندما تمتزج شهوة الأسفار بالدم، لا يمكن الشفاء منها، انني أريد ان اعرف كل شيء عن مهنتك، يا روز، ما رأيك في تناول العشاء معي هذه الليلة، إذا لم تكوني مشغولة؟»

اخذها إلى مطعمه المفضل والذي كان فرنسياً بطبيعة الحال، ومختصاً باطعمة البحر وبمختلف انواع الطعام الفرنسية المعروفة.

قال لها وقد جلسا إلى المائدة: «ليس من السهل اختيار مطعم في هذه المدينة فهناك الألوف من المطاعم كما تعلمين.»

كان أندريه قد اصبح ثقيل الجسم منحنياً في شيخوخته هذه، وقد أبيض شعره وتقاطعت الخطوط في وجهه وشعرت بأنه يجد التقاعد باعثاً على الملل، فقد توفيت

زوجته وتزوجت ابنته الوحيدة طاهياً انتقل بها إلى فرنسا، حيث افتتح زوجها مطعماً في مدينة ليون.

أثناء تناولهما القهوة، بعد فراغهما من الطعام، اخذا يتحدثان عن مونتريال بصفتها مركزاً سياحياً، وعند ذلك انطلق أندريه في الحديث، فأخرجت روز دفتر ملاحظاتها وسجلت فيه نصائحه واقتراحاته، وعندما عادت إلى شقة والدها كان الوقت قد اصبح منتصف الليل، فجلست مدة ساعة تنقل ملاحظاتها على الآلة الكاتبة التي يستعملها والدها، والتي كان يفضلها على الكمبيوتر، وكانت على وشك الذهاب إلى الفراش عندما رن الهاتف ففزع قلبها.

كان هذا دانيال مرة أخرى، وجعلها صوته العميق تبتهج وتعبس في وقت واحد.

سألها: «كنت أحاول الاتصال بك طوال المساء، أين كنت؟»

فردت عليه بحدة: «خرجت لأتعشى، ان عليّ ان آكل، كما تعلم.»

«وحدك؟»

«كلا، كنت مع شخص.»

فقال بلهجة لاذعة كالسوط: «رجل؟»

قالت بغضب: «نعم، ليس عليّ ان اعطيك تقريراً عما افعله خارج نطاق العمل، لماذا أردت الاتصال بي؟»

«تلقيت اتصالاً هاتفياً من باريس... بشأن العنوان الذي كنت اخذته منك...»

فقاطعته بقولها: «من امرأة؟» فقد تعمدت روز ان تماثله في هذا جاعلة صوتها غليظاً كصوته.

سكت لحظة، ثم ضحك قائلاً: «واحدة بواحدة، نعم يا روز، من امرأة هي صديقة لي، واسمها نيكول اوغسطين وهي تعمل في صحيفة نيكولاس كاسبيان التي كنت اشتغلت انا فيها عندما كنت في باريس، عندما اعطيتني ذلك العنوان، أدركت انها تعيش قرب ذلك المكان، ولهذا سألتها ان تحاول معرفة أي شيء عن سكان ذلك البيت، وقد تلطفت هي بقبول ذلك.»

لوت روز شفتيها وهي تفكر في ان المرأة لا بد تلطفت، اتراها تحبه؟ وتصورت هذه المرأة، نيكول اوغسطين، تصورتها باريسية أنيقة ذكية فاتنة، وشعرت نحوها بكراهية.

وأثناء شرود ذهنها مع تلك الصديقة الباريسية لدانيال، كان هو يتحدث قائلاً: «لقد ذهبت إلى قرب ذلك المنزل، متظاهرة بأنها تقوم ببحث لترى ان كان بالإمكان إنشاء سوبر ماركت في المنطقة، بالنسبة لعدد السكان في كل مبنى، اتدرين ماذا؟ كانت تلك الشقة مؤجرة لرجل اسمه ديسموند إيميري.»

تركت روز التفكير في نيكول اوغسطين وسألته بحدة: «ماذا؟»

بدا السرور في لهجة دانيال لدهشتها هذه: «بالضبط، ولكن اسمعي هذا... الإيجار يدفعه ديسموند، ولكن السنة الماضية كانت امرأة تحت العشرين من العمر تسكن فيها وحدها، رغم انه كان يزورها من حين لآخر رجل له صفات والدك ديسموند.»

شهقت روز بعجب بينما قال دانيال ضاحكاً: «نعم، انها

صدمة لك، أليس كذلك؟ لقد اخبرت المرأة بقية المستأجرين بأنه والدها، ولكن لم يصدقها احد منهم بطبيعة الحال.»

لم تستطع روز ان تفكر بوضوح، فقد كان رأسها يدور: «ما هذا الذي اسمعه؟ إذا كان والدي وتلك الفتاة... حسناً، مهما كانت علاقتهما فقد أبقاها والدي سراً عني، ومن الواضح انه لا يريدني ان اعرف شيئاً ولهذا...»

فقاطعها موافقاً: «ولهذا عليك ألا تظهري معرفتك بشيء، فهو صقر عجوز كتوم، فإذا هو اكتشف اننا كنا نتجسس على حياته الخاصة فسيغضب جداً.»

قالت وهي تعض شفتها: «نعم، ولكنني لا استطيع تصديق ان والدي يفعل هذا... من بين كل الناس، انني اعرف أنه يتخذ صديقات من وقت لآخر، ولكنك تقول ان هذه الفتاة تحت العشرين؟ فوالدي يكاد يكون جدها.»

انفجر دانيال ضاحكاً: «لا تبالغي في ذلك، ربما يكون بسن والدها، ولكن ليس جدها.»

«ولكنه في الستينات من عمره، أي اكثر من ثلاثة اضعاف عمرها.» بدا الإزدراء في لهجة روز وهي تقول ذلك.

فقال دانيال بجفاء: «آه...»

عبست هي قائلة: «ماذا تعني بذلك؟»

«اعني انك عرفت اخيراً ان والدك ما هو إلا بشر، وليس نموذجاً للكمال محتوياً على كل الفضائل، كما كنت تظنين، وهذا الاكتشاف سبب لك صدمة، أليس كذلك؟»

قالت وقد احمر وجهها من الغضب: «وما الذي يجعلك سعيداً شامتاً؟»

«فقط لأنني أرجو ان تكبري أخيراً.»

«آه، اذهب إلى الهلاك.» قالت روز ذلك وهي تقفل الهاتف في وجهه، وهي ترتجف من الغضب وعدم التصديق والصدمة لما اخبرها به دانيال، لم تستطع ان تصدق ذلك... لا يمكن أبداً ان ينشىء والدها علاقة مع فتاة تصغره بكل تلك السنوات، هذا مستحيل.

عاد الهاتف إلى الرنين بعد دقائق فقط، فرفضت ان ترفع السماعة، ولكنه استمر في الرنين حتى اضطرت إلى رفعها.

كانت تعرف من هو على الخط، وكان هذا صحيحاً، فقد كان صوت دانيال غاضباً خشناً وهو يصرخ قائلاً: «إياك ان تجرأي بعد الآن على اقفال الهاتف في وجهي.»

وقبل ان تصرخ به هي أيضاً، اقفل الهاتف في وجهها.

رقدت روز في سريرها وهي على وشك البكاء، كانت الشقة الصغيرة ساكنة هادئة حولها، وفي الخارج كانت حركة السير وأبواق السيارات تتصاعد ضوضاؤها في الشوارع الضيقة لمونتريال القديمة، كان هذا بيت والدها، وهو يمضي معظم السنة هنا الآن، فكيف يتخذ فتاة صغيرة صديقة له في باريس في نفس الوقت؟ لا بد ان هناك سبباً آخر لذلك، ولكنها لا يمكنها ان تعرفه إذا هي لم تواجه والدها وتسأله عنها، كانت تعلم انها لا تستطيع ابداً ان تعترف لوالدها بانها فتشت شقته بحثاً عما يحل لغز اختفائه هذا، ومن ثم اقتفت آثاره إلى باريس، وكما قال دانيال، كان والدها رجلاً كتوماً منعزلاً، وسيكره كل تدخل في حياته الخاصة.

في المساء الذي غادرت فيه مونتريال، تركت لوالدها رسالة وضعتها على الآلة الكاتبة دون ان تذكر ما كانت

نيكول اوغسطين قد اكتشفته عنه، وإنما طلبت منه فقط ان يتصل بها هاتفياً حين عودته، انه سيعرف انها كانت قلقة لغيابه إذ سيخبره الجيران بذلك. فبإمكانها ان تعتمد على السيدة غاسبارد في إعطائه كل التفاصيل عن اتصالاتها الهاتفية، وزيارتها له وقلقها عليه، كان من حسن الحظ انها جاءت إلى مونتريال بعذر جيد، وذلك بفضل دانيال، كانت قد أنهت كتابة مقالتها، وفي رسالتها لوالدها شكرته لاستعمالها آلته الكاتبة وبهذا سيعلم انها جاءت حقاً إلى هنا بمهمة عملية، كان بإمكانها ان ترسل المقال إلى دانيال بالفاكس، ولكنها فضلت ان تأخذها معها في الطائرة حيث انها لن تنشر قبل شهر.

ذلك انها قد تدخل تحسيناً على بعض الفقرات التي كانت كتبتها بطريقة عملية بحتة لا روح فيها كما يحدث عند كتابة مقالة للنشر في اليوم التالي إذ لا تتوخى فيها سوى الاختصار وسرد الحقائق دون زخرفة، وضغط الجمل.

وصلت إلى لندن صباح الجمعة، وكان غائماً ماطراً، دون ان تنام على الاطلاق اثناء رحلتها الطويلة تلك، ووجدت دانيال في انتظارها.

فسألته بارتياب: «ما الذي تفعله هنا؟»

أجاب وهو ينظر اليها بعينين ضيقتين: «انك دوماً رقيقة بالغة اللطف.»

فاحمر وجهها: «حسناً، عليك ان تكون في المكتب في هذا الوقت من النهار.»

«كلا، فهذا يوم إجازتي، وقد خطرت لي فكرة جنونية وهي انك قد ترغبين في ان أوصلك بسيارتي فأوفر عليك

أجرة تاكسي.» ها انه قد جعلها تبدو مخطئة مرة أخرى، وقالت له بصوت جاف: «شكراً، هذه شهامة منك.»

قال بأدب بالغ: «العفو.» ثم انحنى يحمل لها الحقيبة، فحاولت ان تمنعه من ذلك ولكن نظرة باردة من عينيه السوداوين جعلتها تستسلم لمشيئته دون مقاومة.

اخذها مباشرة إلى شقتها دون ان يدور بينهما الكثير من الكلام، فقد لاذ دانيال بالصمت طوال الطريق إلى لندن، وجلست روز إلى جانبه تحدق في السماء، وكان المطر قد توقف قبل أن يغادرا المطار، اخذت تنظر إلى السماء وقد اخذت الغيوم تتبدد فتبدو زرقتها الداكنة، وكان يبدو انه سيكون يوماً جميلاً.

من تحت اهدابها نظرت إلى دانيال الذي كان مركزاً نظراته على الطريق، نظرت إلى حاجبيه الأسودين الكثيفين وعينيه الساخرتين ووجنتيه العاليتين وفكه العنيد.

اعترفت بأنه خصم عنيد، وابتلعت ريقها وهو يلتفت ناظراً اليها.

حولت عينيها عنه بسرعة، ناظرة من النافذة إلى شارع كامون الذي كانا يمران فيه.

قال لها فجأة: «كيف سارت مهمتك في مونتريال؟»

«لقد كتبت الريبورتاج، ولكنني أريد مراجعته قبل التسليم.»

لأول مرة تراه ودوداً رقيقاً إزاء تأخير كهذا، إذ قال: «لا داعٍ للعجلة، فهذا لن ينشر قبل وقت طويل، ولكن من الأفضل ان تسلميه يوم الاثنين لكي يدخلونه ضمن ما يتعلق بالقسم الكندي الانكليزي.»

حمل لها الحقيبة إلى باب شقتها رغم ممانعتها بقولها ان لا ضرورة لذلك لأن الحقيبة خفيفة ويمكنها حملها بنفسها، فقال وهو يحمل الحقيبة بيد واحدة: «هذا ما أراه، إذن فأنت تسافرين خفيفة الحمل.»

قالت: «لا احمل سوى بنطلون جينز وبيجاما وقميص نظيف، من يحتاج اكثر من ذلك؟»

فتحت بابها، ثم مدت يدها نحو حقيبتها وهي تقول: «حسناً، شكراً يا دانيال.»

«ألم تجدي بيتاً أحسن من هذه المزبلة؟» قال ذلك وهو يمر بجانبها داخلاً إلى الشقة حيث وضع الحقيبة على الأرض ووقف ينظر إلى كل شيء في غرفة الجلوس بفضول، فيأخذ كتاباً من على احد الرفوف بجانب المدفأة، ويرفع صورة مؤطرة لوالدها من على رف المدفأة، منحوتة على المنضدة.

أخذت روز تنظر إليه بضيق: «اسمع، لا أريد ان اكون سيئة الضيافة، ولكنني متعبة وأريد ان أستحم.»

«حتى انك لن تقدمي لي فنجان قهوة؟»

فترددت وهي تعض شفتها، إن وجوده في شقتها أشبه بوجود مواد متفجرة قد تنسف حياتها حولها في أية لحظة.

استدار دانيال يواجهها وعيناه تلتمعان كالنجوم: «انك جبانة، يا روز، أليس كذلك؟»

شحب وجهها وامتلأت عيناها غضباً: «ليس لك الحق في ان تصفني بهذا، وهذا غير صحيح، ما الذي يجعلك تظنني جبانة؟»

قال بعنف وقد تجهم وجهه: «بل انت أسوأ انواع الجبناء،

فأنت تخافين من نفسك، تخافين من الاعتراف بأنك امرأة، ولست نسخة كاربونية عن والدك والتي أمضيت حياتك لتكونيها.»

ازداد شحوبها وتبدلت ملامحها، وكان دانيال يتفرس فيها، ولكنه لم يكف عن الكلام بذلك الصوت الغاضب: «انك حالياً، شبه حية يا روز، فقد قطعت من نفسك الناحية الضرورية... انك تدمرين تلك الناحية جوعاً وظمأ وذلك لكي تتمكني من متابعة حياتك عمياء عن حقيقة نفسك، واظن ذلك لأن والدتك ماتت في طفولتك، فنشأت مع والدك فقط، وهكذا جعلت نفسك على مثاله، انني اعترف بأن والدك مثال البطل، فقد كان مثلي الأعلى انا أيضاً وذلك عندما كنت فتى حدثاً... ليس بطلي انا فقط، وانما بطل كثيرين من صحافيين جيلي، الفرق بيني وبينك هو أنه لم يكن والدي، كما انني أنا لست أنثى...»

حملقت فيه بغضب شديد: «كنت أتساءل متى ستصل إلى هذا الموضوع، انك تعني ان انوثتي تجعل من المستحيل عليّ ان اصبح مراسلة اجنبية، أليس كذلك؟ انك تقول...»

فقاطعها بخشونة: «كلا، انني لم اقل قط ان النساء غير صالحات للمراسلة الاجنبية، فهنالك الكثير من الشواهد التي تناقض هذا، ويمكننا، نحن الاثنين مراجعة سلسلة من الأسماء التي تثبت صلاحية النساء لهذه الوظيفة.»

أجفلت روز وقالت عابسة: «ولكنك دوماً ترفض التحاقي بمكتب المراسلين الأجانب.»

فقال بحدة: «هذا لأنني لا أريدك انت ان تلتحقي بهذا المكتب، ولكنني لم اقل قط انني لا أريد امرأة لذلك.»

«آه...» حملقت فيه وقد منعها الغضب والذهول من أن تقول شيئاً.

فتأوه دانيال، ثم قال: «اسمعي، يا روز، لقد جعلني السير جورج اعطيك هذه الوظيفة رغم انني اخبرته بعدم استحساني لهذه الفكرة، لم احب ان يرغموني على قبولك، ولكنني كنت سأعتاد على ذلك لو انني رأيتك صالحة لهذه الوظيفة، لا يمكنني ان انكر انك مؤهلة لذلك فكتابتك جيدة، وعندك حس جيد بالنسبة للأخبار، ولغاتك ممتازة، ويمكنك جعل الناس يتحدثون اليك، واعترف بأن كل هذا كاف للوظيفة، ولكنك لست صحافية بطبيعتك، فأنت لا تقومين بالعمل حباً بالصحافة وإنما لترضين والدك، حتى انك لا تهتمين بأي شيء آخر.»

قالت وهي تكافح في إخفاء الألم الذي إثاره في نفسها: «بل هذا هو العمل الذي احبه، وانا اعتقد ان بإمكاني القيام به رغم كل ما تقوله، فالصحافة هي الحياة التي أريدها لنفسي.»

اشتد الغضب في عيني دانيال: «اتريدين ان تعيشي مع حقيبة السفر، لا تعرفين ما سيحدث لك في اللحظة التالية، مغامرة بحياتك، معرضة نفسك للأذى من ضرب واغتصاب، ليس لك بيت حقيقي، لأن ليس ثمة رجل يتزوج امرأة تجول دوماً في أنحاء العالم... أي نوع من الحياة هي هذه؟»

فاعترفت قائلة: «نعم، هنالك نواح سلبية في عملي هذا، ولكن ثمة نواح إيجابية أيضاً، فهي تشكل تحدياً وإثارة وتغييراً يومياً، ما يجعل السأم بعيداً عن الشخص. أريد ان أرى العالم، أسافر، اتعرف إلى أناس جدد على الدوام.»

وسكتت لحظة ثم قالت ضاحكة: «اظنني التقطت العدوى منذ طفولتي عندما كنت أجول البلاد مع والدي، أو ربما أكثر شبهاً بوالدي مما تظن، وعلى كل حال فهذا في دمي.»

فقال لها بخشونة: «وماذا بالنسبة إلى الحب؟»

احمر وجهها ورفعت عينيها تنظر اليه، ثم حولتهما جانباً وهي تقول: «لا أدري ما يمنع من ان امزج بين الحب والعمل، احياناً.» واطلقت ضحكة مصطنعة، ساد صمت بعث التوتر في جسمها، وغامرت بالنظر اليه فرأته يتأملها، ثم قال وهو يصرف بأسنانه: «الحب؟ من المؤكد انك لست غبية إلى هذا الحد؟»

«ماذا تعني؟»

«الحب هو ليس مجرد إرضاء الرغبة، فهذا يمكن الحصول عليه في أي وقت، ومكان، ولهذا مهنة المراسلة الصحافية تناسب الرجال أكثر من النساء، ففي هذه المهنة لا يمكن للمرأة ان تتعرف إلى رجل وتحبه لأن لا وقت لديها لذلك وهذا يعني انك لن تكوني انساناً مستقراً، يا روز، فأنت ستفتقدين كل ما يجعل الحياة تستحق العيش.»

لم تستطع ان تتكلم، كانت تشعر بأنها تحبه، ولكن لم يكن يبدو عليه سوى الرغبة في إلقاء الدروس عليها، لكي يبعدها عن السعي لتكون مراسلة صحافية أجنبية، وعندما لم تجبه بشيء، لم ينتظر، وفي اللحظة التالية كان قد غادر البيت مغلقاً الباب خلفه بهدوء.

أخذت تعمل في الريبورتاج الذي كتبته في مونتريال طوال العطلة الأسبوعية، وكان يوم الاثنين ربيعياً رائعاً فذهبت في الباص إلى الصحيفة من شارع كامدن، كان

النهر هادئاً عاكساً لزرقة السماء بينما احواض أزهار النرجس والأقحوان الأصفر تمتد على طول الممشى الموصل إلى المجمع الصحفي، وكان بعض عمال الطباعة يستغلون جمال الجو في الجلوس خارج المبنى على مقاعد خشبية في ساحة بلازا حول النافورة.

دخلت طابق المحررين والتوتر يتملكها ولكن الارتياح ما لبث ان تملكها عندما وجدت دانيال يعقد اجتماعاً مغلقاً مع بعض الخبراء في المراسلة الأجنبية في الصحيفة، ورأته روز يرمقها بنظرة سريعة من خلال الزجاج، ولكنها تعمدت الانكباب على عملها متظاهرة بعدم ملاحظة ذلك منه، جلست إلى مكتبها لحظة تتصفح بريدها، ملقية في سلة المهملات بتلك التي لا تحتوي على تاريخ أو إشارة إلى ذلك، ثم أخذت في مراجعة الريبورتاج الذي وضعته.

ما ان انهت المراجعة، حتى تلقت اتصالاً هاتفياً من المحرر المسؤول يسألها، عن الوقت الذي سيكون فيه هذا الريبورتاج جاهزاً، فقالت انه في جهازها الكمبيوتر وسترسله اليه حالاً، إذا أراد، فأجاب: «هذا حسن جداً.» عند ذلك ضغطت بعض الأزرار، وبعد لحظة كانت النسخة في طريقها إليه.

اتصلت جينا بها في الوقت الذي كانت هي تفكر فيه في أخذ وقت للاستراحة. «كيف كانت رحلتك إلى كندا؟»

أجابت روز: «متعبة، كيف حالك انت؟»

أجابت جينا: «لا بأس.» ولكن صوتها لم يكن يدل على ذلك، فقد بدا مرهقاً مكتئباً كما كانت روز تشعر بنفسها.

«أين ستتناولين الغداء.» سألتها روز ذلك بعد ان لم تشعر بالرغبة في تناول الغداء وحدها.

«إنني وهيزل سناكل في مطعم بيير، وأنا واثقة من انهم سيعدون مائدة لنا نحن الثلاث إذا امكنك المجيء معنا الساعة الواحدة.»

فقالت روز: «سأراك هناك، إذن.» ثم اقفلت الهاتف.

كان مطعم بيير الآن بالغ الإزدحام حيث ان الموظفين والعمال كانوا جميعاً هناك، وقد سرت بينهم شهرة مطعم بيير هذا، ولاحظت روز انه لم يكن هناك موائد خالية، وتبعت النادل إلى مائدة جينا وهيزل، وابتسمت لها الفتاتان مرحبتين، كانت هيزل براقة العينين، ولكن روز نظرت إلى جينا باهتمام وهي تجلس.

«كيف تجري الأمور في مكتبك؟»

سألت روز جينا هذا وهي تراها ما زالت من الشحوب وانعدام الحيوية كما كانت قبل ان تسافر هي إلى كندا، كما ان تلك الهالات القاتمة ما زالت حول عينيها، كان واضحاً انها لم تتغلب على الصدمة التي احدثتها في نفسها وفاة الرجل العجوز.

تبادلت جينا وهيزل النظرات، ثم قالت هيزل: «الفوضى هي اصدق وصف لما تسألين عنه، بعض الموظفين سيرحلون، وسيأتي مكانهم أناس جدد... هنالك جو غريب غير طبيعي في طابقنا.»

أومأت روز قائلة: «وكذلك الأمر في طابق المحررين، لقد اختفت الوجوه المألوفة، بينما هناك الكثير من الوجوه الجديدة.» ونظرت إلى جينا، ثم قالت باكتئاب: «اتعلمين لا يبدو ان صحتك جيدة... وما كان ينبغي لك ان تأتي إلى العمل، فأنت بحاجة إلى عدة أسابيع عطلة، ان عليك ان

تسافري بعيداً إلى مكان هادىء، ما الذي يفكر فيه نيكولاس كاسبيان، عندما يراك تعملين بينما أنت بهذا الشكل، اليس لهذا الرجل عينان في وجهه؟»

نظرت اليها جينا بأسى: «انه مسافر، كان في روما ثم ذهب إلى لكسمبورغ، ولا يعلم احد متى يعود.»

فقالت روز: «انك عانيت كثيراً في المدة الأخيرة وعليك ان تبتعدي عن المكتب وكل مشاكله.»

«لا يمكنني ذلك، وخصوصاً في هذه الظروف فقد تركني نيكولاس مكانه في المكتب.»

فتحت روز عينيها بدهشة: «ماذا فعل؟»

فضحكت جينا: «لماذا يبدو عليك عدم التصديق؟»

قالت روز وهي تحدق اليها: «أحقاً؟ حسناً، فأنا متحيرة لا أكاد اصدق هذا، ما الذي تعنينه بالضبط وأنت تقولين انه تركك في مكانه في المكتب؟»

أعلنت جينا بابتسامة زهو خجول: «انني الآن نائبة رئيس مجلس الإدارة في الصحيفة.»

فصفرت روز بفمها ونظرت إلى هيزل: «اترينها تمزح؟»

هزت هيزل رأسها: «كلا، بل هذا صحيح، فعندما يكون نيكولاس مسافراً، تكون جينا في مكتبه تقوم بعمله.»

«انني لم اغب عن المكان إلا منذ الاثنين الماضي... ولكن يبدو ان اشياء كثيرة قد حدثت، لا اظنك ستخبرينني يا هيزل انك ستتزوجين؟»

كانت تلك نكتة منها لا غير، ولكنها اجفلت دهشة وهي ترى الإحمرار يصبغ وجه هيزل إلى منابت شعرها وقد تملكها الخجل.

قالت جينا ضاحكة، وهي ترمق هيزل بنظرة جانبية: «لم يتم الأمر تماماً.»

وفيما بعد تذكرت روز ان تسأل جينا: «هل علمت بأن نيكولاس كاسبيان طرد مراسل باريس؟»

رفعت جينا بصرها قائلة: «نعم، اظن هذا كان احد المتغيرات الأخيرة، فقد صرف العديد من المراسلين الفائضين عن الحاجة وهو لا يوظف مكانهم دوماً موظفين آخرين، إذ انه يقول، وذلك بسبب صحفه الأوروبية الأخرى، يقول اننا لن نحتاج في المستقبل إلى مثل هذا العدد الكبير من المراسلين، اذ بإمكاننا ان نحصل على المواد الخلفية من صحف نيكولاس الأخرى وذلك بالنسبة إلى أي منطقة في العالم نكتب عنها.»

«يقول دانيال بأن نيكولاس سيضع مراسلاً بدلاً من مراسل باريس، هل رأيت اعلاناً عن الوظيفة هذه على لوح الملاحظات في الشركة؟»

تبادلت جينا وهيزل النظرات، ثم قالت الفتاتان معاً: «كلا.»

أومأت روز بعبوس: «اشك في ان يكون هذا قد حصل، اتعرفان ما يعني هذا؟ ان نيكولاس يستبدل بموظفينا رجاله، أراهن على انه سيضع في هذه الوظيفة رجلاً من إحدى صحفه الأخرى.»

سألتها جينا وقد قطبت جبينها: «هل هذا ما يقوله دانيال؟»

قالت روز متمتمة: «كلا، ولكن دانيال لم يخبرني عن وجود هذه الوظيفة إلا بعد ان وضع الكشف بالأسماء المرشحة لها.»

فقالت جينا بصوت منخفض مفكر: «كان السير جورج يصر دوماً على ان يعلن عن كل وظيفة شاغرة داخل الشركة قبل ان يعلن عنها خارجاً ان هذا لا يعجبني ولا أدري ما في نية نيكولاس.»

فقالت روز: «ان ما يفكر فيه واضح، أليس كذلك؟ انه يطرد موظفي سنتنال ويملأ الصحيفة بمعارفه من أمكنة أخرى في أوروبا وخصوصاً المتخصصين مثل المراسلين الأجانب، ولن يدهشني ان اكتشف ان المراسل الباريسي الجديد سيكون واحداً من مراسليه الفرنسيين، وربما واحداً من المستقرين في باريس، وبهذا يختصر نيكولاس قائمة نفقات المراسل، ولكنه يحتفظ بأفضل موظفيه لإعادة توظيفهم في صحف أخرى لديه.»

عضت جينا شفتها: «فهمت ما تعنينه، ما الذي استطيع ان أفعله؟»

«لا أدري ماذا تستطيعين ان تقومي به. فهذا يبدو عملية اقتصادية، ان من أكبر العوامل الاقتصادية في إدارة صحيفة ما، هي ما تنفقه على الموظفين، ونيكولاس يقوم بعملية مألوفة وهي ان يرى كل ما أمامه من احتمالات وقد يبيع بعض ممتلكات الصحيفة أيضاً وذلك لتعوضه عن المبلغ الضخم الذي كان دفعه لتكون له السيطرة على الصحيفة.»

فقالت جينا: «ولكن السيطرة ليست له... فهو مجرد شريك لي في ذلك.»

نظرت إليها روز بعطف وهي تلوى شفتيها قائلة: «لا أريد ان اكون عديمة الذوق، يا عزيزتي، ولكنك لا شيء بالنسبة إليه، وهو يعرف هذا، قد لا تكون السيطرة له

قانونياً، ولكنك تعرفين مبلغ استبداده رغم انك تشاركينه السيطرة هذه.. فأنت لن يمكنك منعه مما يريد القيام به. فهذه الوظيفة في باريس، مثلاً، لا يمكنك منعه من ان يعطيها لأحد مراسليه الفرنسيين.»

قالت جينا وعيناها تتألقان غضباً: «بل استطيع ذلك، لقد جعلني المسؤولة عن الصحيفة اثناء غيابه، وأنا أملك نفس عدد الأسهم التي يملكها، ولهذا سأعين في باريس مراسلاً جديداً دون ان أستشيره.»

لم تصدق روز أن من الممكن ان تقدم جينا على هذه المغامرة، فحدقت فيها غير مصدقة: «ولكنك لا تعرفين أياً من المرشحين لذلك، ولا شيء عن المراسلة الأجنبية، فكيف بإمكانك ان تختاري واحداً منهم؟»

أجابت جينا وقد سقط عليها الإلهام فجأة: «سأعينك أنت في هذه الوظيفة.»

الفصل الخامس

عاد نيكولاس كاسبيان إلى لندن في منتصف الأسبوع التالي، مصطحباً معه حاشية هي عبارة عن بعض موظفيه الدوليين الكبار، وذلك حسب قول احد صحفيي شؤون المال والذي رآهم وهم يصلون جميعهم صباح يوم الأربعاء.

«كانت سيارات الليموزين تقلهم جميعاً.» قال جيب كولينوود ذلك محدثاً المستمعين المبهورين، وذلك في الكانتن اثناء تناول قهوة الإستراحة، وكان يتابع قائلاً: «لقد تدفقوا من كل سيارة، رجالاً بالغي الأناقة، ونساء في القمة من الأناقة الباريسية إلى حد وكأن كسر الواحدة منها لأظفرها سيشكل مشكلة صناعية كبرى، اظنهم من كبار مديري صحف نيكولاس.»

فقال شخص يعمل في الصفحة الرياضية: «قد يكونون جاؤوا لعقد مؤتمر ما.»

ضحك جيب ساخراً: «أو لعل ذلك استعراض للنصر... كما كان يجري في روما القديمة، حيث كانت مواكب المنتصرين تسير في الشوارع، الجنود في أحسن بزاتهم، والحشود المتفرجة تلقي عليهم الزهور، والأسرى من الأعداء مقيدون بالسلاسل، وغنائم الحرب محمولة في صحاف ذهبية.»

بدا الافتتان في ملامح جيمي ناش المحرر الرياضي... فهو يفهم هذه المبالغات الشاعرية والتشبيهات والتي هي اسلحته في عمله.

سألته فاليري نايت: «لا اظنهم سيستعرضوننا في مواكب مثل تلك، أليس كذلك؟» وكانت هذه شقراء جميلة تعمل في تحرير صفحة المرأة، سألته هذا وقد بدا الهزل في ملامحها وهي تتابع: «عليّ إذن ان اجهز أحسن مايو عندي، أم تظنهم يطلبون ملابس رسمية؟»

فقال جيب بخبث: «اسألي هيزل.» وكانت هذه قد مرت بجانب مائدتهم فتوقفت تنظر اليهم مستطلعة.

عندما كررت فاليري ما كان جيب قاله، ضحكت هيزل وقالت انه انسان ماكر ولكنها اعترفت بأن السيد كاسبيان قد أحضر معه بعض مدرائه الكبار لكي يدور بهم في أنحاء مجمع باربري وارف ليرونه، ومن الممكن ان تراهم فاليري عندما تعود إلى زاويتها في طابق المحررين، سألها جيمي ناش إذ كان يعلم انها لا بد رأتهم عن قرب، سألها قائلاً: «ما هو مظهرهم، يا هيزل؟»

سكتت هذه مفكرة، للحظة، ثم قالت: «انهم بالغو التهذيب والأناقة، ولكن اعينهم أشبه بمفك البراغي، عندما يغادرون مكتبي سأحصي دبابيس الورق التي عندي.»

ضحك الجميع لهذه النكتة، ولكن هذا لم يطمئنهم، فقد كان جميع الموظفين متوترين، فهذه الإقالات الكثيرة جعلتهم لا يشعرون بالأمان، فقد كانت الشائعات تملأ جو المكان، وبعضها كانت صحيحة، وهكذا كانوا جميعاً يروحون ويجيئون وكل منهم ينظر من فوق كتفه ليرى ان كان هو التالي الذي سيصرف من وظيفته، ومن الطبيعي ان يزيد وصول مدراء كاسبيان الدوليين الكبار، من هذه المخاوف، ألقى جيب نظرة على الممر المترامي أمام

الكابينين، ثم قال بصوت منخفض: «ها ان بعضهم قد جاء.»

فالتفت الجميع لينظروا، كان القادمون الجدد، ويبلغون حوالي الستة اشخاص، يبدون اكثر أناقة بكثير من ان يكونوا صحافيين، ووقفوا قرب الباب المتأرجح ينظرون إلى الموائد المزدحمة.

أخذت فاليري تنقل بصرها من واحد لآخر، بعينيها البنفسجيتين بأهدابهما الكثيفة، وهي تتمتم: «اعجبني ذلك الرجل الطويل القامة في البذلة الرمادية، انه رائع الأناقة وليس مثل بعض الرجال الذين حولنا هنا.»

فقال جيب بلهجة لاذعة: «ان لديه المال، وبالمال يمكنك ان تشتري الكثير، بما في ذلك الأناقة البالغة، وبعض النساء كذلك.»

تظاهرت فاليري بأنها لم تسمع: «هيزل اتعرفينه؟ ذلك الرجل الداكن السمرة، والذي يبدو وكأنه من سكان شواطىء البحر الأبيض المتوسط.»

ألقت هيزل نظرة قصيرة عليه ثم أومأت بعدم اكتراث: «انه اسباني، فقد سمعت السيد نيكولاس وهو يتحدث إليه هذا الصباح. لقد نسيت اسمه العائلي، ولكن اسمه الأول هو استيبان كما سمعت.»

قالت فاليري: «استيبان؟ ماذا عسى ان يكون معنى هذا الاسم بالانكليزية؟»

فقالت هيزل: «لا أدري.»

قال جيب بحدة: «لماذا لا تسألينه؟»

«سأفعل.» قالت ذلك وهي تنهض من مكانها متوجهة نحو الرجل الأسمر الذي كان واقفاً ينظر إلى إحدى اللوحات الجدارية ويداه في جيبيه.

قال جيب بنفس اللهجة اللاذعة ما جعل هيزل تلقي عليه نظرة حادة: «ستجدينه متزوجاً، فهو فوق الثلاثين، والرجال الأسبانيون يكونون متزوجين في هذه السن، عادة، وبصفته اسبانياً فالطلاق غير ممكن عندهم وقد يكون لديه نصف دزينة من الأولاد أيضاً.»

قال جيمي ناش بذهن غائب: «ربما هذا لا يزعج فاليري.»

إلتوت شفتا جيب وهو يقول: «بل سيزعجها فإن لديها هذه النظرة الأخلاقية التي تمنعها من الخروج مع الرجال المتزوجين حتى ولو كانوا منفصلين عن زوجاتهم ويسعون للطلاق.»

اخذت هيزل تنظر إليه بفضول، لقد اطلعت على تسجيلات الأحوال الشخصية لأكثر موظفي صحيفة سنتنال عندما كانوا تقدموا بطلب الوظيفة من السير جورج من البداية ومن نيكولاس كاسبيان الآن، وقد علمت ان جيب كولينوود كان رجلاً متزوجاً وقد انفصل عن زوجته في انتظار الطلاق.

أتراه كان طلب من فاليري الخروج معه فلم تستجب إليه؟

لقد أحست هيزل بالعداوة بينهما الآن فقط، ومن الطرفين، ومهما كان حدث بينهما، فهما الآن يحبان بعضهما البعض.

مع ذلك فقد كان الاثنان غاية في الجاذبية كان لفاليري شعر أشقر طبيعي وقوام يجذب الأنظار، ورغم ان جيب يعمل في قسم التجارة الكئيب، إلا انه كان من الرياضيين المحترفين في الصحيفة، فهو سبّاح وعدّاء ولاعب تنس مرموق، وكان رجلاً رشيقاً ذا شعر بني كث وعينين بنيتين، لم يكن جيب منتبهاً إلى تفحص هيزل له، فقد كان مشغولا

بالتحديق إلى فاليري. «انظري كيف تغازل ذلك الرجل على مرأى من الجميع.»

«يبدو ان ذلك يعجبه.» قالت هيزل ذلك وهي تتأمل ذلك الرجل الأسمر الطويل القامة وهو يبتسم في عيني فاليري المتألقتين.

كان الاثنان متضادين تماماً... فقد كان هو بالغ الطول ذا بشرة سمراء داكنة وشعر أسود جعد، بينما فاليري لا يتجاوز طولها المئة وستين سنتمتراً، ذات شعر ناعم بلون القمح وبشرة بلون القشدة.

أجابها جيب بحدة: «ذلك يعجبه طبعاً، رجل وحده وبعيد عن بيته، وإذا بفتاة شقراء مثل فاليري تتعرض له... فماذا تتوقعين غير ذلك؟ لا بد انه سيظن هذا اليوم عيد مولده.»

وإذا برجل يقول له: «هل انت قادم إلى الاجتماع؟» وكان هذا ماراً بمائدته ضمن مجموعة من موظفي قسم التجارة عائدين إلى قسمهم، كانت الصفحات التجارية قد أصبحت شعبية تماماً، ولهذا زيدت الصفحات لها الآن في الصحيفة وكذلك ميزانيتها، وهذا يعني تجهيزات أغلى ثمناً تمكنهم من مراقبة التغييرات التي تطرأ على الأسواق العالمية بكل دقة.

ألقى جيب على فاليري والرجل الاسباني نظرة اخيرة وقد لوى شفتيه بازدراء، ثم تبع رفاقه خارجين من المكان، وما ان ذهب، حتى عادت فاليري وهي تقول: «ستيفن.» وعندما نظر الجميع إليها بحيرة، قالت توضح كلامها: «اسم استيبان يعني ستيفن باللغة الاسبانية.»

فتمتموا قائلين بعدم اكتراث بالغ: «آه.»

قالت وهي تلتقط حقيبة يدها: «حسناً، انني ذاهبة لكي

أجري مقابلة عمل لكريستا نوردستروم. أرجو ان تكون انكليزيتها جيدة كما قالوا.»

سأل احدهم: «أليست هي سويدية؟» فأومأت فاليري بالإيجاب.

قال محرر الصفحة الرياضية: «لقد كانوا رأوها تخرج كثيراً مع الرئيس الجديد كاسبيان لا أدري إذا كان الأمر جاداً، ولكن من الأفضل تجنب الاساءة اليها ما يدفعها إلى الشكوى إليه.»

قالت فاليري: «لا تقلق، فأنا اعرف الكثير عن علاقتهما، فلدي الكثير من قصاصات الصحف عنها، ان نيكولاس كاسبيان ليس الرجل الكبير الوحيد الذي خرجت معه، وأنا لا اعرف ما إذا كانت ما تزال تراه، ولكنني سأكون حذرة معها... انني أعلم ان بإمكانها أن تكون بالغة اللؤم.»

تبعتها هيزل إلى الخارج، ولكن بينما استقلت فاليري مصعداً، هابطة إلى موقف السيارات تحت الأرض، صعدت هيزل في مصعد آخر إلى طابق رئيس التحرير، كان الجو هادئاً في غرف المكاتب في غياب نيكولاس واستلام جينا العمل بالنيابة عنه، إنما الآن بعد عودته، عادت الزوبعة بينهما مرة أخرى، وما ان وصلت هيزل إلى مكتبها، حتى تناهى إلى مسامعها صوتيهما الغاضبين من الباب الآخر.

كان نيكولاس يصرخ بحدة: «ليس لديك الحق في تعيين احد دون استشارتي.»

كانت جينا ترد عليه بصراخ غاضب: «وهل استشرتني انت عندما طردت مراسلنا في باريس، هذا غير الآخرين الذين طردتهم أو اعتبرتهم فائضين عن الحاجة؟ وهل

سألتني رأيي عندما وظفت رجالك من مختلف الجنسيات مكانهم؟ لقد كنت اخبرتني بأنني الآن نائبة الرئيس، ولكن ماذا يعني هذا؟ هل هو مجرد لقب فارغ؟ ألا املك أية مسؤولية، أو سلطة لصنع قرار؟»

رد بحدة: «بل لديك كل ذلك طبعاً، ثم لا تصيحي في وجهي، فأنا لا أحب ان تصيح بي النساء؟»

قالت بكبرياء: «وأنا لا احب ان يصيح بي الرجال، ولكنك صحت بي لتوك، ثم لا تغير الموضوع. فقد ترك السير جورج لي أسهمه لكي احافظ على بقاء صوت تيريل في إدارة الصحيفة بعد وفاته. فأنا وانت لدينا نفس عدد الأسهم لكل منا، فأنا لدي كل السلطة التي لك، لقد كنت اكدت لي ذلك، وجعلت كوني أنوب عنك في مكتبك شيئاً عظيماً رائعاً، ولكن يبدو ان المفروض عليّ ان اجلس في المكتب فقط وأرسل اليك التقارير، وأبتسم لكل من يزور المكتب، ولا شيء غير هذا.»

فقال: «انك فقط لتصريف الأعمال اليومية. فتعيين الموظفين ليس من اختصاصك.»

«ولماذا لا؟»

«ان لدينا مجلس إدارة خاص بالتوظيف مسؤول عن هذا.»

«انهم لا يختارون المراسلين الأجانب.»

«بل هذا عملهم، ان لجنة تحريرية خاصة هي التي تختار... وهم يعرفون ما يفعلون، فكلهم على مستوى عالٍ من الأهلية لذلك، ودانيال برونى هو واحد منهم، وقد طلبت من فابيان ان يحضر اجتماعاتهم لأنه اشتغل في باريس ثلاث سنوات. ليس لدى رئيس التحرير في العادة، وقت لذلك، ولكن

هذا يساعد فابيان على التعرف إلى الموظفين القدماء بشكل افضل، ونصائحه لهم ستكون ذات قيمة لا تقدر.» نظر إليها بهدوء، «انك غير مؤهلة لاختيار مراسل اجنبي، يا جينا.»

فقالت ساخرة بمرارة: «ولكنك انت المؤهل طبعاً.»

«انني لا أضع القرارات... فهذا من عمل اللجنة.»

«وماذا عن كشف الأسماء الذي وضعته؟»

فازداد وجهه الأسمر القوي توتراً: «كفى، يا جينا.»

«انكر ذلك إذن، انكر انك سبق واخترت مراسل باريس من بين معارفك، اخترت شخصاً مقيماً في باريس يعمل في واحدة من صحف كاسبيان الدولية.»

حدق اليها مقطب الحاجبين، وهو ينقر على المكتب بأنامله: «من اخبرك بذلك؟ روز إيميري؟ ألا ترين ان لديها دوافع خفية لاخبارك بهذه الحكايات الخرافية؟ فهي رغبت في تلك الوظيفة، وكانت تعلم انها لن تحصل عليها من خلال الوسائل المعتادة، إذ ليس لديها الخبرة الكافية، وهكذا اخذت تعمل في استثارة عواطفك واحزانك لكي تجعلك تعطينها تلك الوظيفة، حسناً، هذا لن يكون، إذ ليس لديك السلطة لتعيينها، فالوظيفة سيحصل عليها من تختاره اللجنة المخصصة لاختيار المراسلين الأجانب.»

«لم تطلب روز مني تعيينها، فالفكرة هي فكرتي كلياً، ووظيفة باريس ليست الوحيدة التي اخترتها دون الاهتمام برأيي، انك لا تستشيرني على الاطلاق بشأن أي من هذه التغييرات الجذرية التي تقوم بها منذ وفاة السير جورج، فقد نفذتها بسرعة دون كلمة لي، لقد حضرت اجتماع المحررين منذ يومين فلم أعرف من المحررين سوى

نصفهم، فقد كان الباقون كلهم جدداً، وسرعان ما أدركت ان معظمهم من رجال صحفك، انك تطرد رجال تيريل وتضع رجالك بدلاً منهم.»

لم ينكر ذلك، إذ قال: «هذا صحيح فأنا أحب أن أعمل مع رجال اعرفهم وأثق بهم، فهل هذا غريب؟»

«كلا، فقد تنبأ السير جورج بذلك، ولكنني كنت من الغباء بحيث صدقت ان لديك بعض التهذيب الغريزي، وقد رأيت خطإي الآن، ولكن لا تظن نفسك الرابح، لأنني من الآن فصاعداً أصر على أن اعرف كل ما يجري في هذه المؤسسة، فإذا لم تتعاون معي، فسأدعو إلى اجتماع مجلس الإدارة وسنرى ما إذا كان المجلس سيوافقك على ما كنت تقوم به.»

لوى نيكولاس فمه ساخراً: «هل تتوقعين حقاً ان اولئك الرجال سيهتمون بفتاة دون خبرة في العمل ولا تعرف ما تتحدث عنه ولا تستطيع مواجهة الأمور وحدها إذا لم اكن أنا هنا لأدير المؤسسة؟»

«آه، أنا لا اشك في ان بعض اولئك الرجال سيربتون على رأسي قائلين لي ان اذهب وألعب... ولكن بعض الآخرين سيأخذون علماً بذلك، وخصوصاً فيليب سليد.»

ضاقت عينا نيكولاس واصبحتا بصلابة الصوان.

واجهت جينا نظراته هذه بإرجاع رأسها إلى الخلف تحدياً، ثم قالت: «انك تعلم انه سيفعل، انه سيصوت معي، وهذا يمنحني الأغلبية في المجلس، فأنا لن اكون الخاسرة.»

كان فم نيكولاس متوتراً ووجهه بالغ الشحوب وهو يسمر نظراته عليها، قابضاً على حواف المكتب بشدة.

بقيت هي هادئة رافعة الرأس ولكنها كانت تغلي في

داخلها من الغضب، كان نيكولاس منيعاً صامداً على الدوام، ولكنه وهو بهذا الشكل، بدا لها مخيفاً للغاية. ثم قال بخشونة: «ان روز إيميري ليست بالمرشحة المناسبة لهذه الوظيفة ولكن بما انك تحسين برغبة في المشاركة في هذا الاختيار، فأنا اقترح عليك حضور اجتماع لجنة التوظيف، انني لن اكون موجوداً، ولكن يمكنك ان تري كيف يسير نظام العمل واحكمي بنفسك من هو افضل المرشحين.»

فقالت مصرة: «أريد اسم روز في قائمة أسماء المرشحين.»

سكت نيكولاس لحظة متجهم الوجه، ثم قال: «حسناً جداً، ولكنك عندما ترين الآخرين ستعلمين بأنها غير جاهزة بعد لمثل هذه الوظيفة الهامة، والآن إذا كان هذا كل شيء، فأنا لدي موعد غداء هام...»

«هناك شيء واحد فقط، وهو انني لا أريد منك ان تنتقم من روز لأنك ترتاب في انها تؤثر عليّ بآرائها.»

فقال بحدة: «أنا لا أنوي ذلك، فأنا اعلم انكما صديقتان منذ كنتما في الثامنة، انتما الاثنتين، وانا أعلم انكما لا بد تتحدثان في شؤون المؤسسة، ولكن حاولي في المستقبل ألا تتحدثي عن الأمور السرية يا جينا.»

«ما كنت حمقاء قط إلى هذا الحد.»

بدا الشك في نظرات نيكولاس، ولكنه لم يقل سوى: «تذكري فقط ما قلته لك، وحيث اننا نتحدث عن الانتقام، فأرجو منك ألا تظهري عداء لأي من رجالي، مهما كان رأيك، فأنا قد عينتهم هناك عن جدارة واستحقاق، لقد وضعت فابيان ارنود هنا لأنه حقاً افضل محرر اشتغلت معه على الاطلاق، كما أنه أوروبي قوي وهذا ما اظن سنتنال بحاجة

إليه حيث اننا في سبيل مزيد من الوحدة الأوروبية، لقد سبق لفابيان ان اشتغل في كل أنحاء اوروبا وهو يتكلم عدة لغات، فهو بالغ الخبرة والحنكة، بالغ الذكاء كما انه شخص حسن المعشر، فلا تديري له ظهرك لمجرد انك تكرهينه.»

قالت جينا بحدة: «انني لست صغيرة بهذا الشكل.»

رفع نيكولاس حاجبيه ساخراً: «انك كذلك احياناً، يا جينا... وأنا لا اظنك تعرفين نفسك على الاطلاق، لقد تزوجت وانت صغيرة جداً، وزوجك مات مبكراً جداً تاركاً إياك وحدك مع رجل عجوز عاملك وكأنك طفلة صغيرة ما جعلك لا تنضجين عن طور المراهقة رغم مرور الزمن.»

احمر وجهها والتمعت عيناها غضباً: «ليس لديك الحق في ان تقول لي هذا، اتظن انني لا أعرف السبب في اصرارك الدائم على انني لا اعرف شيئاً عن العمل أو بيع الصحف؟»

فقال: «لأن هذه هي الحقيقة.»

«هذا غير صحيح، فأنا اشتغلت لأجل السير جورج مدة خمس سنوات، صحيح ان عملي لم يكن في إصدار الصحيفة بشكل مباشر، ولكنني اصبحت اعرف عن العمل اكثر مما تريد انت ان تعترف به، إذ من الأسهل عليك كثيراً لو انني كنت غير موجودة، أليس كذلك؟ إذ بإمكانك عند ذاك، ان تستلم الصحيفة دون جدال من أحد أو مشاكل، ولكن هذا ليس بمقدورك الآن لأنك لا تملك القسم الأكبر من الأسهم، ولهذا كفى إهانات لي ومحاولة تحييدي عن الأمور الهامة، اجعلني على علم بكل ما يجري، وإلا...»

وسكتت، فقال بحدة: «وإلا ماذا؟»

قالت بعناد: «وإلا أقنعت فيليب سليد بأن يبيعني أسهمه تلك.»

فقال بهدوء وهو ينهض واقفاً: «انه لن يفعل هذا، انه مستمتع جداً برؤيتنا نتنازع وده، نحن الاثنين.»

ابتسمت جينا ساخرة: «لا تكن واثقاً من ذلك.» ونهضت واقفة هي أيضاً، فتجهم وجه نيكولاس، وسألها بهدوء بالغ: «ما معنى كلامك هذا؟»

هزت كتفيها وما زال بصرها منخفضاً وقد احمرت وجنتاها، وشعرت به يحدق إليها لحظة قبل ان يقول: «أتراه يتودد إليك؟ وانت تشجعينه على ذلك بهدف جعله يبيعك اسهم الصحيفة سنتنال التي يملكها؟ هل كل النساء دون ضمير؟»

فتحت جينا فمها غير مصدقة: «أنت الذي تحدثني عن الضمير؟ وماذا عن النفاق والدين هو أبرز مزاياك؟ على كل حال، فأنا لم افعل شيئاً أخجل منه.»

قال بحدة: «انك لا تهتمين بفيليب سليد مثقال ذرة، وإنما تستغلينه فقط، فإذا باعك أسهمه، هل ستستمرين في رؤيته؟ إلى أي حد يمكنك الوصول، يا جينا، في سبيل وضع يدك على تلك الأسهم؟ حد الزواج منه؟»

كانت من الألم والغضب بحيث لم تعد تستطيع تمالك نفسها: «ولماذا لا؟ وبعد، كنت مستعدة للزواج منك لو انك لم تخن السير جورج وتسبب له تلك النوبة القلبية.»

جمد نيكولاس في مكانه وهو يتنفس بصوت مسموع في جو الغرفة الساكن، ما جعلها تسكت وقد تملكها الخوف، وما لبثت أن اندفعت نحو الباب كطفل مرتاع، ولكن نيكولاس كان أسرع منها في الوصول إلى الباب يغلقه بعنف ثم يقف بجانبه.

جمدت جينا في مكانها لا تجرؤ على مقابلة نظراته، وهي ترتجف وتتنفس بسرعة بالغة، بينما همس هو بصوت

أبح: «انك كاذبة، فأنا وأنت... لم يكن لذلك علاقة بصحيفة سنتنال، كان ذلك حقيقياً، اتريدينني ان أثبت ذلك؟» ومد يديه يمسك بها بعنف.

فقدت شجاعتها الآن، وتملكها الخوف من غضبه، فهزت رأسها وهي تنظر إلى الأرض، لقد احست جينا ان نيكولاس سيمسك بها في أية لحظة ليمزقها ويدمرها تدميراً، وشلها الخوف عن الحركة، ولكن عليها ألا تدعه يذلها ويفقدها شعورها بالكرامة والاحترام لنفسها، انها لن تدعه يخضعها ويكسب معركة تملك الصحيفة، انها ستقاوم متمسكة بالشيء الوحيد الذي يهمها... وهو رغبة الرجل العجوز الذي أحبها واحبته، فهي قد نذرت له الوفاء، وواجبها نحوه يعني رفض كل ما يهدف اليه نيكولاس لأنه قد خدع وخان ذلك الرجل، مخلفاً وعده له وذلك لكي يربح معركة امتلاك سنتنال، لقد برهن نيكولاس في ملاحقة ما يريد، على قسوة بالغة... وقد فاز كالعادة، بما يريد، ولكنه لن يفوز بمعركة امتلاكها.

واستجمعت ما بقي في اعماقها من شجاعة، ورفعت رأسها تواجهه، كان وجه نيكولاس مختنقاً قاتماً وعيناه زائغتين، ثم قالت له بهدوء: «ان عليّ ان اعمل معك لكي أتأكد من استمرار وجود تيريل في مجلس إدارة سنتنال، ولكنني لم ولن أنسى أو اصفح عما فعلته بالسير جورج تيريل.»

بقي نيكولاس لحظة لا يتحرك، وهو يتنفس بعنف، لكنه ما لبث ان تركها وابتعد عن الباب، فخرجت هي رافعة الرأس راجية ان تبدو أهدأ ظاهراً، مما تحس، ولم تشعر بالإسترخاء الا بعد ان سمعت الباب يصفق خلفها بعنف، كانت هيزل في مكتبها تنظر اليها بقلق وعطف، فجرت جينا كرسياً وتهالكت عليه.

نهضت هيزل وركضت لتحضر لها كوب ماء وهي تقول: «هل سيغمى عليك؟» ووضعت الكوب بين شفتي جينا. وحاولت هذه الابتسام: «شكراً، لا أدري ماذا حدث لي.»

نظرت إليها هيزل ساخرة: «ولكنني أنا أدري.»

تجنبت جينا النظر اليها وهي تأخذ منها كوب الماء وتشرب جرعة أخرى منه وهي تحاول ان تمنع يدها من الارتجاف.

قالت هيزل وهي تنظر إلى وجهها الشاحب والهالة القاتمة حول عينيها: «الحق مع روز، فصحتك ليست جيدة، لا بد لك من عطلة عدة أيام حيث تبتعدين عن هذا المكان، فتغيير المناظر يريح الأعصاب المتوترة كثيراً.»

أومأت جينا قائلة: «ربما سأفعل ذلك، فيما بعد ولكنني حالياً مشغولة جداً، ان عليّ ان احضر اجتماع مجلس التعيين لبحث مسألة تعيين مراسل باريس، لقد قال ان على هذا الأمر ان يمر خلال الإجراءات المعتادة.»

«لن أقول انني سبق واخبرتك بهذا.»

«لا ضرورة لهذا، وعلى كل حال، فقد فزت ببعض الامتيازات، انني ساكون في اللجنة التي تختار المراسلين.»

قالت لها هيزل: «ذلك الاجتماع لن يحين قبل أسابيع، ما يمكنك من أخذ إجازة لعدة أيام.»

«أحقاً؟ حسناً، سأفكر في ذلك إذن... ربما أمضي عطلة نهاية الأسبوع في الأرياف، ولكن عليّ ان اعود في الوقت المناسب، لإجراء هذه المقابلات، رغم انني لا أعرف نوع الأسئلة التي سألقيها على المتقدمين للوظائف.»

«هذا أمر سهل، المفروض ان يكونوا أرسلوا طلباً رسمياً يتضمن مؤهلاتهم وكل ما يتعلق بجدارتهم ووضعهم

الاجتماعي، ان تلك الطلبات موجودة لديّ، في الواقع، وسأعطيك نسخاً عنها قبل المقابلة لتقرأيها مقدماً ومنها ستكوّنين فكرة عن الأسئلة التي عليك طرحها.»

ابتسمت جينا لها: «انك بالغة الذكاء.»

فضحكت هيزل: «انني اعلم هذا، ولكن شكراً إذ لاحظت ذلك أخيراً.» ثم اخذت تصنع القهوة لهما معاً، وهي تقول: «ولكن مسكينة روز، فهي ستكون مراسلة باريسية ناجحة لو حصلت لها هذه الوظيفة.»

قالت جينا وهي تتناول منها كوب القهوة: «حسناً، وهذا امتياز آخر، فان اسم روز اصبح مع الأسماء الأخرى في القائمة الآن، على كل حال، وهذا يعتبر شيئاً.»

فقالت هيزل: «هذا رائع، وانا واثقة من انها ستكون شاكرة جداً جداً لك لهذا فقط.» سارت نحو خزانة الملفات وهي تقول: «تلك هي الملفات.» وجذبت بعضها تناولها إياها قائلة: «هنا آخرون مسجلون على قائمة الكشف.»

قالت جينا بمرارة: «اظنهم جميعاً من الرجال.»

فقالت هيزل عاقدة جبينها: «كلا، اظن هنالك امرأة بينهم.» واخذت تبحث بين الملفات إلى ان امسكت بواحد منها أخذت تقرأ الاسم الذي عليه: «نعم، هذا هو ملفها، لانها فرنسية وتعيش في باريس، وكانت تشتغل عند...»

قاطعتها جينا بخشونة: «عند مؤسسة كاسبيان الدولية.» فنظرت اليها هيزل بجفاء وهي تناولها الملف، وصدرت عن جينا آهة طويلة، وهي تقول: «مسكينة روز، ليس لديها حظ، أليس كذلك؟»

تصاعد رنين الهاتف فعادت هيزل إلى مكتبها تأخذ

السماعة قائلة برقة: «مكتب السيد كاسبيان.» وما لبثت ان قالت وقد أشرق وجهها: «بييت، أين أنت؟» واستمعت لحظة، باسمة، «هل رأيت اسرتك منذ عودتك إلى هولندا؟» واستمعت مرة أخرى ثم عادت تقول: «انا أيضاً متشوقة إلى التعرف إليهم، وآملة ان اعجبهم.»

احنت جينا رأسها على الملفات التي اعطتها هيزل إياها لتقرأها، محاولة ألا تستمع إلى ما كانت تقوله الفتاة الأخرى.

كان عمل بييت في لندن قد انتهى الآن، فقد أرسله نيكولاس كاسبيان إلى هولندا ليراقب إقامة بناء تريد مؤسسة كاسبيان الدولية ان تجعله اضخم مركز لأعمال الطباعة في المستقبل، وهو لا يبعد عن أمستردام اكثر من نصف ساعة بالسيارة، ولأول مرة يخطر ببال جينا ان هيزل وبييت سيمضيان اكثر أوقاتهما مفترقين حيث ان بييت يسافر حول العالم على الدوام، مثل نيكولاس، مثل نيكولاس... وخفق قلبها، لو كانا، هي ونيكولاس، قد تزوجا، لكان ذلك الافتراق الدائم سيبعث القلق والتعاسة في نفسها.

«إلى متى تظن انك ستبقى في هولندا؟» واستمعت هيزل لحظة ثم تأوهت: «آه.. انني طبعاً متفهمة ذلك، فهذا عملك، كما انني مشغولة جداً، أنا أيضاً هنا.» ثم لحظة صمت أخرى عادت بعدها تقول بصوت منخفض: «طبعاً، يا حبيبي...»

نهضت جينا وسارت إلى الناحية الأخرى من الغرفة لكي تضع الملفات مكانها، وكانت هيزل تقول برقة وظهرها إلى جينا: «وانا أيضاً مشتاقة إليك يا حبيبي... آه، نعم يا بييت. أنا أحبك أيضاً، العطلة الأسبوعية القادمة؟ بإمكاني ذلك.» وبعد لحظة صمت أخرى، قالت: «نعم، انه هنا، وسأصلك به الآن.»

مالت على المكتب تضغط على زر جهاز التخاطب الداخلي: «السيد بييت فان ليدن على الخط، يا سيد كاسبيان.»

فجاء صوت نيكولاس: «حوليه إليّ.»

فعلت هيزل ذلك ثم وضعت السماعة، نظرت جينا اليها... كان وجه هيزل شديد الإحمرار وقد تألقت عيناها، وعندما رأت جينا تنظر اليها، ابتسمت قائلة: «انني سأسافر إلى هولندا في العطلة الأسبوعية القادمة لأرى بييت وأتعرف إلى أسرته.»

ابتسمت لها جينا: «سيأخذك إلى موطنه لتتعرفي إلى والدته؟ لقد أصبح الأمر جاداً تماماً، يا هيزل.» كانت جينا مسرورة للغاية لسعادة هيزل، ولكنها لم تستطع منه نفسها من أن تحسدها، لو فقط...

وتوقفت عن التفكير، لا تريد الإسترسال في هذه الخواطر، لم يكن ثمة فائدة من ان تتمنى لو ان علاقتها الغرامية مع نيكولاس لم تتحطم على صخرة طموحه، فنيكولاس رجل يختلف تماماً عن بييت فان ليدن، وهيزل محظوظة جداً إذ تقع في غرام رجل يمكنها الاستقرار معه طيلة حياتها... وهي جينا، لم يكن لها مثل هذا الحظ.

الفصل السادس

كان الجو في اليوم التالي من الجمال بحيث قررت جينا وروز ألا تضيعا هذا الجمال في قضاء فترة الغداء بين الجدران، وبدلاً من ذلك اشترتا شطائر وفاكهة من مقهى في ساحة بلازا، والذي كان يجهز عادة كل انواع المأكولات ليأخذها المشتري معه.

كانت تدير هذا المقهى أسرة توريلي، والتي كان لديها مقهى آخر قريب من محطة لندن بريدج، والذي كان الجد فتحه بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة، والآن تديره السيدة ترولي العجوز. كانت في السبعين من عمرها تقريباً، ولكنها مازالت فياضة الحيوية حاضرة الذهن. نظرت إلى جينا وروز بمودة، فقد أصبحتا من الوجوه التي تميزها على الفور.

«ما الذي تريدانه الآن، يا عزيزتي؟» وعندما قالتا انهما تريدان شطائر، تركت كل شيء لتلبية طلبهما.

سارتا في ساحة بلازا الفسيحة متجهتين إلى ضفة النهر، حيث جلستا على مقعد خشبي مستطيل في حديقة مغروسة حديثاً حيث بإمكانهما امتاع ناظريهما بمنظر نهر التايمس.

قالت جينا وهي تاكل شطيرتها المحشوة بسلطة البيض: «اتعلمين انه في القرن الثامن والتاسع عشر، كان هنالك شارع يمتد بموازاة التايمس يسمى طريق راتكليف؟ لقد كان مليئاً بالبحارة وقطاع الطرق الذين كانوا يسلبون البحارة واحياناً يقتلونهم.»

سألتها روز وهي تحدق في المنظر الهادىء المسالم الذي امامها: «من أين سمعت كل هذا؟»

«قرأت عنه مرة.» قالت جينا ذلك وهي تلقي ببقية الشطيرة لطيور النورس التي جاءت لتلتقطها وهي تزعق.

قالت روز: «اظن انه في تلك الأيام كانت دوماً عشرات من السفن ترسو في ميناء لندن، وألوف البحارة يأتون إلى الشواطىء وجيوبهم محشوة بالنقود.»

قالت جينا بشيء من المرارة: «بينما ينتظرهم الكثير من الانتهازيين، كان لنيكولاس كاسبيان اسلاف في ذلك الوقت.»

قالت روز وهي تنظر إليها متأملة: «اتعلمين؟ لقد اصبحت سريعة الغضب، بينما كنت فتاة صغيرة هادئة الطبع تماماً.»

ارتسمت على فم جينا ابتسامة صغيرة عاد بعدها إلى ملامحها ذلك الحزن المرهق، ما جعل روز تقطب جبينها وهي تنظر اليها: «ما أشد شحوبك يا جينا، انك حتماً بحاجة إلى...»

فانفجرت جينا قائلة: «إلى اجازة. أعرف هذا، وهو ما يقولونه لي دوماً، ويا ليت الناس يلتزمون بشؤونهم الخاصة.»

«لا بأس، اهدإي، ليس من عادتك يا جينا أن تنفجري غضباً إزاء نصيحة ودود.»

اخذت جينا تمعن النظر في مياه النهر المتألقة تحت أشعة الشمس، وصفوف الأبنية على الضفة المقابلة، ومناظر لندن البعيدة، ومباني المكاتب، والأبراج التي تجعل المنظر رائعاً، ورأت كل ذلك من خلال تعاستها، مغشى بالسواد.

ثم قالت بخشونة: «أعرف هذا.» لم تكن تستطيع ان تخبر أحداً بمبلغ حزنها، حتى روز، اقدم صديقة لديها، لم تشعر

قط من قبل بمثل هذه التعاسة، لقد غلف الألم والكآبة كل شيء في حياتها.

قالت: «انني مستعدة للسفر لقضاء عطلة أسبوعية لو كان بإمكاني ان اقرر إلى أين أذهب، ليس لدي أقارب أزورهم، وما زال الوقت مبكراً للسباحة... ولهذا لا اعرف إلى أين...»

قاطعتها روز: «ما رأيك في باريس؟»

نظرت جينا اليها بدهشة: «باريس؟ وللعطلة الأسبوعية فقط؟»

«لا تعجبي إلى هذا الحد، سنذهب يوم الجمعة...»

«نذهب؟»

«اظنك بحاجة إلى من يرافقك، أليس كذلك؟»

قالت جينا غير واثقة: «هل انت جادة؟ ان هذا يزيد جداً من استمتاعي بالاجازة، ولكنني لا أريد ان تشعري بأنك مرغمة على...»

فقاطعتها روز: «انني أعشق باريس. ثم انك بحاجة إلى دليل يريك أنحاءها، على كل حال، كما أن لي اسبابي الخاصة التي تجعلني أسافر اليها، فان هناك بعض الأمور التي أريد أن أتأكد منها.»

قالت جينا: «مثل نيكول أوغسطين؟»

فبدت على شفتي روز ابتسامة ملتوية وهي تقول: «وأمور أخرى.»

كانت جينا قد اخبرتها بأنها لم تستطع الوفاء بوعدها في إعطائها وظيفة مراسل باريس، قالت ذلك وهي تعتذر، ولكن الارتياح مالبث ان تملكها وهي ترى أن روز لم تندهش لذلك بل بدت وكأنها كانت تتوقع شيئاً كهذا منذ عودة نيكولاس.

كانت روز قد سألتها عمن يكون المرشحون لتلك الوظيفة فأخبرتها جينا بالأسماء الواردة في القائمة، فلا عجب أن قال لها نيكولاس انها غير كتوم، ولكنها كانت تشعر بأنها مدينة لروز بشيء ما، وقد أجفلت لردة الفعل الحادة التي بدرت من روز عند ذكرها اسم نيكول أوغسطين، ولكن روز عادت فاخبرتها بأنها تعتقد بأن تلك المرأة هي صديقة لدانيال.

عقدت جينا حاجبيها قائلة: «انه إذن سيكون في صفها حتى قبل أن نبدأ في إجراء المقابلات.»

فأومأت روز قائلة: «ولكنني واثقة من انه هو أيضاً سيقول انك في صفي من قبل ان تبدأ المقابلات، وهذا يجعلكما متعادلين.»

اخذت جينا تحدق إلى النهر وهي تتساءل عن نيكول أوغسطين تلك وعن السبب الذي جعل نيكولاس يضعها في القائمة... أم تراها هناك بصفة رمز إلى وجود العنصر الأنثوي بين الرجال؟ هل من المحتمل ان تحصل على هذه الوظيفة؟

سألت جينا: «هل هي جميلة؟»

«انني لم أرها على الاطلاق، ولكنني اظن هذا وإلا لما اهتم بها دانيال.»

قالت روز ذلك بلهجة عفوية تماماً ولكن جينا كانت تعرفها إلى حد لم تكن هذه تستطيع خداعها، فوراء تعبيرها العفوي هذا، هناك شيء يكدرها، فعبست ماذا يمكن ان يكون هذا؟ ولكنها كانت تعلم أن روز لا تجيب على أي سؤال مباشر، ولهذا قالت لها تسألها: «ما الذي تريدين ان تعرفيه سوى هذا في باريس؟»

وكما كانت توقعت قالت روز على الفور: «انه أمر خاص.» ثم ألقت نظرة سريعة على جينا، وعادت تقول

مترددة: «آه، حسناً، فأنت كاختي تماماً، بعد كل تلك السنوات، أقسمي لي ألا تخبري أحداً، إذا انا اخبرتك.»

فقالت جينا: «طبعاً أقسم.»

«حسناً، انت تذكرين انني لم استطع ان أعثر لوالدي على أثر وذلك عندما كنت أريد ان أخبره عن وفاة السير جورج.»

بدت الحيرة على وجه جينا، ذلك انها لم تكن تتذكر أي شيء حدث أثناء تلك الأيام الهائلة التي تلت وفاة الرجل العجوز.

رأت روز ما ارتسم على وجهها من حيرة وألم، فأسرعت تقول: «حسناً، عندما كنت في مونتريال، أقمت في شقة والدي، آملة ان اعثر على أثر يدلني على مكانه، لأنه لم يتعود قط على التواري بهذا الشكل دون ان يبلغ أحداً، بحثت في أنحاء الشقة فلم أجد شيئاً، إلى ان عثرت أخيراً على عنوان في باريس لا أعرفه.»

نظرت جينا إليها حائرة: «وجدت عنواناً؟»

«انني لا أحب التجسس، عادة، ولكنني كنت شديدة القلق على والدي، وعلى كل حال، لم يكن هناك اسم أو رقم هاتف مع العنوان، ولهذا لم استطع أن اعرف من يسكن هناك، فتطوّع دانيال بأن يطلب من شخص يعرفه في باريس أن يبحث عن ذلك، وكان يتحدث عن نيكول اوغسطين، كما اكتشفت فيما بعد، ولم اكن قد سمعت باسمها قط قبل ذلك، ولكنها صديقة قديمة له...»

قالت جينا ضاحكة: «صديقة؟»

ولكن روز لم تضحك، بل تمتمت تقول: «أو لعلها حبيبة قديمة، على كل حال، فقد قامت بالبحث سائلة الجيران وحوانيت البقالة، وقد اتصل بي دانيال هاتفياً إلى

مونتريال واخبرني... بأن الشقة مؤجرة لوالدي ولكن ثمة امرأة تسكنها.»

فتحت جينا فمها غير مصدقة، ولكنها لم تقل شيئاً.

تابعت روز باختصار: «امرأة شابة.»

فرددت جينا قولها ذاهلة: «شابة؟»

فأومأت روز: «أصغر مني.»

«لا استطيع تصديق ذلك، ان والدك ليس من هذا النوع، فهو رجل مثقف.»

«هذا ما قلته أنا، ولكن دانيال ضحك مني لسذاجتي قائلاً ان كل الرجال من هذا النوع إذا سنحت لهم الفرصة، ان والدي فوق الستين، وهو دوماً كان مليئاً بالنشاط والحيوية كما انه يكره الاعتراف بعمره، قال دانيال انه ربما يحاول اقناع نفسه بأنه مازال شاباً.»

أخذت جينا تفكر في الأمر، ثم قالت: «ما الذي ستفعلينه إذن؟ ان تذهبي لرؤية والدك؟»

«كلا بالطبع، لا أريده ان يعلم بأنني اعرف ذلك، وبعد، لو انه كان يريدني ان اعرف بأمر صديقته، لأخبرني بذلك.»

«ماذا ستفعلين إذن؟»

«حسناً، اظن علينا ان نقوم بالتفرج على بعض المناظر في تلك المنطقة في كل يوم من وجودنا هناك ولا بد ان والدي يتناول طعامه في مكان ما في تلك الأنحاء، فهو لا يبتعد مطلقاً عن مقر سكنه، فإذا كنت معك وصادفناه في مكان ما، فلن أخبره أبداً عن تلك الفتاة، ويعود الأمر إليه اذا أراد هو ان يخبرني، ولكنني سأطمئن إلى أنه بخير وعافية، وهذا في الحقيقة كل ما أريد معرفته.»

نظرت جينا الينا بعطف: «حسناً، اننا إذن سنغادر إلى باريس يوم الجمعة؟»

فأومأت روز قائلة: «هنالك طائرة في الصباح، سنستقلها وسوف نعود صباح الاثنين، إذا كان هذا يناسبك.»

عادتا نحو المجمع، وفي هذه الاثناء خرج من مطعم بيير مجموعة من الرجال، وعندما مروا بجانبهما أحنوا رؤوسهم لجينا بالتحية قائلين: «مساء الخير يا سيدة تيريل.» فردت التحية باسمة وقد عرفت فيهم جميعاً صحافيي الجريدة من القسم الاقتصادي.

عندما وقفوا جميعاً في المصعد، انضمت إليهم فاليري نايت وقد بدت بالغة الأناقة بطقمها الصوفي الأسود الموشى الحواشي بأزرار ذهبية أسبغ عليه صبغة عسكرية. وعندما تحرك المصعد، سألتها روز: «هل كنت تتناولين غداءك في مطعم بيير؟»

فأومأت فاليري وعيناها البنفسجيتان الرائعتان تتجاوزهما إلى مجموعة الرجال الواقفة في المصعد، ثم قالت: «نعم، مع استابان سيباستيان.»

نظرت روز اليها بحيرة: «من؟»

لكن عيني جينا اتسعتا وهي تقول: «أليس هذا اسماً رائعاً؟»

فقالت فاليري حالمة: «انه موسيقي النبرات... استابان سيباستيان... انه يعجبني جداً، انه احد مجموعة رجال مؤسسة كاسبيان الذين جاؤوا إلى هنا مع نيكولاس كاسبيان من روما، انه رئيس تحرير الصفحة الاقتصادية في صحيفة مدريد، كنت أقول له ان يطلب نقله إلى لندن، وسأقوم معه بجولة سريعة في حياة لندن الليلية، هذه الليلة ابتداء بالنوادي.»

انحنى جيب كولينوود والذي كان مع المجموعة في المصعد، وقال بابتسامة ساخرة: «ولكن هل سيحضر معه زوجته وأولاده إلى لندن إذا جاء؟»

ردت عليه فاليري بحدة: «انه ليس متزوجاً، يا جيب.»

فأطلق ضحكة قصيرة: «حسناً، هذا قوله هو أليس كذلك؟»

فقالت جينا: «انه لم يمض هنا سوى يومين فقط، فكيف تعرفت اليه بهذه السرعة؟ لا بد انه رجل سريع العمل.»

قال جيب ببطء: «حسناً، ثمة شخص آخر هو السريع.»

فألقت عليه فاليري نظرة محرقة.

وقف المصعد عند طابق المحررين، ثم انفتح بابه، فخرج الجميع ما عدا جينا، إذ قالت لروز بسرعة: «إذن، عليّ ان احجز تذكرة ليوم الجمعة؟»

بدا الاهتمام على فاليري: «إلى اين انتما ذاهبتان؟»

فقالتا معاً وهما تبتسمان: «إلى باريس.»

«باريس، وفي الربيع... هل يمكنني الذهاب معكما؟»

قال جيب ساخراً: «ماذا؟ وتتركين استابان؟»

نظرت فاليري إليه من تحت اهدابها، ثم قالت بعذوبة ساخرة: «كلا، فانا لا أريده أن يذهب، لا بأس يا بنات، في وقت آخر.»

سألت جينا روز: «وماذا عن الفندق؟ هل لديك اقتراح؟»

فأجابت روز: «دعي ذلك لي، أتريدينه فندقاً رخيصاً أم غالياً؟»

«أريده مريحاً وليس فخماً.» ووقف المصعد بهما في هذه الأثناء. لقد وصلت باكراً، وكانت متهيبة من الدخول إلى

مكتبها، إذ كانت تعلم ان هيزل لم تعد من فرصة الغداء بعد، فقد ذهبت إلى السوق، وكانت جينا خائفة من أن تجد نيكولاس في انتظارها إذ كانت تشعر بأنها اكثر تعباً من ان تواجه عاصفة أخرى معه.

ما ان دخلت روز إلى مكتبها، حتى ظهر دانيال فجأة وقد اسود وجهه غضباً: «لقد تأخرت مرة أخرى، المسموح لك به هو ساعة للغداء وليس ساعتين، أين كنت؟ ولا أريد عذراً أعرج بأنك تأخرت في زحام السير.»

قالت بحدة: «كلا، لن افعل هذا، فقد تناولت شطيرة في الغداء على ضفة النهر مع جينا تيريل.»

قال وما زال وجهه متجهماً: «لا تتوقعي مني ان أتأثر لذكر اسم السيدة تيريل، فالغداء معها لا يشكل لك عذراً للتأخر ساعة عن العمل.»

«أنا لم أتأخر سوى عشر دقائق.»

فقال بعنف: «لقد تأخرت وكفى، وأريدك في المرة القادمة ان تكوني على مكتبك في الوقت المحدد.»

مدت يدها تلتقط حزمة قصاصات أوراق الصحف الأجنبية التي كانت تسلمتها ذلك الصباح لكي تترجمها لاستعمالها مستقبلاً، وهي تقول: «لماذا هذه الأشياء التافهة؟ انني لم اصبح مراسلة لكي أنفق كل وقتي وراء المكتب لأترجم اعمال الآخرين، انك لا ترسلني قط للعمل في الخارج، واذا كانت هناك رحلة إلى بلاد اجنبية فانا آخر القائمة للذهاب، أليس كذلك؟»

التهبت عينا دانيال، وقال بحدة: «هذا طبيعي، فأنت احدث عضو في المجموعة، وأقلها خبرة، انني طبعاً افضل

إرسال الاشخاص الذين أمضوا معنا مدة اطول، وأعرف كيف يعملون.»

«إذا كانت خبرتي قليلة فذلك لأنك ترفض ان تسمح لي بالحصول عليها.»

مضت لحظة صمت قال لها بعدها ببسمة ساخرة: «هذا يعتمد على نوع الخبرة التي تطلبينها مني.» قال لها ذلك ببطء ولهجة ذات معنى، فشعرت بجلدها يلتهب. «ان عقلك دوماً مشغول بشيء واحد.»

«هذا غير صحيح.» قال ذلك متفكهاً، ثم عبس وعاد يقول: «والآن، قومي بإنجاز العمل الذي اعطيتك إياه.»

استدار مبتعداً بينما بقيت روز تحملق فيه، وتجاهلت ابتسامات المراسلين الآخرين الذين كانوا يسمعون كلامهما، فقد كانوا يجدون متعة كبيرة من وراء معركتها المستمرة مع دانيال، ولكنها لن تدعهم يشمتون بها إذ تمتثل بوداعة لأوامر دانيال.

وبدلاً من ذلك، توجهت إلى رفوف المراجع الممتدة بين النوافذ الواسعة، فقد كان هناك كتب مراجع تتناول أي موضوع هنا تقريباً، وكانت تعلم انها لا بد ستجد معلومات حديثة عن فنادق باريس.

اخذت تبحث حتى وجدت المجلد الذي تبحث عنه، فانزلته، ثم اخذت تفتح صفحاته بسرعة، وهي تدوّن أسماء وعناوين ما وجدته مناسباً من الفنادق، مع أرقام هواتفها.

«ماذا تفعلين الآن؟» فاجأها صوت دانيال بهذا السؤال ما جعلها تجفل، فقد كان جاء من خلفها دون ان تسمع وقع خطواته، إذ كان يسير بخفة فهد في غابة.

أطبقت الملف ثم اعادته إلى الرف وهي تقول: «إنني فقط أبحث عن بعض المعلومات.»

«ما هي؟»

استدارت تقابل نظراته دون ان يطرف لها جفن، وقد رفعت رأسها متحدية: «انه شيء لا دخل له بالعمل.»

فقال من خلال اسنانه: «اعطني هذه الورقة.»

فتحت عينيها على اتساعهما: «أية ورقة؟»

«تلك التي بيدك.»

فوضعت يديها في جيبي بنطلونها الجينز، ثم واجهته بقوامها الصبياني النحيل، وقد بدا التحدي في وجهها.

فقال بسأم: «هل من المفروض ان نتشاجر دوماً؟» ثم انطلقت يداه فجأة تمسكان بمعصميها بقبضة حديدية، تخرجان يديها من جيبيها، ثم أخذ يحدق في راحتيها الخاليتين، فحدقت إليه روز وعيناها تتألقان، فقال: «لا بأس، هل ستخرجينها من جيبك أم تدعيني أخرجها بنفسي؟»

«حاول ان تلمسني فأصرخ بأنك تتحرشي بي.»

ترك دانيال يديها بغضب، ثم قبل ان تتمكن من الحركة، كانت يداه تندسان في جيبيها لتخرج احداهما قطعة الورق التي كانت تخفيها. «والآن، اصرخي.» قال ذلك ساخراً بغضب وهو يعلم انها لن تفعل.

نشر الورقة وأخذ يقرأ ما هو مكتوب فيها، وقد قطب حاجبيه: «فنادق باريس؟ متى تفكرين في السفر إلى باريس؟»

«هذا ليس من شأنك.» اجابته بذلك بحدة.

قال لها وعيناه تتفرسان في وجهها: «لا اظنك تنوين البحث عن والدك هناك، كلا، لا يمكن ان تكوني غبية إلى ذلك الحد.»

وإذ وجدت انه لم تعد ثمة فائدة من الانكار بعد ان عرف بالأمر، قالت باستياء: «ان جينا ذاهبة إلى باريس في عطلة نهاية الأسبوع، فرأيت ان اذهب معها، انها ستدفع نفقات السفر وأنا أدفع أجرة الفندق، ومن المستحيل ان افكر في الذهاب إلى تلك الشقة... فأنا لا اريد ان يعلم والدي بأنني كنت أبحث عنه، ان سفري ان هو إلا لفترة قصيرة مع صديقتي.»

«هذه فكرة جيدة.» قال ذلك بلهجة بعثت الشك إلى نفسها على الفور، ثم ناولها الورقة وهو يقول: «انك راحلة غداً، أليس كذلك؟ حسناً، في مثل هذا الوقت من السنة يمكن العثور على غرفة في فندق بسهولة اثناء العطلات الأسبوعية ان افضل فندق يمكنكما ان تجداه، هو فندق فينيكس انه فندق قديم ولا يحتوي على مطعم، ولكنه رخيص ومريح.»

فقالت بغضب: «اعلم هذا فقد أقمت فيه مرة.»

ألقى عليها احدى نظراته الساخرة: «مع والدك طبعاً... كما انه ليس بعيداً عن الشقة، أليس كذلك؟» ثم استدار مبتعداً وهو يقول من فوق كتفه: «والآن هيا إلى العمل الذي كنت كلفتك به، انني أريد تلك النسخة قبل الخامسة على الأكثر.»

ما ان وصلت إلى منزلها، ذلك المساء، حتى سارعت بالاتصال بفندق فينيكس حاجزة غرفتين، ولكنهم اخبروها بأن لديهم حالياً جناحاً صغيراً فقط وذلك على السطح. واضافت المرأة التي تولت الحجز: «ولكن ذلك الجناح يحتوي على غرفتين كل منهما تحتوي على سرير، وحمام واحد عصري، والنوافذ تطل على منظر رائع لباريس.»

ترددت روز لحظة، ثم سألتها: «هل يوجد مصعد؟»

أجابت المرأة: «بكل تأكيد.»

«احجزي لي إذن، الجناح هذا.»

في اليوم التالي وصلتا، هي وجينا، إلى المطار والطائرة على وشك الاقلاع، بعد ان اعاقتهما زحمة السير، وعندما استقرتا في مقعديهما، قالت جينا والطائرة تشرع في الحركة: «لم اصدق على الاطلاق اننا سنسافر حقاً.»

لكن روز كانت تحدق غير مصدقة إلى رأس احد المسافرين في احد الصفوف أمامهما، هذا مستحيل... لا شك انها تتخيل ما تراه.

سألتها جينا بمرح صبياني تقريباً: «أين سنتعشى هذا المساء؟ ان عليك ان تختاري المطعم حيث أنك الخبيرة بباريس، روز... ما أشد شوقي لذلك.» كان وجهها متوهجاً وعيناها متألقتين.

وإذ اخذت الطائرة ترتفع في السماء، ألقت جينا على روز نظرة جانبية وهي تسألها: «انك غير خائفة، أليس كذلك؟»

حولت روز رأسها عن الرأس أسود الشعر، ثم نظرت إلى جينا: «خائفة؟ أبداً، فقد اعتدت على السفر بالطائرة، لماذا تسألينني؟»

نظرت جينا إلى يديها، وعند ذلك فقط انتبهت روز إلى نفسها انها كانت تتشبث بذراعي مقعدها بشدة جعلت عظام مفاصل يديها بيضاء، فاسترخت بسرعة وهي تتنهد، قائلة: «ليس الطيران الذي يجعلني متوترة بهذا الشكل، بل دانيال برونى... انه في الطائرة امامنا بثلاثة صفوف.»

اجفلت جينا وألقت نظرة سريعة على الصف الثالث في الأمام، ثم شهقت قائلة: «اظنك على صواب.»

فقالت روز عابسة: «اعرف ذلك.»

قالت جينا: «يا لها من مصادفة.»

«انها ليست مصادفة فهو يعلم اننا مسافرتان إلى باريس على هذه الطائرة، كما انه يعلم لماذا أريد السفر إلى باريس، أيضاً، وهذا هو السبب في وجوده هنا، ان دانيال لا يستطيع ان يهتم بشؤونه الخاصة فقط، وعليه ان يتدخل دوماً، لقد كان عليّ ان اتكهن بذلك فقد ساورني شيء من الشك، ولكنني اقنعت نفسي بأنني أتخيل اشياء لا صحة لها.» واستعادت ذكرى ذلك الحديث الذي دار بينهما في المكتب، ثم صرفت بأسنانها وهي تقول: «حتى انه أرشدنا إلى هذا الفندق، فينيكس قائلاً انه الأفضل، وكان عليّ ان اكون انكى من ان انخدع بنصيحته، ما هو ذلك المثل الذي يقول: «(إحذر من اليوناني عندما يحضر إليك هدية)؟»

قالت جينا محتجة: «ولكنه ليس يونانياً بل هو فرنسي.»

فقالت روز: «مهما كان، فعليك ان تحذري منه إذا قدم اليك هدية مجاناً، بما في ذلك النصيحة، انه يعلم الآن أين نحن، وبالتالي لن يدعنا مرتاحتين.»

قالت جينا بضيق: «ألا تظنين انه سيتصل بوالدك ويخبره بأنك في باريس؟»

هزت روز كتفيها: «من يدري ما الذي يمكن ان يفعله دانيال برونى؟ ماذا غير ذلك يجعله يذهب إلى باريس في نفس وقت ذهابنا، إذن؟»

فأومأت جينا قائلة: «نعم، هذا صحيح.»

أخذت روز تنظر إلى ظهر دانيال، متأملة في خداعه، انه لم يمنحها أية إشارة إلى ما ينوي عمله ما عدا تلك الرقة المفاجئة والنصيحة الحسنة، والابتسامة البريئة على

شفتيه وهو يبتعد.. فيا لها من حمقاء إذ لم تنتبه إلى ذلك.

ثم قالت لجينا غاضبة: «دعيه يأت إلينا، وسأحدثه عن رأيي الصريح فيه.»

لكن دانيال لم يأت ليتحدث اليها، فهو من غير شك، يعلم ما ستقوله له روز، فكان يتجنبها بمهارة في الوقت الحالي.

كانت الرحلة قصيرة، إذ بعد ساعة كانت الطائرة تهبط بهما لتقفا في الصف لملء الأوراق الرسمية لدخول البلاد.

تمتمت جينا تقول لروز: «انني لا أرى دانيال.» وكانت هذه تنظر حولها تبحث عنه هي أيضاً، فأجابت: «لا بد انه تجاوزنا، فهو سريع التصرفات لاعتياده الأسفار. اننا سنجده في منطقة تسليم الأمتعة حيث يأتي الينا عارضا المشاركة في التاكسي. ولكن اذا كان يظن انني سأهتم بما يقول فهو لا يعرفني.»

لكنهما عندما ذهبتا إلى قسم تسلم الأمتعة في مطار شارل ديغول، لم تجدا أثراً لدانيال، ولا في الخارج في موقف التاكسي.

فقالت جينا ضاحكة: «ربما هو يعرفك فلم يزعج نفسه بعرض مشاركته التاكسي.» ولكن مزاج روز لم يكن يستسيغ الضحك، وعندما سارت بهما التاكسي في المدينة، كانت مستغرقة في التفكير، ثم إذا بها تقول فجأة ما جعل جينا تجفل: «آه، لشد ما أنا مغفلة.»

سألتها جينا وهي تنظر إلى الضواحي التي كانت السيارة تمر خلالها، سألتها قائلة: «ماذا الآن؟»

تمتمت روز تقول: «كان عليّ ان اعرف من قبل، فالأمر واضح، لأنه سينزل في نفس فندقنا.»

سألتها جينا بارتباك: «من؟ والدك؟»

«كلا، يا غبية، بل دانيال.»

وهكذا عندما دخلتا الفندق، كان أول ما رأتا هو دانيال يرونى داخلاً لتوه إلى مصعد توارى به في الطابق الأعلى، قالت لها روز: «ماذا قلت لك؟» فلم تتكلم جينا.

سجلتا اسميهما، ثم صعد بهما شاب ظريف إلى جناحهما حيث أصر على فتح النافذة ليريهما المنظر، وهو يقول بزهو: «إذا انتما نظرتما إلى اليمين، فستريان قصر التويلري.»

وما لبث ان غادر المكان بعد ان تلقى الاكرامية منهما، بينما قالت لها روز محذرة: «أرى هناك درابزين، وهو لا يبدو لي آمناً، هل نخرج ثيابنا من الحقائب ونغتسل؟»

فقالت جينا حالمة: «فلنخرج لنتمشى.» وكانت ماتزال تتفرج من الشرفة على الشارع أسفل.

نظرت اليها روز هازلة: «علينا أولاً ان نفتح حقائبنا ثم نأخذ دوش على الأقل، انك ستشعرين بتحسن كبير بعده، فالأسفار اكثر إرهاقاً مما تظنين، وانت لا تحبين ان تنهاري اثناء تناول العشاء، أليس كذلك؟ وبعد ذلك نتمشى حول الفندق لنرى مكاناً نأكل فيه، فليس في هذا الفندق مطعم، كما تعلمين.»

لم تكن أي منهما قد احضرت كثيراً من المتاع، ولهذا لم يستغرق منهما فتح الحقائب ووضع الثياب في الخزانة سوى عدة دقائق. انتهت روز أولاً، فاغتسلت وبينما كانت جينا تغتسل، ابتدأت روز ترتدي ثيابها، وكانت ما زالت في ثيابها الداخلية عندما سمعت طرقاً على الباب، فأسرعت ترتدي معطفاً منزلياً أسود شفافاً: «من هذا؟»

فسمعت صوتاً منخفضاً يقول بالفرنسية: «إبريق مرطبات هدية من إدارة الفندق، يا سيدتي.»

فتحت روز الباب، وإذا بصينية فضية تبرز أولاً وعليها إبريق وأكواب، فتراجعت إلى الخلف مفسحة الطريق للنادل لكي يدخل، وعند ذلك فقط، أدركت انه ليس النادل وإنما هو دانيال في ملابس السهرة، ولكن الوقت كان قد فات فلم تستطع منعه من الدخول.

قالت وهي تتنفس بعنف غاضبة: «انت... ماذا تعني باللحاق بنا إلى باريس؟»

فقال: «انقذك من التصرف بشكل أحمق، وماذا غير هذا تفعلين منذ سنوات؟» ووضع الصينية على منضدة ثم اخذ يملأ الأكواب وهو يتحدث بذلك الصوت الفرنسي الهادىء الواثق، فيقول: «أين جينا تيريل؟ لقد احضرت ثلاثة اكواب.»

«انها تغتسل في الحمام.» قالت له ذلك كارهة حيث ان عليه ان يعرف ذلك بنفسه وذلك من صوت تساقط الماء من الدوش في الحمام.

قدم اليها كوب كوكتيل العصير الطازج، فقالت بلهجة صبيانية: «كلا، شكراً.»

وعندما وضع الكوب على الصينية دون ان يتكلم، أدركت هي ان المنطق قد جافاها، فعادت تأخذ الكوب ما جعل ابتسامة فوز تبدو على شفتيه، ثم تغيرت ملامحه وهو يتفحصها بنظراته في معطفها المنزلي الأسود الشفاف الذي كانت تبدو فيه ببشرتها العاجية، كاللؤلؤة، فقال لها: «انك جذابة للغاية.»

احمر وجه روز وتسارع نبضها، وشعرت بالإنزعاج لا لتحديق دانيال فيها وإطرائه لجمالها فقط، وإنما أيضاً لردة فعلها هي تجاه هذا، فتمتمت تقول: «قد تخرج جينا...»

فهمس قائلاً: «عليك دوماً ان ترتدي ثياباً كهذه.»

ضحكت محاولة ان تجعل الأمر مزاحاً: «قد يسبب هذا مشاكل في المكتب.»

«هذا مؤكد، كما انني لن استطيع انجاز أي عمل، إذ انني لن استطيع تحويل نظراتي عنك.»

فتراجعت مبتعدة بينما تبعها هو يحاول الامساك بها، ولكنها كانت قد وصلت إلى باب الشرفة فخرجت منه إليها. فهمس يقول لها: «كفاك هرباً مني، يا روز.»

فلم تجب وهي ترفع كوب العصير ترشف منه بينما نظراتها تنحدر من فوق الدرابزين إلى الشارع اسفل، وهي تتمتم قائلة: «ما ألذ هذا العصير.»

في هذه اللحظة وجدت نفسها تحدّق في وجه والدها الذاهل..

شهقت روز عالياً وهي تهتف: «والدي... انه والدي يا دانيال...»

ماذا؟ هل ابتدأت تتخيلين الأشياء الآن؟» قال ذلك عابساً، ولكنه بعد ان نظر إلى وجهها بإمعان، حول نظراته إلى أسفل حيث كانت موائد وكراسي موضوعة على الرصيف خارج مقهى صغير، لم يعد والدها ينظر اليها الآن، بل كان واقفاً يدفع الحساب للنادل وهو على وشك الذهاب.

فتمتم دانيال قائلاً: «آه، انه حقاً والدك ديسموند.»

لم تكن روز تنظر إلى والدها الآن، بل كانت نظراتها مسمرة على مرافقته وهي لا تكاد تصدق ما ترى، حتى من هذا المكان العالي كانت الفتاة التي معه تبدو صغيرة السن تماماً، فقد كانت صغيرة الجسم نحيلة ذات شعر طويل ناعم ذي لون بني فاتح، وملامح ناعمة خجول، وكانت ترتدي ثوباً واسع التنورة ضيق الخصر وحذاءً أبيض، ما جعلها تبدو كتلميذة مدرسة.

لم يعد والدها الآن ينظر إلى أعلى، رغم ان روز كانت واثقة من انه رآهما، هي ودانيال، معاً وأدرك انهما شاهداه كذلك مع رفيقته، ثم سار والفتاة، مبتعدين عن المكان نحو شارع ريفولي، هل من الممكن ان يكون لوالدها علاقة غير شريفة مع مثل هذه الفتاة الصغيرة؟ تملكها الإشمئزاز وهي تتمتم بصوت عال: «أواه، يا والدي... كيف تفعل شيئاً كهذا؟»

الفصل السابع

هرعت روز إلى الغرفة ذاهلة متوهجة الوجه، فخلعت معطفها المنزلي وارتدت ثيابها بعجلة.

ما لبث دانيال أن عاد من الشرفة فسألها: «ماذا ستفعلين؟»

«سألحق به و...»

«وتخبرينه بأنك اقتفيت أثره إلى هنا؟ لا اظنك جادة.»

لم تنظر إليه، وبقيت مشيحة عنه وقد تملكها التوتر والشعور بالغضب والعار، وهي تقول: «انني سأخبره بالسبب الذي جعلني أقف معك على الشرفة وأنا بثياب المنزل وأن الأمر ليس كما يمكن ان يظنه، هل رأيت التعبير الذي بدا على وجهه؟ لا أريده أن يذهب معتقداً باننا... أنا وأنت..» سكتت وهي تعض شفتها: «إنك تعلم ما أعني.»

فقال عابساً: «أنا أعلم ما تقولين ولكنني لا أعلم ماذا تعنين، يا روز، هل يعني شيئاً كلما وقف رجل مع امرأة؟ ثم ان انه كان يريد ان يتحدث اليك، لانتظر ان تنزلي إليه، ولكنه لم ينتظر بل ذهب حالما رآك، فلماذا تلحقين به؟»

كانت تعلم أن الحق معه في ذلك، وهذا ما جعلها اكثر غضباً: «لماذا لا تحتفظ بنصائحك لنفسك وتهتم بشؤونك الخاصة فقط، يا دانيال؟» صرخت فيه بهذه الكلمات في الوقت الذي خرجت فيه جينا من الحمام مرتدية معطف

حمامها الأسود، مبتلة الشعر، ثم اخذت تنقل نظراتها بينهما من واحد لآخر، وقد تملكها القلق.

لم تكلف روز نفسها عناء الشرح ولكنها لم تستطع مواجهة عيني جينا اللتين كانتا تنطقان بالقلق والاهتمام، فسارت نحو الباب ثم ركضت إلى المصعد، ان بإمكان دانيال ان يخبر جينا بما حدث، اذا شاء... ولكن روز كانت تشعر بأنه لن يفعل شيئاً من هذا القبيل.. فهو كتوم مثل والدها.

عندما خرجت إلى الشارع الضيق، استدارت إلى اليمين، كما كان والدها ومرافقته قد فعلا، ثم ركضت إلى الزاوية حيث استدارت إلى اليمين مرة أخرى داخل شارع ريفولي والذي كان مزدحماً، كالعادة، بالمتسوقين، ولكنها لم تر والدها، فسارت نحو ساحة الكونكورد تنظر في انحائها، ثم سارت إلى حدائق التويلري تلقي عليها نظرة، دون فائدة، عبست وهي تفكر مترددة... هل عليها ان تبحث في الشوارع المحيطة بها؟ وهل يفكر والدها بتناول الطعام في هذه الأنحاء؟ ام انه عاد إلى شقته؟ انه يعلم الآن انها في باريس، ولا بد له من ان يبحث عنها مستقبلاً.

وهكذا عادت آسفة إلى الفندق حيث وجدت جينا وحدها في الشقة، ولكنها الآن مرتدية ثيابها كاملة والتي كانت عبارة عن طقم من الكتان الأبيض، واضعة حول عنقها سلسلة ذهبية رائعة الجمال، وقفت روز لحظة تتأملها، ثم قالت: «تبدين باريسية بأناقتك.»

فضحكت جينا: «هل هذه مجاملة؟» وما لبثت ان سألتها باهتمام: «هل وجدت والدك؟»

هزت روز رأسها: «لقد هرب الثعلب، كما اظن، ماذا قال لك دانيال؟»

«قال انكما كنتما في الشرفة عندما رأيت والدك سائراً فنزلت للبحث عنه، وقد طلب مني أن اخبرك بأنه سيتناول عشاءه مع صديقة له الليلة.»

قالت جينا ذلك بهدوء، فتشنج جسم روز وقد أدركت من هي صديقته تلك التي سيراها. فقالت بحدة: «انها نيكول أوغسطين؟»

قطبت جينا جبينها: «انه لم يقل ذلك، ولا أدري اذا كان ذهب للبحث عن والدك.»

فقالت روز ببطء: «هذا ممكن، ولكنني لأمر ما، لا اظنه سيفعل، آه، فلننس دانيال وكل شيء آخر، اننا في باريس والليل في أوله... فلنستمتع بذلك، حيث اننا سنعود إلى لندن المقبضة للنفس يوم الاثنين القادم.»

قالت جينا ضاحكة: «حذار، فلندن هي مدينتي المفضلة.»

وما لبثتا ان اقفلتا جناحهما ثم نزلتا إلى الطابق الأسفل.

قالت روز تحدث نفسها بصوت مرتفع وهما تخرجان إلى الليل الربيعي الدافىء: «لا اظن لديّ مدينة مفضلة، فأنا احب كل بلد اسكن فيها، فعندما كنت في منتريال شعرت فوراً بأنني في موطني... لقد ولدت هناك طبعاً، ولكنني عندما عدت إلى لندن شعرت كذلك بأنها موطني...»

قالت جينا تذكرها: «حسناً، فقد ذهبت فيها إلى المدرسة.»

أومأت هذه قائلة: «بالضبط، وأنا الآن في باريس اشعر وكأنني عدت إلى وطني أيضاً، وذلك لأنني أمضيت فيها زمناً طويلاً، كما ان اجداد والدتي عاشوا في باريس، فقد كانت كندية فرنسية، كما تعلمين، وبعض افراد أسرتها مازالوا يعيشون في فرنسا، وقد استقصى والدي اثرهم مرة

من باب الفضول... حيث انه كان دوماً يحب اشجار العائلات. كان فرع من الأسرة قد عاش في باريس، ولكنهم انتقلوا إلى الأرياف.»

كانتا تتمشيان في اتجاه دار الأوبرا، وفي طريقهما كانتا تمران بالمطاعم، ولكنها كانت خالية حيث ان الوقت كان ما يزال مبكراً، ولكنهما لم تكونا على عجل وكانت جينا متلهفة إلى الشعور في الشوارع، بأنها في باريس... المارة المسرعون، وغالبيتهم عائدون إلى بيوتهم، زحمة السير، المقاهي المحتشدة بزبائن الليل الذين كانوا يسترخون وهم يقرأون الصحف بعد نهار عمل شاق، وكان الكثير من المتاجر مازال مفتوحاً ومزدحماً، وبائع زهور يضع سلاله على الرصيف، الموظفون والعمال يتدفقون نحو الميترو تحت الأرض، كما كانت الباصات ذات اللون الأخضر القاتم محتشدة بالركاب.

كانت عينا جينا الخضراوان تجولان في كل مكان، محاولة الاحتفاظ بذكرى كل ما تراه، وقد خلب كل ذلك لبها.

وقفت جامدة وهي ترى الواجهة المزخرفة لدار الأوبرا، القبة البرنزية الخضراء، المنحوتات المجنحة على كل ناحية من السطح، وهتفت لاهثة: «آه، ما أروع هذا.»

قالت روز ضاحكة: «انه مذهل، أليس كذلك؟»

قالت جينا مبهورة: «حسناً، لا يمكن لأحد انكار هذا الجمال، اظنه من غير هذا العالم، لقد شعرت الآن أنني في باريس، إلى أين سنذهب، بعد هذا؟»

قالت روز: «هل نذهب لتناول العشاء؟» ولكن جينا لم تكن قد فرغت بعد من التفرج، وعندما وقفت سيارة تاكسي بجانبهما تنزل راكباً، جرت روز نحوها قائلة: «اخبريه إلى

أين نذهب، وليكن مكاناً رائعاً.» قالت ذلك وهي تصعد إلى المقعد الخلفي.

فانضمت إليها روز بعد ان أعطت السائق التعليمات.

سألتها جينا بلهفة: «إلى اين سنذهب؟ ماذا قلت له؟»

واندفعت السيارة بهما في هذه اللحظة وكأنها خارجة من سباق، فانكمشت جينا في زاوية المقعد، نظرت روز إليها باسمة: «طلبت منه ان يذهب بنا إلى شارع سانت ميشيل انه سيعجبك جداً، وهو في الناحية الأخرى من النهر...»

قالت جينا بابتهاج: «الضفة اليسرى.»

«نعم، شمال النهر، فهذا الشارع هو قلب الضفة اليسرى، وهو لأجل الشبان... فهو مليء بالمكاتب والمقاهي والطلاب لأن جامعة السوربون قريبة من هنا، وفي العام ١٩٤٤ دار هناك قتال عنيف بين الطلبة والجيش الالماني، وكثير من الطلبة قتلوا أو جرحوا، وقد اصبح هذه الأيام مكاناً سياحياً كبيراً، كما ان الطعام لم يعد جيداً كما كان، فقد كان يوجد فيها كثير من مطاعم العائلات حيث كان الطعام رخيصاً ولكنه رائع، وذلك منذ ثلاثين عاماً كما يقول والدي، وكان يمكنك ان تأكلي فيه الأطعمة الريفية. اما الآن فهناك الأطعمة اليونانية والجزائرية غالباً، ولهذا لم يعد الطعام جيداً كما كان كما انه غالي الثمن تماماً.»

«لماذا نحن إذن ذاهبتان إلى هناك لكي نأكل؟»

«اننا لن نأكل هناك، بل نتمشى في أنحاء المكان ونتناول بعض المرطبات.»

«وبعد ذلك؟»

«سنتناول طعامنا في مطعم أعرفه جيداً، وكل ما أرجوه

هوان يكون ما زال في مكانه، المشكلة هي ان المطاعم تقفل أبوابها باستمرار، خصوصاً الجيدة منها والتي بقيت سنوات طويلة، إلى ان يموت صاحبها، مثلاً، دون وريث، أو يأتي من يدفع له ثمناً مغرياً فيبيعه له ليحوله الشاري إلى شيء آخر... وهكذا.»

لكن جينا لم تكن تستمع الآن، وهي تتفرج من النافذة بينما السائق يسير بالسيارة ببطء على الجسر المزدحم بالمارة، ثم هتفت تقول: «آه، انظري، اننا نسير فوق الجسر.»

لم تستطع روز ان تمنع نفسها من الضحك لابتهاجها وحيرتها، وقالت لها: «انك في باريس تروحين وتجيئين فوق نهر السين على الدوام، اكثر مما يحدث لك في لندن، حيث أهم المباني تقوم في الناحية الشمالية من النهر، بينما في باريس يوجد مبانٍ سياحية كبرى على جانبي النهر.»

«ما اجمل هذا، وما ذلك الذي هناك؟»

«انه أيضاً متحف اللوفر ولكن من الناحية الأخرى من النهر.» قالت روز ذلك ثم تابعت تشير إلى المباني الأخرى التي أخذت تظهر لهما. برج نوتردام، قبة البانتيون...

أنزلتهما السيارة في المكان المطلوب قرب النافورة حيث كان عازف قيثارة جالساً يعزف وقرب قدميه قبعته. وكان المارة يقفون للاستماع إلى عزفه، ثم يلقون بقطع نقدية في القبعة بينما الرجل يشكرهم بانحناءة مهذبة في كل مرة.

سارت روز وجينا خلال الطرقات الضيقة في الضفة اليسرى، متجاوزتين المطاعم الأرمنية واليونانية والجزائرية، وكان التعب قد أدركهما فدخلتا إلى مشرب تناولتا فيه شيئاً من المرطبات قبل ان تتابعا السير بمحاذاة

النهر إلى ان وصلتا إلى المطعم الذي كانت روز تتردد عليه اثناء زياراتها إلى باريس.

حياهما صاحب المطعم الذي تعرفه، وقد عرفها هو أيضاً، فصافحها وهو يقول ان والدها كان عنده منذ ايام فقط، وأصر على ان يحضر لهما المقبلات أثناء اختيارهما انواع الطعام في القائمة.

كان الطعام ألذ ما ذاقته جينا منذ وقت طويل، كما كان الجو شاعرياً للغاية بمنظر نهر السين تنعكس على مياهه صور البدر والنجوم.

لم تستطع ان تصدق انهما لم يمضيا في فرنسا سوى ساعات قلائل، فقد حدثت أشياء كثيرة ورأت الكثير وإذ وجدت نفسها بين بحر من الناس لا يتحدثون سوى الفرنسية، شعرت وكأنها هنا منذ أيام، وتثاءبت وهما تدخلان سيارة أجرة عائدتين إلى فندقهما في الناحية الأخرى من النهر.

سألتها روز: «هل أنت متعبة؟»

أومأت جينا ضاحكة، وأخذت روز تنظر إليها متأملة، لقد ابتدأت جينا تعود إلى ما كانت عليه، فتغيير المناظر، والابتعاد عن كل ما يذكرها بكيفية موت السير جورج، وعن كل مشاكلها بالنسبة إلى الصحيفة ونيكولاس كاسبيان، كان هذا ما تحتاجه إذ كان منحها أموراً أخرى تفكر فيها... بددت الظلام من نفسها.

وقفت سيارة الاجرة امام فندق فينيكس فتوجهت جينا إلى الفندق بينما كانت روز تدفع الأجرة للسائق، وبعد ذلك بلحظة كانت تقف معها عند مكتب الاستقبال تأخذان مفتاح جناحهما، ولكن اثناء توجههما نحو المصعد، تناهت إلى

مسامعهما اصوات آتية من المشرب الصغير الكائن في زاوية من الصالة، فتشنج جسمها والتفتت إلى ناحية المشرب.

وصل المصعد فدخلته جينا، ولكن روز قالت لها: «اصعدي انت يا جينا واذهبي إلى فراشك، فأنا سأتأخر لفترة ما، فقد سمعت لتوّي صوت أبي في المشرب مع دانيال، وأنا سأذهب للتحدث اليهما.»

أومأت متفهمة، بينما عادت روز متجهة نحو المشرب، محاولة التظاهر بالهدوء بينما يغلي الإضطراب في اعماقها.

ما الذي ستقوله لوالدها؟ وهل ستكون تلك الفتاة معه؟ لم تكن روز تعلم كيف عليها ان تعالج هذا الأمر، حينذاك.

وقفت عند العتبة وهي تتنهد بارتياح، كان الرجلان وحدهما دون الفتاة... ولم يكن في الواقع، ثمة احد في المكان سواهما، كان والدها مولياً ظهره لها، ولكن دانيال كان مواجهاً الباب وتقابلت عيناه اللامعتان بعينيها.

قال لوالدها شيئاً جعلته يقف ويستدير بينما كانت روز تتجه نحوهما.

قالت بلهجة جعلتها عادية ما أمكنها: «مرحباً يا والدي.»

أجابها بنفس اللهجة: «مرحباً يا روز، تبدين بصحة جيدة.» ثم انحنى يقبل ابنته على الطريقة الفرنسية ثلاث قبلات على كل خد.

ثم قالت بلهجة مبطنة بالسخرية: «انك تبدو أصغر من سنك بعشرين عاماً.»

ما زال مظهره ووجهه كما هو، ولكن الزمن قد غير منها، فاختلط شعره الأسود بالبياض وبهتت زرقة عينيه ووضحت خطوط ابتسامته الساخرة الدائمة حول فمه

الكبير وعينيه، ولكن الزمن لم يخفف من قوة شخصيته، فالمرء ما زال يشعر بأنه جالس إلى شخص ذي جاذبية وقوة أخاذتين.

قال دانيال بهدوء وهو يمد يده يمسك بيدها يجلسها: «اجلسي يا روز.» كانت هي تريد ان تجلس بجانب والدها، ولكن دانيال جذبها يجلسها بجانبه، ثم سألها عندها جاء النادل: «ماذا تريدين ان تشربي؟» فطلبت كوب مياه معدنية.

سألها والدها: «هل كنت تتناولين عشاءك خارجاً؟»

وعندما أومأت بالإيجاب، عاد يسألها: «إلى أين ذهبت؟»

وعندما اخبرته قال: «كنت انا هناك منذ ايام.»

«اعلم هذا فقد اخبرني صاحب المطعم.»

فابتسم الوالد: «هل أكلت جيداً؟»

«نعم، كالعادة.»

احضر لها النادل كوب المياه المعدنية، فأخذت ترشف منه. دار بينهما حديث مهذب وكأنهما غريبين، ما جعل روز تشعر بمزيد من التعاسة، لقد أمضت حياتها كلها على علاقة حميمة بوالدها، ولكن ها هوذا يبدو فجأة وكأن بينهما جداراً عالياً فلا تستطيع الوصول إليه. نظرت إلى كوبها وأخذت تحركه وقد تملكتها المشاعر.

ثم قال والدها: «لقد كنا انا ودانيال، نتحدث.»

قال دانيال: «لقد التقينا مصادفة إذ كنا نتناول العشاء في نفس المطعم، وحيث ان كلاً منا كان مع شخص آخر، لم نتمكن من تبادل الحديث بشكل جيد، وهكذا اجتمعنا هنا منذ نصف ساعة.»

قال والدها لاوياً شفتيه: «لقد دهشت بعض الشيء وأنا

أرى دانيال مع امرأة أخرى بعد ان رأيته معك على الشرفة.»

شعرت روز بوجنتيها تلتهبان وقالت: «ألم يخبرك دانيال اننا لم نأت معاً من لندن؟»

فقال دانيال وفي عينيه نظرة ساخرة: «لقد اخبرته.»

قالت بحدة: «هذا ما أرجوه.»

فقال والدها بهدوء: «يرى دانيال أن عليّ ان اخبرك عن ايرينا...»

فجمدت روز لسماعها الاسم بنبراته الموسيقية. إذن فالفتاة ليست انكليزية، ما عسى ان تكون هويتها؟ فرنسية؟ وتمنت روز لو انها لم تحضر إلى باريس، فهي لم تعد تريد ان تعلم شيئاً عن والدها وتلك الفتاة، لماذا يشعر ان عليه ان يخبرها؟ فهي حياته الخاصة، كما انها تريد سعادة والدها.

تابع والدها يقول: «لقد حدثت دانيال عن هذا الأمر، إذ لم اكن اعرف ما يجب ان افعل وما اذا كان عليّ ان اخبرك أم لا، فأنت لم تعودي طفلة وبإمكانك ان تتفهمي الأمر، ولكنني لم اكن واثقاً من ردة فعلك، ولهذا طلبت النصيحة من دانيال... فهو يعرفك أكثر من أي شخص آخر.»

رفعت بصرها مجفلة، فرأت عيني دانيال الساخرتين، ما الذي جعل هذه الفكرة في ذهن والدها؟

فقال دانيال برقة: «وكانت نصيحتي لوالدك بأن يخبرك بكل شيء.»

فقال والدها وهو يعبث بكوبه: «الأفضل ان ابدأ من البداية، عندما ماتت والدتك يا روز، كانت الصدمة عنيفة بالنسبة إليّ، وشعرت بأنني لا استطيع البقاء في مونتريال لأن كل شيء فيها كان يذكرني بها، ولهذا اتخذت وظيفة في لندن في

صحيفة سنتنال. ولم تكوني قد بلغت السادسة بعد، لكنني واثق من انك تتذكرين تلك الأشهر الأولى، فقد كانت صعبة عليك انت أيضاً، ولم تكن تعزيتي لك كافية، فقد كنت محطماً، وكنت اشعر بالحزن لأجل نفسي، وهكذا حاولت ان اغرق نفسي في العمل كيلا افكر، واستأجرت شقة في هامبستيد في بيت قديم الطراز...»

سكت قليلاً، ثم عاد يقول: «في تلك الفترة تعاقدت مع طالبة جامعية للعناية بك أثناء غيابي في العمل... وكنت انت دوماً في الحديقة تركبين الدراجة ذات الثلاث عجلات، هل تتذكرين؟»

تملكها الارتباك... لماذا كل هذا الحديث عن الماضي؟

سألها: «هل تتذكرينها؟»

فسألته: «من؟»

«مربيتك... كانت اسبانية في العشرين من عمرها فقط، وكانت في صف الشهادة النهائية في جامعة لندن، اشتغلت عندنا لكي تعيل نفسها عندما تبدأ الدراسة مرة أخرى في الخريف.»

عادت الذكريات البعيدة إلى ذاكرة روز، ذكرى تلك الفتاة الذهبية البشرة ذات الشعر الأسود الطويل والعينين القاتمتي اللون، وهتفت روز بالاسم الذي اندفع إلى ذاكرتها فجأة: «غرازيا.» حتى هذا الحين كانت روز قد نسيت تلك المرأة تماماً...

فقال والدها: «هذا صحيح، غرازيا، انت تتذكرينها إذن!»

«نعم، بعد ان ذكرتني انت بها، ولكنها لم تبق طويلاً معنا، فأنا لا اتذكرها بعد دخولي المدرسة.»

تنهد وهو يتابع قائلاً: «كلا، فقد تركتنا في ذلك الخريف،

ولكنها لم تذهب إلى الجامعة، كما انها لم تذهب إلى بلدها، ان ما حدث بيننا كان شيئاً لا يتصوره أحد.»

وسكت لحظة طويلة عاد بعدها يقول: «لقد دفعني الشعور بالوحدة بعد وفاة والدتك إلى التماس السلوى من تلك الفتاة الغضة الشباب والتي سكنت معنا في نفس الشقة، وهكذا ذهبنا معاً إلى مكتب للزواج حيث تزوجنا، ولكن ذلك لم يدم سوى شهور قليلة... ولعلها أحست بأن مشاعري ما زالت عند والدتك، وانها لم تكن تعني لي شيئاً في الحقيقة، فعادت إلى وطنها، بعد ان اتفقنا على الطلاق، فأرسلت إليها الأوراق، وعلمت بعد ذلك انها تزوجت الرجل الذي كان خطيبها قبل حضورها إلى لندن. ولكن الذي لم اعلمه انها كانت حاملاً بإيرينا، عند عودتها إلى اسبانيا.»

نظرت روز إليه حائرة دون ان تفهم، فعاد يقول: «ولكنها لم تخبرني حينذاك، فقد كنت انا والد إيرينا.»

حملقت روز في والدها وقد تملكتها صدمة بالغة جعلت وجهها كوجوه الموتى شحوباً.

أسرع والدها يقول وقد احمر وجهه، وقطب حاجبيه: «لم اعرف مطلقاً بذلك، ان غرازيا لم تخبرني قط، ولم اعرف بالأمر إلا عندما ألقيت محاضرة في باريس، لقد كانت إيرينا بين الحضور إذ كانت تتعلم في جامعة السوربون فسمعت بأنني سألقي محاضرة، فجاءت، وبعد ان جلست لأضع توقيعي في أوتوغرافات الطلاب الذين احدقوا بي، وكذلك على نسخ من كتبي، رأيتها تنظر إلي... وكان فيها شيء... شيء بدا لي مألوفاً...»

شعرت روز بعيني دانيال تنظران إلى جانب وجهها.

وكان والدها يقول: «ان إيرينا لم تلفت نظري لأنها تشبه والدتها، يا روز، بل لأنها تشبه والدتي انا... جدتك، لقد كانت لها تقاطيعها وابتسامتها وشكل فمها وحاجباها.»

أومأت برأسها وهي تبتلع ريقها، بينما تابع هو يقول مندفعاً: «انتظرت في الصف لكي تصل إليّ، وعندما وصلت لم تطلب مني توقيعي على دفترها، بل كان في يدها صورة قديمة وضعتها على المنضدة أمامي دون ان تتكلم. وطبعاً، تملكتني الحيرة، فنظرت إلى الصورة فإذا بها صورة كانت أخذت لنا في حديقة بيتنا ذاك في هامبستيد ذلك الصيف، وكانت تمثلك انت ودراجتك ذات الثلاث عجلات وأنا معك مرتدياً قميصاً وشورت، وغرازيا معنا، رفعت نظري إلى إيرينا، وسرعان ما أدركت كل شيء، لم أكن بحاجة إلى ان تخبرني بشيء، فقد عرفت.»

عضت روز شفتها، وقالت بحيرة: «والدي... هل تعتقد ذلك حقاً... كيف تأكدت من هذا... أعني أين البرهان، بعد كل تلك السنوات؟ وإذا كانت غرازيا حاملاً، فلماذا قبلت الطلاق ثم سافرت إلى بلدها لتتزوج رجلاً آخر هناك؟»

«لم تكن تعرف بأنها حامل، قبل ان تقبل بالطلاق وتسافر، وكانت مخطوبة منذ سنوات، اتظنين انني لم اسأل نفسي كل هذه الأسئلة؟ انني لست ساذجاً، فقد خبرت الحياة إلى حد لم يعد يستطيع معه خداعي احد، ان بإمكاني ان أشم رائحة الكذب بنفس المهارة التي يشم فيها الثعلب رائحة الدجاج، كنت متأكداً من أن إيرينا لم تكذب عليّ، وعندما تقابلينها ستدركين لماذا صدقتها.» ثم نظر اليها بقلق، وهو يسألها: «روز... هل ساءك هذا كثيراً؟ هل تريدينني ان اسكت؟»

فهزت رأسها: «بل تابع كلامك.» تمتمت بذلك وقد انتبهت إلى دانيال وهو يحدق فيها من جانب.

قال والدها بهدوء: «كانت غرازيا فتاة رقيقة خجول، لم تكن عابثة مع الرجال، فقد كانت نشأت في مدرسة داخلية، وما حدث كان كله ذنبي أنا، فقد كنت بالغ التعاسة وشاعراً بالوحدة، وكانت غرازيا سريعة التأثر، رأتني من خلال نظارات وردية، واظنني كنت كاتباً مشهوراً في عينها، وكانت تشعر بالأسى لأجلي لأن زوجتي كانت ماتت منذ فترة وجيزة، فأخذت تحاول الترفيه عني إلى ان تعلق الواحد منا بالآخر.»

قالت روز: «لا بد انها كانت تحبك حقاً.» قالت ذلك شاعرة بالأسى لأجل تلك الفتاة التي لا تكاد تتذكرها.

فقال عابساً: «ربما، ولكنني انا لم اكن معها، وانا لا اجد عذراً لنفسي أبداً، فأنا لم افكر كيف انني أتلفت مستقبلها، وكانت هي من الذكاء بحيث أدركت حقيقة مشاعري وذلك بعد اسابيع فقط، فكان ان حدثتني عن الطلاق فلم امانع، وهكذا عادت إلى اسبانيا قبل ان تنهي دراستها الجامعية، وهذا شيء آخر فعلته انا بها، فقد دمرت حظها في ان تجد عملاً جيداً، وبعد ان أدركت انها حامل، عادت فتزوجت من خطيبها القديم، بعد ان اطلعته على قصتها معي والتي كانت تخفيها عن أهلها.»

فقالت: «انها شجاعة حقاً.»

ابتسم باكتئاب: «يمكنك ان تتصوري شعوري عندما عرفت كل هذا، فقد كان كل هذا خطإي أنا، ولو كان لديّ أية فكرة عما كانت تعانيه لساعدتها حسب إمكانياتي، ولكنها

لم تفكر قط في ان تخبرني، وقد وعدها خطيبها بأنه سيعتبر الطفل طفله ويمنحه اسمه.»

«وهكذا تزوجته.»

«إيرينا تقول ان والدتها تأثرت بلطفه وشهامته، وهكذا كان زواجهما موفقاً تماماً، فقد كان رجلاً شهماً هادئاً، وكان مزارعاً، لم يكن بذكاء غرازيا على الاطلاق، فهو لم يفتح كتاباً في حياته، وكان طوال النهار يعمل في حقوله، ولكنه كان يحب غرازيا حقاً، كما كان والداً جيداً لإيرينا، وكان يعاملها وكأنها ابنته حقاً ما جعلها لا تشك في انها لم تكن ابنته، وبد ان مات كانت معرفتها بالأمر صدمة هائلة لها، وذلك قبل ان ألقاها في باريس بفترة قصيرة، بعد ان اخبرتها والدتها بالحقيقة.»

قطبت روز حاجبيها وهي تسأله: «ولماذا قررت والدتها ان تخبرها؟»

«إيرينا تقول ان والدتها شعرت بأن عليها ان تخبرها بذلك كيلا يكون مثل هذا الأمر الهام خافياً عليها، لقد كانت غرازيا تؤمن بقانون الوراثة، فقد كانت إيرينا اكثر ذكاء من شقيقيها اللذين كانا يشابهان والدهما، فقد كانا لا يهتمان بسوى المزرعة والحيوانات، فهم لم يقرآ شيئاً سوى الجريدة، بينما كانت إيرينا تظن نفسها مشابهة لوالدتها، ولكن والدتها كانت مقتنعة بأن على إيرينا ان تعلم الحقيقة خصوصاً وان إيرينا كانت على وشك ان تترك اسبانيا إلى فرنسا لكي تدرس اللغة في جامعة السوربون، لقد تملك إيرينا الرعب، في البداية، وكذلك الإضطراب البالغ، كما اخبرتني، فتشاجرت مع والدتها وشعرت بالكراهية نحوها، رافضة ان تصدق ذلك،

ولكنها طبعاً لم تكن واثقة من الحقيقة ولهذا جاءت إليّ اثناء إلقائي المحاضرة، لقد أرادت ان ترى عن بعد كيف أبدو... وأخذت ببطء تشعر بأنها شعرت بالقرابة بيننا كما شعرت أنا، لم يكن الأمر واضحاً، ولكنها وجدت نفسها تصدق ذلك.

ابتسم ديسموند لابنته: «وعندما أريتها صور والدتي، فوجئت حقاً بمقدار الشبه بينهما بالرغم من طراز الثياب وتسريحة الشعر.»

قالت روز: «أما انا فلم اشعر قط بأنني أشبه جدتي.»

فقال الوالد: «بل تشبهينها قليلاً، وكذلك تشبهين إيرينا، أيضاً، أو هي مثلك، حيث انك الكبرى.»

ران الجمود على روز وهي تفكر في كل ما سمعت... ان لها أختاً... أختاً... غير شقيقة...

سألت والدها: «هل ما زالت غرازيا في اسبانيا؟»

أومأ برأسه يجيبها: «انها تدير المزرعة الآن بمساعدة ولديها اللذين تركا المدرسة في وقت مبكر، انهم ليسوا أغنياء فالمزرعة صغيرة ولهذا كانت ايرينا تشتغل هنا في باريس لكي تعيل نفسها، وتعيش في غرفة صغيرة مفروشة بشكل سيء جداً، فنقلتها إلى الشقة التي كنت استأجرتها كما اعطيتها مبلغاً صغيراً.» نظر إلى روز بعنف وهو يقول: «صدقيني انني بقيت أسابيع أقنعها بأن تقبل أياً من هذا. فهي لم تكن جاءت إليّ لكي تأخذ مني نقوداً، وعندما تعرفينها ستصدقين ذلك، أنت أيضاً.»

سألته: «هل اخبرتها عني؟»

فابتسم: «طبعاً، فقد أريتها كثيراً من صورك وكانت متلهفة إلى رؤيتك.»

«لماذا لم تخبرني عنها من قبل؟»

«كنت خائفاً من احتقارك لي.» تنهد ثم تابع يقول: «فأنا احتقر نفسي، ما كان لي ان اتزوج والدتها دون اقتناع ما جعلني اطلقها بتلك السرعة فتعود هي إلى اسبانيا لتتزوج رجلاً كنت اعلم جيداً انها لم تكن تريده، ولكنني شعرت بالارتياح عندما رحلت، يا روز، فأنا لم اكن مستعداً للالتزام، حينذاك، فقد كنت بالغ الأنانية والتفكير في نفسي.»

سألته: «ولماذا اختفيت دون ان تخبر أحداً؟»

أجاب وقد تغير وجهه: «لقد تلقيت مخابرة هاتفية من إحدى صديقات إيرينا هنا تخبرني بأنها قد أصيبت في حادث سيارة وأنها في المستفشى مصابة بارتجاج في المخ، وانهم يخافون ان يكون المخ قد أصيب.»

فقالت عابسة: «ولكنها تبدو اليوم بصحة جيدة.»

أومأ قائلاً: «انها كذلك الآن، ولكنني لم استطع الانتظار لمعرفة مبلغ خطر اصابتها، فاتصلت بشركة سفريات وحجزت في أول طائرة إلى باريس، وكنت من القلق بحيث لم افكر في إخبار احد، أو القيام بأي من الترتيبات المعتادة لقد ألقيت فقط عدة حاجيات في حقيبة ملابسي، ثم انطلقت.»

فقالت: «لا تقل انك وجدت الأمر مجرد مزحة.»

لكنه هز رأسه: «كلا، بل كان الأمر صحيحاً تماماً، ولكن قبل ان اصل كانت إيرينا قد عادت إلى وعيها، وبعد ذلك إرتفع الخطر عنها، إذ كان المخ سالماً والإرتجاج خفيفاً، شعرت في البداية بصداع دام أياماً قليلة، ولكنها لم تلبث ان تعافت منه ببطء، وقد سمح لها بالخروج من المستشفى منذ يومين.»

تأوهت روز: «هذا بينما انا كنت اتخيل أسوأ الأمور قد

حدثت لك... من تصور ان هناك من اختطفك، إلى خشية فقدانك لذاكرتك.»

قال دانيال بجفاء: «هذا يعلمك ألا تستسلمي لتصوراتك.»

حدقت فيه غاضبة: «وأنت أيضاً كنت قلقاً.»

فقال: «كنت متحيراً، ولكنني، إذا كنت تذكرين، داومت على القول لك ان ديسموند قد أصبح صبياً كبيراً الآن ويستطيع ان يخرج وحده دون ان يتوه.»

قال ديسموند: «آسف لقلقك ذاك، يا روز، كان عليّ ان اتصل بك لأشرح لك الأمر، ولكن لم يكن لدي فكرة عن انك كنت في مونتريال، أو انك ظننت انني مفقود، انني سأتصل بجيراني آل غاسبارد وأعتذر إليهم غداً.»

«هذا حسن، فقد كانوا قلقين عليك جداً هم أيضاً.» قالت روز ذلك ثم ابتسمت له قائلة: «هل ستعرفني إلى إيرينا، يا والدي؟»

فابتسم وقد بدا عليه الإرتياح: «وهل تريدين ذلك؟»

«طبعاً أريد، فقد احببتها عندما رأيتها، وذلك قبل أن اعرف انها أختي، أما الآن فانا شديدة اللهفة إلى مقابلتها.»

فقال: «انها تريد ان تراك، ما رأيك في تناول الغداء معاً غداً؟ هل يمكنك ان تنضم إلينا يا دانيال؟»

تلاقت عينا دانيال بعيني روز بتكاسل، وقال: «ما دمت واحداً من الأسرة، فانا أحب ذلك جداً.»

ما الذي يعنيه بذلك؟ لكن روز قررت ألا تقول شيئاً.

صباح اليوم التالي، أمضت روز وجينا الوقت في زيارة متاجر باريس التي كانت تعرض أرقى الأزياء والتي جعلتهما اثمانها تشهقان استغراباً.

كانت جينا ذاهبة لرؤية بعض البقاع السياحية، ثم تتناول غداءً خفيفاً في مقهى، إذ قالت وقد تملكتها السعادة: «انني سأذهب لرؤية برج إيفل وقبر نابوليون، وسنلتقي في الفندق حوالي وقت الشاي.»

لم تكن روز قد اخبرت جينا بالقصة التي اخبرها بها والدها، فهي كانت تعلم ان هذا لن يرضيه، وبدلاً من ذلك، قالت لها: «لقد تركت الخيال يسرح بي، فوالدي ليست له علاقة بتلك الفتاة وإنما هي ابنة صديق قديم له قدمات فأوصاه بها، وهكذا أخذ والدي يساعدها بالمال وغيره وفاء لذلك الصديق.»

امتلأ وجه جينا بالارتياح والسرور، وقالت: «ما اشد سروري، فأنا اعلم مقدار شغفك بوالدك، فأنت دوماً تجعلينه مثالك الأعلى، ومن المحزن التفكير في ان هذا قد انهار.»

عندما كانت روز في طريقها إلى الفندق لمقابلة دانيال، أخذت تفكر في قول جينا ذاك لها، انها شغوف جداً بوالدها حقاً، ولكنها لم تجعل منه قط مثلها الأعلى... ولكن هل هذا صحيح؟

في غرفتها في الفندق، ارتدت ثوباً كانت اشترته في ذلك النهار، ثم نزلت إلى المطعم، ولم يكن والدها قد وصل بعد ولكن دانيال كان هناك، فارتفع حاجباه عندما رآها تدخل، ثم صفر دهشة لمرأى ثوبها الأسود، وجوربيها الأسودين الشفافين، وحذائيها العاليين الأسودين، وعلى شعرها الأسود اللامع قبعة صغيرة معقدة قد تدلى منها نقاب أسود مخرم.

فقال مفتوناً: «تبدين فرنسية أصيلة.»

ألقت عليه نظرة هازئة: «أهذا أقصى مديح تعرفه؟»

فقال ضاحكاً: «إجلسي وكفى عنفاً وكأنك تمساح، واشربي شيئاً.»

طلبت كوباً من عصير الفاكهة مزيجاً بمياه معدنية، فقد كانت شديدة العطش بعد تجوالها طوال الصباح، ثم قال لها: «عليك دوماً ان تظهري بهذا الشكل.»

فقالت: «كلا، هذا لا ينبغي لي، خصوصاً في المكتب.»

قال مفكراً: «معك حق، فهذا سيحدث بلبلة في المكان، حسب الطريقة التي أخذ النادل يحدّق بها إليك.»

قالت: «الرجال الفرنسيون يحدقون دوماً في النساء، حتى العجائز والدميمات منهن.»

قال وقد فرغ صبره: «حسناً، فكري كما تشائين، ويا لك من مشاكسة.»

ثم قال: «بالمناسبة لقد اقترحت نيكول انكما انت وجينا قد تحبان ان تقوما بجولة سريعة في صحيفة نيكولاس كاسبيان الانترناسيونال، غداً متبرعة ان تطوف بنا بنفسها.»

كان على روز ان تقبل ذلك، وكانت شديدة الرغبة بالذهاب، ولكنها كانت تتمنى لو ان هذه الدعوة قد جاءت من شخص آخر غير نيكول أوغسطين، فقالت ببرودة: «انني واثقة من ان جينا سيسرها ذلك وكذلك أنا.»

«هذا حسن، وسنرى ذلك إذن بعد الغداء غداً.»

«نعم، هذا حسن.» ورأت من زاوية عينا والدها داخلاً ومعه فتاة أمس.

نهض دانيال باسماً، فتوجه القادمان نحو مائدتهما، وسألهما الوالد: «هل تأخرنا؟» فهزت روز رأسها، ثم نظرت بسرعة إلى الفتاة.

فقال والدها: «هذه هي إيرينا، يا روز.»

مدت روز يدها للفتاة قائلة: «مرحباً.»

ترددت هذه لحظة ثم صافحتها واصابعها الصغيرة الباردة ترتجف في قبضة روز، «مرحباً.» اجابتها الفتاة بذلك بصوت منخفض رقيق، لقد بدت لروز عن قرب اصغر سناً مما كانت بدت لها من الشرفة، فقد كانت بالغة الرقة والنعومة.

رأتها روز طفلة خائفة، فغمرها العطف نحوها... وإذا بها تميل عليها فجأة تقبلها في وجنتيها القبلات الأسرية المعتادة وهي ثلاث قبلات على كل وجنة.

إرتسمت على شفتي ديسموند الوالد ابتسامة ارتياح، وهو يتنهد، كانت إيرينا أمضت في فرنسا الآن مدة كافية لكي تجعلها تفهم معنى القبلات الأسرية، فقالت وقد ترقرقت الدموع في عينيها: «شكراً، شكراً يا روز.»

الفصل الثامن

في عصر اليوم الثاني اخذ دانيال جينا وروز إلى ناطحة السحاب المبنية من الزجاج والأسمنت والتي تحتوي على صحيفة كاسبيان في فرنسا الانترناسيونال، والكائنة في مركز باريس التجاري البالغ النشاط.

نظرت جينا من نافذة التاكسي بافتتان وحيرة وقد بدا لهم هذا المركز ذو الهندسة العصرية: «هل هذا في باريس؟»

فضحكت روز: «هذا سؤال وجيه، فأنا غير واثقة من انهم قد انتهوا من إنشائه بعد، ولكن بإمكانك ان تسميه باريس المستقبل مشبهاً بذلك الفيلم متروبوليس، من سنة ١٩٢٠، وهذا ما افكر فيه دوماً عندما آتي إلى هنا، فهو رائع الجمال ولكنه خالٍ من الروح الانسانية الدافئة.»

قالت جينا بابتسامة ملتوية: «وهنا أنشأ نيكولاس كاسبيان صحيفته؟ هذا ما يلائمه.»

رفع دانيال حاجبيه: «اتعنين ان نيكولاس خالٍ من دفء الانسانية؟»

ألقت عليه روز نظرة تحذير، وهي تقول: «متى نصل إلى المكتب؟»

فأجاب حين أخذت السيارة تبطىء في سيرها: «لقد وصلنا تقريباً.»

حين ترجلوا من السيارة وقفت جينا تنظر إلى أعلى، مظللة عينيها الخضراوين من وهج الأضواء المنبعثة من مئات

النوافذ، لم يكن ثمة كثير من الناس، فقد كان اليوم احد وقد أقفلت المكاتب ودور الأعمال، وكان النهار مشمساً ولكنه بارد، وكانت الرياح القارسة تهب في الساحات والشوارع.

قالت روز بضيق: «هيا بنا نذهب، فقد جمدني البرد.»

لم يكن الدخول إلى مكتب الحرس الأمني سهلاً، فقد كان على دانيال ان يبرز لهم الرخصة للدخول والذي كان نيكولاس كاسبيان قد زوده به قبل مغادرته لندن، والذي كان يحمل إمضاء نيكولاس، ومع ذلك، كان على روز وجينا ان تبرزا أوراقهما الثبوتية، وبعد ذلك ان ينتظروا جميعاً إلى ان تتصل موظفة الاستقبال بنيكول أوغسطين تخبرها بقدومهم، بعد ذلك بلحظة، كانوا يتجهون بالمصعد السريع الذي تجاوز الطابق الثلاثين من المبنى دون توقف وذلك لكي يصل إلى الطابق الذي يحتوي على مكاتب محرري صحيفة الانترناسيونال.

استقبلتهم نيكول أوغسطين عند المصعد، وكانت روز معدة نفسها للشعور بالكراهية نحوها حالما تراها، وكانت مخيلتها قد سبق ورسمت لها صورة ذهنية عبارة عن باريسية أنيقة من سنها هي، وكان هذا ما رأته وهي تخطو خارجة من المصعد.

حيّت نيكول دانيال أولاً بقولها: «كيف حالك يا عزيزي؟»

اخذت روز تتأمل مظهرها بالتفصيل، الشعر القاتم الناعم، العينان بلون العنبر بنظرات ماكرة، ولكن طول قامتها كان اكثر ما يميزها، كانت ملابسها ذات أناقة عادية، كنزة صوفية قرمزية اللون فوق بنطلون أسود، عرفهن دانيال إلى بعضهن البعض مبتدئاً: «السيدة جينا تيريل، نيكول...»

تصافحت المرأتان بشكل رسمي، وكانت لغة نيكول الانكليزية ممتازة ذات لكنة خفيفة، مبدية نحو جينا الإحترام الجم. «كنت بالغة الأسف لسماعي بوفاة السيد جورج تيريل، يا سيدتي، انني لم اقابله مطلقاً، ولكن شهرته طبعاً، كانت واسعة جداً، فجريدة سنتنال ذات سمعة جيدة في فرنسا، وصوتها مسموع وأرجو ان تبقى هكذا على الدوام.»

فقالت جينا: «وأنا أرجو هذا، فأنا اناضل في سبيل ذلك.»

أمعنت نيكول النظر فيها مفكرة، ثم عادت تبتسم قائلة: «اتعلمين أن اسمي مسجل في قائمة المرشحين لوظيفة مراسل باريس؟»

فأومأت جينا قائلة: «انني في اللجنة التي ستجري لك المقابلة.»

قلبت نيكول شفتيها قائلة: «لم لكن أعلم هذا، أؤكد لك ان ما قلته عن السير جورج لم اكن اقصد به النفاق لأجل ذلك، وإنما كنت أعني كل كلمة قلتها.»

فأومأت جينا مرة أخرى: «شكراً.»

يا لها من ماهرة... أخذت روز تفكر بذلك ساخرة، وعندما تقابلت عيناها مع عيني دانيال، لم تحاول ان تخفي عنه ما تفكر فيه، هذه المرة، فليقرأ ماتعبر عنه ملامحها ليعرف رأيها في عزيزته هذه، وقال هو: «وهذه روز إيميري يا نيكول.» فالتفتت المرأة الفرنسية تنحدر بنظراتها نحو روز تتأملها ببرودة جعلت الغيظ يتملك روز، ثم قالت بالفرنسية: «تشرفنا، انني سعيدة جداً بمقابلتك...» لقد كانت تكلمت مع جينا بالانكليزية، ولكنها الآن تتكلم معها بالفرنسية، كما اخذت

روز تفكر، كانت تبدي بذلك انها كانت تعلم من تكون روز، وتعرف انها تتكلم الفرنسية بطلاقة، ودون شك، تعلم أن روز هي منافسة لها في هذا السباق نحو هذه الوظيفة في باريس.

«كان والدك هنا يوم الجمعة، فقد كتب لنا مقالة عن الأجواء السياسية في مونتريال، وقد اعجبنا بها تماماً، وقد نطلب منه المزيد في المستقبل.»

شعرت روز بالتوتر يتملكها، لقد كان والدها أحد اكثر الرجال، احتراماً في مجاله العملي... فكيف تجرؤ نيكول أوغسطين هذه ان تتحدث عنه بتلك الطريقة المحطة لشأنه؟

تحرك دانيال بقلق. وتساءلت هي عن رأيه في لهجة عزيزته هذه.

قال: «الأفضل ان نبدأ جولتنا في الصحيفة، اننا لا نريد ان نأخذ الكثير من وقتك الثمين، يا نيكول.»

وضعت يدها حول كتفه وجذبت شعره على طريقة الزملاء وهي تقول باسمة: «اتفقنا، يا عزيزي، هيا بنا.»

ألقى عليها نظرة من تحت اهدابه المسدلة وهو يرد لها ابتسامتها، فكانت روز من الغضب بحيث اخذت تسير وحدها مبتعدة عنهم، فقالت لها نيكول من خلفها بفرنسية سريعة حادة: «انتظري، من فضلك، لا يمكنك ان تقومي بجولة وحدك.»

فانتظرت روز متجهمة الوجه إلى أن وصلوا إليها، متجاهلة النظرة التي رمقها بها دانيال.

كانت الجولة رائعة وكانت نيكول دليلة جيدة، وكان على روز ان تعترف بذلك، فهي كانت مستعدة لقضاء النهار كله هنا بسرور، لو استطاعت، على شرط ان يكون لديها دليل آخر، وعرفت دون شك، ان نيكول اوغسطين كرهتها بقدر ما كرهتها هي.

كما هو الحال في مجمع باربري وارف، كانت المكاتب هنا عصرية تماماً، ومجهزة بكل التقينات الحديثة، اما الموظفون فكانوا اقل عدداً بكثير مما هم في أية صحيفة أخرى قديمة الطراز.

شعرت جينا بالدوار وهي تنظر من نافذة الطابق الثلاثين، وتملكها السرور لأن باربري وارف لم يكن ناطحة سحاب، ففي المجمع لمسة انسانية اكثر بكثير من هذا المكان، وأدركت ان هذا عائد إلى حسن بصيرة وانسانية الرجل العجوز الذي أحبته كثيراً، وما زالت تفتقده، وسيمضي وقت طويل قبل ان تعتاد غيابه. فهي ما زالت تفكر فيه وكأنه في غرفة أخرى، أو ربما في لندن، أو في بيته الذي تشعر جينا الآن أنه يردد صدى الماضي، ولم تكن متشوقة إلى العودة إليه ومواجهة الوحدة مرة أخرى.

لكنها عادت إلى العمل صباح الثلاثاء شاعرة بتحسن كبير، لقد غابت أربعة أيام فقط، ولكن المرء يشعر بالوقت يطول عندما يكون في مكان غير مألوف وبين غرباء، فالنهار يصبح دون نهاية، والأشياء التي يعتبرها في بيته في غاية الأهمية سرعان ما تصبح تافهة لا معنى لها إزاء الانشغال باكتشاف ما يحيط به من اشياء جديدة.

تمكنت اثناء تلك الأيام القليلة من ان تطرح مشاكلها جانباً، مثل حزنها على السير جورج، ألمها وغضبها من نيكولاس، شكوكها في نفسها وقدرتها على معالجة الوضع الذي وجدت نفسها فيه، في باريس وجدت نفسها خفيفة كالهواء، حرة كالعصفور، فعادت ببعض من ذلك الشعور معها.

عندما دخلت جينا إلى مكتبها، وجدت هيزل تفتح إحدى

خزائن الملفات، فنظرت حولها وأشرق وجهها حين رأت صديقتها. «ها قد عدت.» ثم حملقت فيها وهي تهتف: «جينا... ما اجمل هذا الطقم... انه رائع.»

قالت جينا مزهوة: «انه ماركة شانيل.»

«يبدو وكأنه كلف ثروة، ولكنه يستحق ذلك.»

«هذا صحيح، كما أن ثمنه هو كما تقولين.» وابتسمت الفتاتان.

«قومي بدورة، إذن.»

فامتثلت جينا، واخذت تدور حول نفسها تعرض اناقة طقمها الأسود الرائعة. «إنها أناقة عصرية تماماً، كما انه يتلاءم مع لون شعرك، هل استمتعت بوقتك في باريس؟ يبدو عليك ذلك، لشد ما أنا مسرورة لرؤية كل هذا التحسن عليك.»

«لقد أمضينا وقتاً رائعاً.» جلست جينا على زاوية مكتب هيزل وأخذت تحدثها عن باريس، فأخذت هذه تستمع إليهما بينما يداها مشغولتان بوضع الملفات في أماكنها، إلى ان هتفت جينا تقول: «آه، أنا آسفة، فقد نسيت، فها أنا ذي أتحدث عن نفسي وقد نسيت أنك قمت بعطلة أسبوعية هامة، أنت أيضاً، هل ذهبت إلى هولندا للتعرف إلى أسرة بييت؟ ماذا حدث؟ هل أعجبوك؟»

تقدمت هيزل إلى حيث جلست على كرسيها خلف مكتبها، وهي تقول: «حسناً...» واحمر وجهها وترددت قبل ان تتابع قائلة: «لقد احببتهم، واظنهم احبوني هم أيضاً، انك تعلمين ماذا يكون في مناسبات كهذه، إذ تشعرين ان عليك ان تحاولي جعل من تقابلينه لأول مرة يأخذ عنك فكرة حسنة، ولكن الشك يبقى لديك، انهم لا يتحدثون كثيراً، فهم أكثر

هدوءاً من المعتاد، ولكنهم يبدون ودودين للغاية، وليلي هي التي أزعجتني بعض الشيء في الواقع.»

سألتها جينا وهي تنظر إليها باهتمام: «ليلي؟»

«إنها شقيقة بييت لقد جاءت هي وزوجها وطفليهما من مدينة ميدلبورغ لتتعرف عليّ، كان الطفلان رائعين... صبي صغير غاية في الوقار اسمه كارول...»

قاطعتها جينا: «كارول؟ ولكن هذا اسم فتاة.»

«ليس في هولندا، كما انه يختلف في التهجئة، على كل حال، عمره ست سنوات واخته كارين في الخامسة، والغريب ان كارين هي التي كانت تشبه خالها بييت، وذلك بشعرها الأشقر وعينيها الزرقاوين، ونفس الابتسامة، ولكن والدتها لم تكن تشبه شقيقها بييت على الاطلاق... وكانت تتحدث بصوت منخفض، وقالت أشياء منطقية مهذبة... ولكن لم يكن ثمة حرارة ما جعلني اشعر بانها لم تحبني وأنها لا تظنني مناسبة للزواج من شقيقها.»

«ربما كانت تشعر بشيء من الغيرة، هكذا الشقيقات احياناً، أليس كذلك؟ أعني ربما هم فخورون ببييت، ولا بد انه يكسب مالاً كثيراً ويسافر حول العالم ويعمل مع مؤسسات كبرى... واظن شقيقته تظن كل فتاة غير مناسبة لشقيقها.»

ضحكت هيزل بجفاء: «لقد شعرت بذلك.» واخذت تمر بيدها على شعرها بشكل يلفت النظر، واخذت جينا تنظر اليها لحظة قبل ان تنتبه إلى ما كانت هيزل تريدها ان تراه فحملقت فيها فاتحة فمها ذهولاً، ثم هتفت: «هيزل... خاتم خطبة.» بينما انفجرت هيزل ضاحكة وقد احمر وجهها. «حسناً، كنت اتساءل

متى ستلاحظينه، بعد ان بقيت احرك يدي دهراً، وبشكل واضح، وكنت على وشك ان اضع اصبعي تحت انفك لكي تريه.»

«أنا آسفة، فأنا ما كنت قط قوية الملاحظة، دعيني أراه.» امسكت بيد هيزل تنظر إلى الماسة في الخاتم، ثم قالت بتعجب: «يا لها من ماسة كبيرة رائعة.»

كانت عينا هيزل مسمرتين أيضاً على الخاتم وهي تقول: «لم استطع أن اصدق نظري عندما اختاره بييت فهو لم يكن اخبرني انه كان يعني شراء خاتم خطبة، فقد كان اخذني في جولة في أمستردام فمررنا بمتجر المجوهرات ذاك... واسمه بونبيكر، ويقول بييت انه الأقدم والأهم في امستردام، ثم قال بلهجة عادية تماماً: فلندخل ونتفرج. ثم جاء الموظف وقبل ان ادرك ما يحدث، كنت أجرب الخواتم على أصبعي، ولم اعرف أياً اختار، فقد كانت كلها رائعة الجمال ولكنني ما كنت لأجرؤ على اختيار هذا لأنني كنت اعلم انه لا بد ان يكون غالي الثمن، حتى دون أن ينكر أحد ثمنه، ففي ذلك المتجر يشعر المرء أن ليس بإمكانه أن يشتري أياً مما يعرضه.»

قالت جينا ضاحكة: «اعرف أي نوع من المتاجر تتحدثين عنه، فباريس مليئة بها.»

قالت هيزل: «هذا ما سمعته، أراهن على ان طقمك هذا كلفك الكثير.»

«هذا صحيح، ولكن لا تسألي ما هو الثمن، فأنا احاول ان أنسى.»

فضحكت هيزل: «انت لم تشعري قط بمتعة تبذير النقود، وكذلك أنا، انني أعشق شراء الثياب، ولكنني أبحث دوماً عن الأرخص، فقد تربيت على الاقتصاد، ولهذا تركت الأمر

لبييت ليختار الخاتم بنفسه، وهو الذي كان سيدفع الثمن كما انه ليس لدي فكرة عن قدرته المالية أو حتى ما اذا كان جاداً في أمر الخطبة، ولم استطع ان اسأله عن ذلك امام الموظف الذي كان ينظر إليّ بغطرسة وكأنه غير واثق من أن المتجر سيقبل ببيعي شيئاً، بدا وكأنه يثمن ملابسي وكم تستحق وربما كانت نفسه تراوده بأن يطردني من المحل، عندما اختار بييت هذا الخاتم الذي لم اكن أجرؤ على النظر إليه، وكاد الموظف يبتسم، ولكنه لم يفعل طبعاً، إذ كان يعرف بالخبرة أن أي تعبير ساخر يبدو عليه سيظهره في منتهى قلة التهذيب، كل ما قاله هو أن بييت ذو ذوق رفيع تماماً وأن بامكانه ان يعود إلى المتجر في أي وقت يريد.»

أخذت جينا تضحك وهي تقول: «حسناً، الحق معه، عليك ان تعترفي بأن بييت ذو ذوق رفيع حقاً.»

فرفعت هيزل يدها تنظر إلى الخاتم وهي تتنهد: «لشد ما يعجبني، يا جينا، منذ وضعه بييت في اصبعي وأنا لا أنفك عن النظر إليه، لا اصدق أنني أملكه حقاً.»

«انني اعلم انكما ستكونان في غاية السعادة، وستكونان زوجين رائعين.»

قالت جينا ذلك وهي تعانق صديقتها وتقبلها على وجنتيها.

ثم سألتها: «هل حددتما موعد الزفاف؟»

«انني حتى لم اتحدث إلى أسرتي بعد، ولكنني اظن انه لن يكون قبل الخريف، على الأقل، وقد يكون في الربيع، ان لدينا كثيراً من الترتيبات علينا ان نقوم بها أولاً، وكذلك كثيراً من القرارات يجب ان نتخذها، فنحن لم نفكر بعد كيف

سننشىء بيتاً نعيش فيه معاً بينما بييت لا ينفك يطوف حول العالم، بينما أنا مستقرة في لندن، ان بييت يفكر في انه قد يترك العمل في مؤسسة كاسبيان الدولية وينتقل إلى هولندا نهائياً حيث ينشىء لنفسه شركة هندسة، ان بإمكاني ان أدير المكتب فيها، ولكن خططنا ما زالت مرسومة على اللوح.»

قالت جينا بهدوء، محاولة إخفاء كراهيتها لمفارقة هيزل لها: «اظن ما تقولينه منطقياً.» واخذت تفكر في ان عالمها الخاص، بعد رحيل هيزل، سيتشتت، فقد فقدت الرجل العجوز، ومن قبله زوجها، وها هي ذي هيزل على وشك الرحيل، انها تعلم بأنها ستفتقدها كثيراً.

ألقت عليها هيزل نظرة سريعة، ثم قالت بسرعة تطمئنها: «هذا لن يحدث قبل أشهر، انما لا تخبري نيكولاس كاسبيان، أرجوك، ان بييت لم يتحدث إليه بعد، عن امكانية انتقالنا إلى هولندا، وأظن بييت يشعر ببعض التوتر بالنسبة إلى إخباره بذلك.» هزت كتفيها عابسة وهي تضيف قائلة: «حسناً، ان الحب يهزم كل العراقيل، كما يقولون. واظن ان كل شيء سيكون في النهاية على ما يرام، ولكن بإمكانك ان تتحدثي عن الخطبة كما تشائين.»

«أية خطبة؟» جاء هذا الصوت من عند الباب، فاحمر وجه هيزل وهي ترى نيكولاس كاسبيان والذي كان وصل لتوه كما يبدو من مظهره وهو يحمل حقيبة أوراقه في يده ومعطفه معلق على ذراعه.

خفق قلب جينا بعنف، ولم يكن ينظر إليها وإنما فقط إلى هيزل، ما جعل جينا بإمكانها النظر إليه بقدر ما تشاء دون الخوف من ان تلتقي عيناها بعينيه، فابتعادها عن المكتب

حتى لم يحطم تلك السلسلة التي كانت تقيدها، لقد شعرت بها وكأنها تقيدها جسدياً وليس معنوياً فقط، كانت تشعر نحوه بحاجة عاطفية أقوى من ان تستطيع انكارها رغم انها لم تضعف أو تتغير منذ رأته آخر مرة، فقد كان نيكولاس قاسياً لا يلين في ملاحقة ما يريد، وقد تعلمت هي ان تكون مثله، لقد علمها في الواقع اكثر مما يتصور.

قالت هيزل متلعثمة وقد احمر وجهها خجلاً: «آه، لم اسمعك تدخل، يا سيد كاسبيان، انني آسفة، هل كنت طلبت التحدث إليّ من المكتب؟»

«كلا، فقد وصلت لتوي، هل افهم انكما انت وبييت، عقدتما خطبتكما؟» فأومأت هيزل برأسها باسمة، ثم مدت يدها إليه تريه الخاتم، فنظر اليه جاداً: «هل اخترته بنفسك؟ انك خبيرة بالمجوهرات فهو مصقول بشكل رائع، وبييت خبير، كما ان بريقه غير عادي، انك لن تنسي التأمين عليه، أليس كذلك؟ أم لعل بييت سيقوم بذلك بنفسه؟»

فقالت هيزل باضطراب: «انني لم افكر بهذا... ولكنني سأفعل إلا اذا كان بييت قد قام بذلك طبعاً.»

قال باسماً: «انه عملي تماماً، وهو يعرف ما يفعله... لقد اخترت رجلاً جيداً.»

فقالت وقد أشرق وجهها: «انا أعلم هذا.»

«حسناً، أتمنى لكما السعادة، هل ستتزوجان قريباً، أم انكما لم تقررا الموعد بعد؟»

«كلا، لم نقرر بعد.»

«حسناً، اجعلي في ذهك إذن، انني أريد أن اعلم مقدماً ما الذي تنويان القيام به بعد الزواج، هل ستتابعين العمل

عندنا، أم سترحلين؟ فاذا كان عليّ ان احضر بديلة عنك، وهذا ما آسف له جداً يا هيزل، فانا بحاجة إلى وقت لكي اجد واحدة بمستواك أضعها مكانك، فالعثور على الموظف الجيد ليس أمراً سهلاً، كما أعلم جيداً، وفي هذه الوظيفة بشكل خاص، اريد سكرتيرة غير عادية.»

كان هذا مديحاً احمر له وجه هيزل سروراً، ولكن الشك راود جينا في ان نيكولاس كان ينصت إلى كلامهما قبل ان يدخل إلى هذا المكتب، فسمع هيزل تقول انها وخطيبها ينويان ترك مؤسسة كاسبيان ليقيما شركة خاصة بهما، كان من المستحيل ان يتكهن المرء بشعوره نحو فكرة خسارته لهيزل وبييت، ذلك انهما يمثلان حجر الأساس في المؤسسة فهو لا يريد ان يخسرهما، وطبعاً كان بييت هو الأهم فيهما، كما انه صديق قديم له، فإذا كان نيكولاس قد سمع بما يخطط له بييت، فلا بد ان هذا قد شكل له صدمة.

تمتمت هيزل تجيب نيكولاس: «نعم، طبعاً، إذا كنت سأرحل فسأبلغك قبل ذلك بوقت طويل.»

اخذ نيكولاس ينظر اليها وقد مال رأسه جانباً وبدا الدهاء في عينيه: «ان عمل بييت هو التجوال طوال الوقت، كما هو عملي تماماً، وهذا بالنسبة إلينا نحن الاثنين، ما لا مناص لنا منه في عملنا، فنحن نكرهه احياناً، ولكننا نراه بهيجاً منعشاً في نفس الوقت إذ نرى دوماً أماكن جديدة ونتعرف إلى أناس جدد. وإذا كان علينا ان نترك ذلك فسنفتقده كثيراً.»

لم تكن هيزل غبية، فقد بدت في عينيها نظرة مجفلة، فقد أدركت المعنى الخفي وربما تكهنت هي أيضاً، بأنه قد سمع ما كانت تسر به إلى جينا.

وتابع هو بملامح جامدة: «الأمر يشبه قليلاً الزواج من بحار، فالواحد منا لا يبقى في مكان واحد ما يكفي لكي يلقي بجذوره، وليس ثمة نساء كثيرات يتحملن ذلك.» وألقى فجأة نظرة جانبية على جينا، وعندما تلاقت اعينهما توقفت انفاسها، بينما كان هو يتابع قائلاً: «فالناس امثالنا... انا وبييت... لا يمكن ان يكونوا أرباب بيوت، أليس كذلك، يا جينا؟» ألقى اليها بهذا السؤال ساخراً دون ان يخفي النبرة الشخصية في صوته.

بادلته جينا النظرات ببرودة: «كلا، انك لا تصلح لذلك.»

فقال موجهاً الكلام لها كالرصاص: «اننا بحاجة إلى امرأة غير عادية لكي تفهمنا.»

شحن جو الغرفة بالمعاني الخفية، ما جعل هيزل تتكلم بسرعة لتبدد كل هذا: «حسناً، اننا أنا وبييت لم نقرر نهائياً بعد ما سنفعل، ونحن لا نعرف تماماً ما سيقر رأينا عليه، أو متى سنتزوج. ولكن هذا لن يكون إلا بعد وقت طويل.»

لم تذكر شيئاً عن فكرة بييت في ترك مؤسسة كاسبيان واتخاذ شركة لنفسه وحذرت عيناها جينا من ان تقول شيئاً هي أيضاً، وبادلتها جينا نظرة صامتة تطمئنها جعل هيزل تبتسم بارتياح. «حسناً، لا تنسي دعوتي إلى حفلة الزفاف.» قال نيكولاس ذلك وهو يستدير للخروج، ثم قال من فوق كتفه: «لي كلمة معك، يا سيدة تيريل، من فضلك، في المكتب.»

ومن خلف ظهره تبادلت الفتاتان النظرات، عبست هيزل بينما استطاعت جينا ان تبتسم وهي تتبعه كارهة إلى مكتبه، مغلقة الباب خلفها.

ألقى نيكولاس بمعطفه الكشمير على كرسي ووضع حقيبة

أوراقه بجانبه، ثم استدار يتأملها، بعينيه الغامضتين، من رأسها حتى أخمص قدميها، فقد عادت من باريس وقد ازداد اللون في وجهها واختفت الظلال من أسفل عينيها، وعاد شعرها الجاف إلى اللمعان وتلاشى الخمول من مظهرها.

ثم قال: «يبدو ان باريس قد أفادتك.»

فقالت ببرودة: «كنت فعلاً بحاجة إلى راحة.»

«ماذا فعلت انت وروز؟ هل قمتما بجولات تتفرجان فيها على المعالم؟»

«نعم، زرنا الأماكن السياحية المعتادة.» قالت هذا بلهجة فيها شيء من التمرد وهي ترى شيئاً من السخرية في التواء فمه فأضافت بحدة: «وقد عشقت كل لحظة أمضيتها هناك.»

فقال بذهن غائب وهو يجول بنظراته في أناقتها البادية: «هذا حسن.» وتسمرت نظراته على الطقم الأسود الذي كانت ترتديه، ثم قال ببطء بصوت عميق: «أليس ما تلبسينه مثيراً بعض الشيء بالنسبة إلى ملابس العمل؟»

حولت جينا نظراتها بعيداً، ثم سألته: «ألا يعجبك؟»

ساد صمت قصير قال بعده برقة: «لا تستفزيني، يا جينا، إلا اذا كنت مستعدة لقبول النتائج.»

فجلست بسرعة على كرسي مواجه له، وبعد صمت قصير، قال بخشونة: «ما رأيك في مبنى صحيفة الانترناسيونال؟»

أجفلت وعادت تنظر إليه: «كيف علمت...» ولكن طبعاً، لا بد ان نيكول أوغسطين قد أخبرته. ولوى هو شفتيه مجيباً: «ان الانترناسيونال هي ملكي.»

فسألته ببرودة: «وهل نيكول أوغسطين ملكك هي أيضاً؟»

فقال: «انك تعلمين بأنهم يخبرونني بكل ما يجري في كل صحيفة أملكها.»

قالت: «نعم، أعلم هذا.» لم يخطر ببالها بأنه قد يعلم بزيارتها، ولكن طبعاً، لا بد أنه قد رتب لها ولروز تلك الزيارة إلى مكاتب الصحيفة في باريس، فما كان بمقدور نيكول أوغسطين إحضار الزوار إلى المبنى من دون إذن منه، وفرقة الأمن التي تحرس المبنى ربما كانوا اتصلوا بنيكولاس للحصول على إذن منه بذلك، وللتأكد من شخصيتهما.

أجابته ببطء وحذر: «كان المبنى بالغ الروعة، ولكنني لا أدري ما إذا كنت احب الهندسة العصرية، لقد شعرت بالغربة، فالروح الانسانية بدت لي بعيدة عن ذلك المكان... وكأنه مبني بشكل أرضي خالٍ من كل روح.»

«لا تكوني سخيفة، لو ان كل شخص اتخذ تلك الفكرة، لكنا ما نزال نعيش في الكهوف، لا يمكنك ان تقفي جامدة في مكانك، عليك ان تسيري إلى الأمام، ان تتطوري وتزدادي نمواً، فالهندسة العصرية هي تطوير لهندسة الماضي، فهي تتجاوب مع متطلبات العصر وحاجاته.»

فقالت جينا: «اعلم ذلك، فقد كنت سمعت بييت يتحدث عن ذلك، ولكنني مازلت لا احب البروج والمباني الضخمة التي تضم المكاتب.»

بانت القسوة على فم نيكولاس وهو يقول: «المشكلة مع الانكليز انهم يحبون العيش في الماضي، ولكن لا يمكن لأي منا أن يفعل ذلك، بأمان يا جينا.»

سألته ببرودة: «هل لكلامك هذا معنيان مختلفان؟»

التمعت عيناه: «إذا كنت فهمتهما، فهما إذن موجودان.»

«انني لا أعيش في الماضي، ولكنني أيضاً لا استطيع الإدعاء بأن الماضي لم يحدث، أو اتجاهله، فالماضي يشكل الحاضر، لذا يجب أن نحسب له حساباً.»

«هذا لا يمكن إنكاره، ولكن الانسان الميت لا يعود إلى الحياة يا جينا، ان زوجك ميت، ولكنك لست كذلك، حتى ولو كنت تعيشين بين جدران الذكريات في ذلك البيت الضخم الخالي والشبيه بالثكنة العسكرية، تقولين ان علينا ان نحسب حساب الماضي... وأنا اقول العكس، وان علينا ان نعيش لأجل المستقبل.»

قالت له بغضب: «إياك ان تدخل زوجي جايمس في هذا الموضوع، ان ما جعلنا عدوين هو ما فعلته انت، وهو لا علاقة له بجايمس.»

فقال بحدة: «ان كل ما تفعلينه له علاقة بزوجك الميت، فقد حولت حياتك كلها إلى نصب له، فلم يكن ثمة رجل غيره، فعشت في منزل مكرسة نفسك لجده وعمل الأسرة... ثم عندما هددت أنا بأن اقتحم الجدران التي بنيتها حول نفسك لكي تبتعدي عن بقية العالم، تملكك الذعر.»

قالت منكرة بغضب: «كل هذا كذب.» ونهضت واقفة. «انني لن أبقى هنا أستمع اليك وانت تفسر كل ما حدث وكأنه خطأ مني، انك من كان متعصباً للسيطرة إلى حد جعلك تحاول شراء أسهم فيليب وذلك لكي تملك السيطرة الكاملة على سنتنال، فلا عجب من ان تتهالك على قطع كل أواصر الماضي لكي تعيش في الحاضر، فبتلك الطريقة لا يكون عليك ان تواجه مسؤولية ما فعلت.»

استدارت لتخرج، ولكن نيكولاس اندفع خلفها بخطوة واسعة وأمسكها من كتفيها يديرها إليه لكي تواجهه.

فقالت له وهي تحاول إبعاده عنها: «أبعد يديك عني.»

«فقط اسمعيني، لقد كنت طلبت من فيليب ان يبيعني اسهمه، أولاً لأنني كنت اعلم انه بحاجة ماسة إلى المال، وكان يفكر في بيع أسهمه على كل حال، وهذا قد يعني بعض المشاكل لو انها وقعت في أيدٍ غير أمينة... وثانياً لأنك كنت اتهمتني بالرغبة في الزواج منك فقط لكي أصل إلى تلك الأسهم التي معك. فقد ظننت لغبائي، بأنني إذا امتلكت غالبية الأسهم، فستصدقين انني لم أعد بحاجة إلى أسهمك، وبالتالي لا يعود لديّ دوافع خفية نحوك.»

لكن الغضب منع جينا من الاستماع: «لا اظنك تنتظر مني حقاً ان اصدق كلمة مما تقول، فقد أدركت انني لا يمكن ان أثق بك يا نيكولاس، ولهذا لا تحاول ان تبيعني مجموعة أكاذيبك تلك، والآن دعني أخرج فلمسك لي يشعرني بالغثيان.»

شحب وجهه ثم اظلم، ثم التهب غضباً وهو ينظر إليها صامتاً.

وبعد لحظة طويلة تمتم يقول هامساً: «جينا، أواه يا جينا، كفى محاربة لي، ولنبدأ من جديد.»

الفصل التاسع

شعرت جينا بألم عنيف هو أشبه بنبحة قلبية، وتاقت إلى الإذعان ونسيان كل شيء ما عدا ما يسوقها اليه حبها، ولكن نيكولاس كان غدر بها مرة من قبل وعليها ان تتذكر يوماً انه قد يفعلها ثانياً.

وهمس مرة أخرى وشفتاه ترتجفان بنصف ابتسامة: «جينا...» فارتجفت لنبرات صوته، ولكن كان في رأسها اصوات أخرى، صدى الكلمات الأخيرة للسير جورج لها، واجفلت إزاء ذلك التحذير... تلك الذكريات المؤلمة.

انها لا تستطيع ان تثق به، ذلك ان نيكولاس رجل انتهازي وعنيف وطموح وقاسي... وقد استغلها من قبل، وسيستغلها مرة أخرى إذا رأى في ذلك مصلحة له.

«كلا.» قالت ذلك فرأت عينيه تحمران غضباً.

فتمتم يقول: «بل نعم.» ولكنها ما لبثت أن استدارت مولية نحو الباب تفتحه قبل ان يتمكن من الوصول اليها.

استدارت هيزل من حيث كانت تقف عند خزانة الملفات وبين يديها كومة مستندات، فتوقف نيكولاس غير قادر على استعمال القوة أو الإرغام بينما هيزل تنظر إليهما.

قال بصوت متوتر: «انني لم أنته من الحديث معك، يا سيدة تيريل.»

فقالت كاذبة: «ان لدي موعداً آخر، يا سيد كاسبيان.»

لم تنتظر منه أن يناقشها أو يحاول اقناعها، بل اجتازت

مكتب هيزل إلى حيث خرجت من الباب، ومن هنالك اخذت تركض نحو المصاعد حتى وصلت في الوقت المناسب لركوب إحداها والهبوط إلى الطابق الأرضي.

لم تعرف ما إذا كان نيكولاس، تبعها أم لا، وتنفست بارتياح عندما انغلق باب المصعد ثم هبط إلى أسفل، كانت ترتجف لشدة التوتر الذي تملكها في الدقائق الأخيرة، إلى متى تستطيع ان تحتمل هذا النوع من الضغط منه؟

ومن الطابق الأسفل أخذت تسير بعدم اتزان إلى الردهة الرخامية، ثم استدارت إلى ساحة بلازا حيث كانت أشعة الشمس تلتمع على رذاذ ماء النافورة الجديدة، وكانت حولها احواض من أزهار الربيع، مختلفة الأنواع ما بين النرجس والأقحوان وغير ذلك، لم تكن جينا تعلم حقاً إلى أين هي ذاهبة... فوقفت تنظر حولها مترددة، ثم دخلت إلى مقهى ترولي حيث طلبت فنجان قهوة ثم جلست إلى إحدى الموائد الصغيرة..

استغرق تمالكها لنفسها ربع ساعة، وفي الوقت الذي جاءت فيه صاحبة المقهى لتأخذ الفنجان الفارغ وتمسح المائدة، شعرت جينا بالقدرة على تبادل الحديث مع المرأة بشكل طبيعي تقريباً.

قالت لها المرأة: «هل استمتعت بالعطلة الأسبوعية؟ آه، هل سافرت إلى مكان بعيد؟ إلى باريس؟ ألم تذهبي إلى هناك من قبل؟ اما أنا فأذهب دوماً إلى إيطاليا لأزور اقاربي ليس لأنني احبهم، فأنا لا أطيق اكثرهم ولكن الدم أثقل من الماء، وماذا ستكسبين إذا أنت نسيت أقاربك.»

فسألتها جينا: «هل تذهبون جميعكم إلى ايطاليا؟» عالمة أن المرأة لديها العديد من الأبناء، واحد منهم يعمل هنا في المقهى الجديد، بينما يبدو ان الآخرين مشغولين بمطعمهم قرب جسر لندن.

هزت السيدة ترولي كتفيها: «إعتاد أولادي ان يأتوا معي، وما زال تونى يفعل ذلك مع زوجته والأولاد، ولكن زوجة روبرتو تريده دوماً ان يأخذها إلى فلوريدا أو تينيريف، أو أي مكان آخر... انني أقول له، من تعرف في فلوريدا، يا برتو...؟ ثم أين تقع تينيريف على كل حال، ان لديك عائلة في توسكاني، اعمامك وأخوالك وأولادهم وأنت تعرفهم وهم يعرفونك، كما ان الجو افضل كثيراً منه في فلوريدا...» وعبست قائلة لجينا: «ألم تذهبي إلى هناك قط؟ كلا؟ لا تذهبي إذن، فروبرتو يقول ان السير في الشارع هو أشبه بأخذ دوش ساخن، والرطوبة سيئة للغاية.. انها تقول ان هناك شواطىء كبيرة... وماذا في ذلك؟ أليس لدينا شواطىء في ايطاليا؟»

كان ذهن جينا قد تشتت فلم تسمع كل الحديث، وارتسمت على شفتيها ابتسامة خفيفة... لا بأس، فإن السيدة ترولي لا تهتم بما إذا كانت تستمتع اليها أم لا. فقد كان حديثها مع نفسها بقدر ما هو مع جينا. «هذه هي نتيجة الزواج من فتاة مثل ساندرا، انها سيدة منزل سيئة كما انها لا تنجب اطفالاً، يقول روبرتو انها ليست جاهزة بعد لإنشاء أسرة، ولكنهما متزوجان الآن منذ خمس سنوات ولم تظهر أية إشارة لذلك بعد. وما الذي نعرفه عنها، على كل حال؟ من هي؟ ومن أين جاءت؟ اننا

لم نتعرف قط إلى أسرتها، ولا اظن لديها أسرة، وفتاة من غير أسرة... حسناً، ماذا تتوقعين منها؟»

سكتت لحظة، وشعرت جينا بأن عليها ان تبدي بعض الاهتمام، فسألتها: «هل هي إيطالية؟»

فردت عليها المرأة بحدة وهي تكشر عن اسنانها الصفراء: «كلا، أبداً، انها انكليزية لندنية. لقد قلنا له انها غير مناسبة، فهي ليست من نوعنا، ولكنه لم يستمع إلينا... فهو عنيد دوماً، حتى انها لا تحسن الطهي.»

فقالت جينا: «هذا شيء مؤسف.»

نظرت إليها المرأة بفضول: «ان اسمك هو جينا، أليس كذلك؟ هل في عروقك دم إيطالي؟»

فأومأت جينا برأسها: «لقد ولدت والدتي هنا، ولكن أسرتها جاءت من ميلانو، ولكنني لم اذهب قط إلى إيطاليا... لا بد ان اذهب يوماً ما.»

فقالت المرأة: «انك ستعشقينها.» ودخل بعض الزبائن إلى المقهى، فذهبت المرأة لاستقبالهم، بينما وقفت جينا ثم خرجت عائدة إلى مكتبها.

عندما وصلت كان نيكولاس قد خرج، ما شعرت معه براحة كبرى إذ اصبح بإمكانها ان تدفن نفسها في قراءة الملاحظات التي كانت تتعلق بالمرشحين لوظيفة باريس، ثم تراجع رسائلهم بطلب الوظيفة تلك ثم اسباب تركهم اعمالهم السابقة.

وعندما انتهت، جلست تحدق في النافذة إلى هذا النهار الربيعي وقد قطبت حاجبيها، كان لديها شعور بأن نيكول أوغسطين هي افضل المرشحات لهذه الوظيفة، لقد كانت

اكبر سناً مما تبدو، فهي فوق الثلاثين، كما انها عملت في واشنطن وبون ولندن قبل ان تعود إلى باريس لتعمل في مؤسسة كاسبيان.

مسكينة روز، وتملك جينا الاكتئاب لأجلها. فمنافستها قوية متفوقة، ويبدو ان عليها ان تتذرع بالصبر إلى ان تكتسب الخبرة اللازمة في مهنتها. ولكن هذا لن يعجب روز، فهي فائقة الطموح. حتى انها قد تقرر الانتقال إلى مكان آخر آملة ان تحصل على ما تريد... وجينا لا تلومها على ذلك رغم انها ستفتقدها كثيراً إذا هي غادرت لندن، ذلك ان طريق المرء إذا كان مسدوداً من ناحية، فالأفضل ان يستدير إلى ناحية أخرى والتي قد تصل به إلى هدفه بشكل أسرع، لولا شعور جينا بالواجب نحو أسرة تيريل، لتركت هذا المكان، هي أيضاً، فهي متلهفة إلى الابتعاد عن لندن وعن نيكولاس، فالتعاسة تتملكها لاضطرارها إلى العمل معه مع عدم سماحها له بالإقتراب منها، ولو انه حرص على الابتعاد عنها، لكان في ذلك ما يكفي من العذاب لها، فكيف به وهو يقتنص كل فرصة تسنح له للتقرب منها والتودد إليها؟

فجأة، سمعت صوته في الممر يتحدث إلى فابيان أرنود رئيس التحرير، فتشنج جسمها وهي ترى نظرة الاهتمام السريعة في عيني هيزل، وإذ حاولت جينا التظاهر بالهدوء، رفعت سماعة الهاتف وأخذت تطلب رقماً وقد ارتجفت أصابعها قليلاً.

في الوقت الذي فتح نيكولاس فيه الباب داخلاً إلى الغرفة وفابيان في أثره، توقف الرنين من الخط الآخر للهاتف وجاء صوت يقول: «آلو.»

فقالت جينا: «فيليب؟ انا جينا...»

سرى الدفء في صوت فيليب: «مرحباً، يا جينا، كيف حالك؟ كيف كانت رحلتك إلى باريس؟»

أجابت شاعرة بأن عيني نيكولاس مصوبتان نحوها: «كانت رائعة، حتى انني لم أشأ العودة.»

«اعرف هذا الشعور. لا بد لنا من جلسة معاً والحديث عن باريس، فهي مدينتي المفضلة.» وضحك.

فقالت: «يسرني هذا جداً.» وأجفلت عندما مر نيكولاس بقربها متوجهاً إلى مكتبه يتبعه فابيان، مغلقين الباب خلفهما.

عند ذلك فقط، قالت جينا لفيليب بهدوء: «انني اتصل بك بالنسبة إلى اجتماع مجلس الإدارة القادم. انه سيكون في الساعة الثالثة فرأيت انك قد تفضل أن نتناول الغداء معاً أولاً.»

قال فيليب بشيء من الدهشة والسرور: «هذا يسرني جداً.»

فقالت هيزل، من خلف مكتبها بجفاء: «انك تعقدين حياتك.»

لم تجب جينا، لقد كانت اتصلت بفيليب مدفوعة بذعرها لدى سماعها صوت نيكولاس، ولكنها منذ عودتها من باريس، وهي تفكر في ان عليها حقاً ان تعود إلى العيش كسائر الناس، كما انها كانت تريد ان تعرف فيليب بشكل افضل إذ من الضروري ان يكونا صديقين، فهو ضروري بالنسبة إلى لعبة التوازن التي تزاولها بالنسبة إلى سنتنال.

كانت قد وصلت إلى قرارات أخرى تتعلق بحياتها

الخاصة، فقد كان المنزل كبيراً جداً بالنسبة إليها، فهي ستبيعه حتماً وتشتري منزلاً أصغر... شقة جيدة في مكان ما قرب حديقة ريجينت العامة على الأغلب، أو قرب عملها، وكان هذا يعني طبعاً ان عليها ان تصرف مديرة المنزل دفني وجون، ان بإمكانها مادياً ان تبقيهما، ولكنها لم تكن بحاجة إليهما معاً، بدوام كامل، ذلك ان بإمكانها ان تكتفي بامرأة للتنظيف بدوام جزئي، فهي غالباً ما تأكل خارج المنزل، كما انها ستقود سيارتها بنفسها بدلاً من ان يقودها جون.

انها ستتحدث معهما عن ذلك قريباً، ثم تشرح لهما الأمر برقة بالغة، فهما شخصان عاقلان كما ان السير جورج قد ترك لهما قسماً من الإرث، لم يكن ما تركه لهم ثروة كبيرة ولكنه كاف لتيسير حياتهما بعد التقاعد.

في هذه اللحظة رن جرس الهاتف فرفعت هيزل السماعة فاستمعت لحظة ثم قطبت حاجبيها: «نعم، سأصلك به، يا سنيور ديونيزيو.» قالت ذلك ثم اتصلت بنيكولاس: «ان لديك مخابرة يا سيد كاسبيان من السنيور ديونيزيو من روما.» وسمعت جينا صوت نيكولاس وهو يجيب، ثم حولت هيزل الخط إليه.

سألتها جينا: «من هو ذاك؟»

هزت هيزل كتفيها: «شخص من مكاتبه في روما، لقد اتصل به عدة مرات خلال اليومين الماضيين ويظهر ان ثمة بعض المشاكل عندهم في روما قد تؤدي إلى رفع دعوى امام المحكمة.»

كانت جينا تقرأ الصفحة الأولى من سنتنال وقد رفعت

حاجبيها: «يدهشني ألا يقيم ماكاي دعوى علينا لأجل هذه القصة، أعني دعوى قذف وتشهير.»

قالت هيزل ضاحكة: «إذا كانت صحيحة لا يمكنهم إقامة دعوى.»

«وإذا لم تكن صحيحة؟»

«انه إذن سيرفع دعوى.»

قالت جينا بشيء من العبوس: «حسناً، فلنأمل ان تكون صحيحة، إذن، لأنها إذا لم تكن كذلك فستكلف الصحيفة مبالغ باهظة تعويضاً، حتى وان كانت صحيحة كان عليهم ان يفكروا مرتين قبل المغامرة بنشرها، انني اعرف شيئاً واحداً وهو أن السير جورج لو كان موجوداً لما قبل قط بنشر تلك القصة، فقد كان شعاره (إذا كان هناك أي شك، فلا تنشر.»

قالت هيزل عابسة: «لا أدري صحف كاسبيان تشتغل بمثل هذه الشهامة والاحتياط وهذا هو السبب في ارتفاع مستوى البيع عندهم والأرباح الجزيلة. فهم ينشرون ما يظنون ان بإمكانهم ان يفلتوا منه دون عقاب، وغالباً ما ينجحون في ذلك.»

أعادت جينا قراءة القصة وقد قطبت جبينها: «أظنني سأثير هذا الموضوع في اجتماع مجلس الإدارة، اشعر ان علينا ألا نسيء إلى سمعة الناس بالتلميح والتعريض.»

«هذا لن يفيدك، فقد تشاجر نيكولاس مع ليو ماكاي... انني لا اعرف التفاصيل ولكن قيل لي انه كان مسروراً جداً بتلك القصة، عندما جئت، وقد أرسل عدة مراسلين ليروا ان كان بإمكانهم ان يجمعوا المزيد من القصص المشابهة.»

قالت جينا وهي تنظر باشمئزاز إلى الصفحة الأولى: «انت تمزحين دون شك.» وبينما عادت تقرأها رن جرس الهاتف مرة أخرى فالتقطت هيزل السماعة وابتدأت تقول: «المكتب الخاص للسيد كاسبيان...» وسكتت فجأة عندما هتف عبر الأسلاك صوت غاضب مرتفع وعندما سكت، قالت هيزل: «سأرى ان كان السيد كاسبيان موجوداً، يا سيد ماكاي، إبق على الخط من فضلك.»

أمسكت بالهاتف عدة لحظات، وهي تغمز بعينها لجينا عبر الغرفة، ثم عادت تقول بالهاتف بصوت بالغ الحلاوة: «آسفة يا سيد ماكاي، فالسيد كاسبيان غير موجود حالياً، هل يمكنك ان تترك له خبراً؟»

رد عليها الصوت الغاضب: «اخبريه انه إذا لم يشأ التحدث إليّ، فيمكنه التحدث إلى المحامي.» ثم اقفل الهاتف.

قالت هيزل لجينا ضاحكة وهي تضع السماعة: «عم كنا نتحدث؟»

«لماذا لم تخبري نيكولاس بأن الرجل كان على الخط؟»

«لقد تلقيت أمراً بألا احوله إليه مرة أخرى، فقد تحدث إليه عدة مرات هذا الصباح.»

فقالت جينا: «ولكنه سيرفع دعوى كما يبدو.» ثم نهضت واقفة وسارت إلى باب مكتب نيكولاس تقرعه.

صرخ من الداخل: «ماذا؟» فأجفلت، كان يخيفها عندما يكون حاد المزاج، ولكنها لم تتراجع، ففتحت الباب ثم نظرت إليه غاضبة: «اظن ان عليك ان تعلم، فقد جاءتك مخابرة للتو من السيد ماكاي... إنه يهدد برفع دعوى ضد الصحيفة...»

فتمتم عابساً بضيق: «فليفعل، أهذا كل ما تريدينه؟ ولاننا مشغولان بالتحدث عن شيء اكثر أهمية من ليو ماكاي، فهل لك من فضلك...»

ألقت جينا عليه نظرة متمردة وأوشكت على مناقشته، ولكن شيئاً أشبه بالتهديد بدا في عينيه جعلها تغير رأيها، فأغلقت الباب بهدوء ثم عادت إلى مكتبها حيث جلست تحدق لحظة في الفراغ، ثم عادت تقف مرة أخرى وهي تقول لهيزل: «أرجو ان يرغمه السيد ماكاي على دفع مبلغ باهظ، انني ذاهبة إلى الغداء ولا أدري متى أعود.»

فقالت هيزل ضاحكة: «هذا سيفيدك.»

بقيت جينا في الخارج عدة ساعات وعندما عادت، اكتشفت ان نيكولاس قد غادر لندن مرة أخرى، فجأة. قالت لها هيزل: «ذهب إلى روما، كنت أعلم ان ثمة مشاكل تتجمع هناك، وقد يغيب اسابيع.»

كان ما زال غائباً عندما عقد مجلس المحررين اجتماعاً لاختيار مراسل باريس، اكتشفت جينا، وقد تملكها الغضب والاستنكار ان نيكولاس قد أبطل الاجتماع وذلك بأن عين مراسل باريس دون أخذ رأيهم رغم انه كان بإمكانه أن يدعي بأنه اخذ رأيهم وذلك بجعلهم يوافقون على اختياره.

وجدت حين وصلت إلى مكان الاجتماع، ان فابيان أرنود قد انتظر إلى ان تكامل عدد الأفراد، ثم ألقى كلمة قصيرة شرح فيها الأمر، قائلاً بلطف: «ان متقدماً لهذه الوظيفة جاء اسمه متأخراً، سيضيف المزيد من الشهرة لصحيفتنا، وقد وافقت السيد كاسبيان على اننا لن نجد افضل منه.»

استقامت جينا في مقعدها وقد شحب وجهها غضباً، بعد كل تأكيد نيكولاس لها بأنه محايد بالنسبة لقرارات اللجنة، وبأنه لا يتدخل في شيء، اذا به يتجاوزهم جميعاً بما فعل، نظرت بسرعة حول مائدة الاجتماع لترى تأثير ذلك على المجتمعين، فرأت ان ما تشعر به من سخط ودهشة قد انعكس على عدة وجوه، باستثناء عدد كبير منهم، كان دانيال يجلس وعيناه على ملف امامه وقد بدت على ملامحه عدم الدهشة بشكل يدعو إلى الارتياب، وقطبت جينا حاجبيها. لم يكن فابيان، إذن هو الوحيد الذي كان يعلم ما حدث، ولا بد ان نيكولاس قد أفضى إليه بالخبر، هو أيضاً، ويبدو ان دانيال قد رضي بالتعيين الجديد وإلا لما بدا بهذا الهدوء.

في تلك اللحظة كان فابيان يقول: «وطبعاً، يترك السيد كاسبيان لنا القرار النهائي...» ورأت جينا فم دانيال يلتوي ساخراً.

«... ولكنني واثق من انكم جميعاً ستوافقونه على رأيه عندما اقول لكم انني اتحدث عن ديسموند إيميري.»

انهى فابيان حديثه بابتسامة انعكست على وجوههم جميعاً وقد سرت بينهم تمتمات الدهشة.

لم تستطع جينا ان تكبت شهقة دهشة. لم يخطر ببالها قط ان والد روز قد يتقدم لهذه الوظيفة. فقد كان مراسلاً من باريس لصحيفة سنتنال سنوات كثيرة إلى ان اختار ان يتقاعد. وكان السير جورج يحاول دوماً إقناعه بالعودة دون ان ينجح في ذلك... فلماذا يقبل الآن بالعودة إلى وظيفته؟

سألت: «هل تعلم ابنته بذلك؟» نظر اليها دانيال بحدة وقال قبل ان يجيبها فابيان: «لم تعلم بعد.» ولكن فابيان قال لجينا بلهجته الديبلوماسية وابتسامته الرقيقة: «لم نطلب من السيد إيميري الحضور لإجراء مقابلة، ولهذا فهو ليس في لندن بل في بارس الآن، وقد قرر ألا يبلغ ابنته بالأمر قبل ان يصل القرار النهائي، حيث ان اسمها هي أيضاً، على قائمة المتقدمين لهذه الوظيفة، شاعراً بأنه قد يقوض حظها في إجراء المقابلة.»

تمتمت جينا: «من الواضح ان هذا سيحدث، آه، مسكينة روز.»

قال فابيان: «لقد كان اسمها هي أيضاً، قد وضع في وقت متأخر، بطبيعة الحال.» التقت أعينهما، كانت عيناه رقيقتان باسمتان لا تعبران عن شيء.

حول فابيان عينيه عنها إلى بقية افراد اللجنة وهو ما زال يبتسم: «ان السيد كاسبيان يشعر بأننا نعلم كل ما نحتاج أن نعلمه عن مهنة ديسموند إيميري.»

ضحك أكثر المجتمعين وهم يومئون برؤوسهم، فقد اشرقت وجوههم منذ اللحظة التي ذكر فيها فابيان اسم ديسموند، كان واضحاً انهم قد يكونون قدا استاؤوا من تدخل نيكولاس في تعيينات المحررين، ولكنهم رحبوا بعودة ديسموند إيميري إليهم.

كان فابيان يتحدث بلطف والابتسامة لا تغادر شفتيه: «مقدرته لا تحتاج إلى برهان... فسجله يشهد بذلك... محترم للغاية... يتطاول مرتفعاً فوق كل اسم في قائمتنا، كما أرى.»

عادت جينا تفكر... مسكينة روز... كيف ستتقبل الأمر؟

هذا بينما تابع مجلس التعيينات انجاز الأوراق وكأن الأمر لم يستقر بعد متابعاً إجراء المقابلات لكل المرشحين، واعداً إياهم بإبلاغ القرار النهائي مكاتبة، وذلك في أقرب وقت، شعرت جينا ان المجتمعين في حالة اضطراب وعدم يقين... هل عليها ان تتجاهل التماس فابيان عدم اخبارها وتقوم هي بذلك لتعلمها بقرار اللجنة؟

عادت إلى البيت حيث تناولت الطعام بمفردها، وأمضت بقية المساء تحاول تشجيع نفسها على الاتصال بروز، ولكنها قررت اخيراً، في الفراش أن تنام وتخبرها بذلك مواجهة في اليوم التالي.

من ناحية أخرى، بقيت روز جاهلة قرار اللجنة، فذهبت إلى حفلة صاخبة كانت اقامتها فتاة من الهند الغربية تعمل سكرتيرة في قسم التحرير، وكانت فيليسيا هذه تسكن في شقة صغيرة في شمال لندن.

كان شقيق فيليسيا عازفاً في فرقة لموسيقى (الروك)، وقد احضر فرقته إلى الحفلة حيث اخذت تعزف طوال الوقت.

عادت إلى بيتها في الساعات الأولى من الصباح، فوجدت رسالة من والدها في جهاز الجواب في الهاتف، كان والدها في لندن مقيماً في فندق فخم، وقد دعاها لتناول الغداء معه.

كانت هناك رسائل من دانيال أيضاً، موجزة لا تكشف شيئاً، وقد بدا فيها فروغ الصبر إذ يسألها في الرسالة الثالثة في اتصاله الهاتفي: «هل تتجاهلين اتصالاتي الهاتفية؟ انني سأحضر اليك يا روز، اجيبيني هاتفياً تباً لك.»

أتراه نفذ تهديده؟ اخذت روز تتساءل بهذا وهي مستلقية في فراشها، تتثاءب إذا كان هذا فقد قام برحلة ضيع فيها وقته، وعلى كل حال، فلماذا هذا الاهتمام بالتحدث اليها؟

خطر في بالها انها ربما ظفرت بوظيفة باريس تلك، ففتحت عينيها على اتساعهما واخذت تحدق في السقف مستمتعة بأحلام اليقظة، ولكن للحظة قصيرة فقط نفت بعدها هذه الإمكانية لاستحالتها.

ذلك انها كانت رأت منافستها نيكول أوغسطين تنتظر مثلها دورها في المقابلة، فأدركت انها تقف ضد أناس موهوبين يفوقونها خبرة وحنكة.

قالت تحدث نفسها ببطء وهي تستدير مستسلمة للنوم: «ربما في وقت آخر.»

كانت قد تركت جهاز الإجابة في الهاتف مفتوحاً وبهذا لن يزعجها رنين الهاتف إذا ما اتصل بها أحد مرة أخرى، كما انها لم تربط المنبه، فهي ليست بحاجة إلى الاستيقاظ مبكرة، إذ ليس عليها ان تذهب إلى العمل في اليوم التالي، لم تستسلم للنوم إلا والساعة الثالثة صباحاً.

استيقظت عند الساعة العاشرة، فاغتسلت وارتدت ثيابها وصنعت لنفسها فنجان قهوة سوداء وكوب عصير برتقال، ثم خرجت للتسوق قبل ان تتحول ذاهبة إلى موعد الغداء مع والدها.

أثناء تناولهما الطعام أخبر ديسموند ابنته بما حصل، وهو يراقب ردة الفعل على ملامحها، بحذر وهو يقول: «لو كنت واثقاً من ان بإمكانك الحصول على هذه الوظيفة، لما قدمت طلباً للحصول عليها لنفسي.»

ردت عليه بابتسامة ملتوية: «اعرف ذلك، فقد وازنت الأمور فوجدت انني كنت طموحة اكثر مما يجب.»

قال والدها بحزم: «انك ستصلين، فقد اعطيت فابيان أرنود فكرة جيدة عنك، كما أعلم ان فكرة نيكولاس عنك جيدة للغاية، ويوماً ما، في المستقبل القريب، ستحصلين على مبتغاك.»

فقالت: «انك بلباقة، لم تأت على ذكر دانيال.»

أمعن والدها فيها النظر وهو يبتسم صامتاً، فاحمر وجهها: «انه يظن انني أصعد على اسمك.»

هز رأسه: «انك ودانيال دوماً لم تفهما بعضكما البعض.»

فتمتمت تقول: «ولن نفعل هذا أبداً.» ولأمر ما، شعرت بالخجل إزاء ما بدا على وجه والدها من سخرية وهزل، فأسرعت تقول: «انك لم تخبرني بعد عما دعاك إلى العودة إلى العمل، انك لست في عسر مالي، أليس كذلك يا والدي؟»

فانفجر ضاحكاً: «كلا، على الاطلاق، كلا، وإنما كنت قد ابتدأت أسأم من التقاعد، فأردت العودة إلى أوروبا لفترة من الزمن و، طبعاً، هناك إيرينا، فهي ستدخل جامعة السوربون لسنة أخرى. فأردت أن أمضي هذه السنة معها، ولكنني لم افكر في تقديم طلب لهذه الوظيفة إلى ان اتصل بي نيكولاس كاسبيان هاتفياً يطلب مني التفكير في ذلك...»

هتفت روز تقول: «إذن، فقد كانت تلك فكرته، كان يجب ان اعلم ذلك.»

فابتسم لها: «آه، انه رجل في منتهى الدهاء، اظن ان لديه اسباباً شخصية لإنهاء قضية وظيفة باريس بشكل مؤقت،

فهو لم يكن مسروراً إزاء كل الخيارات التي قدمت إليه، انني في الواقع، موظف بشكل مؤقت، وعندما أتوقف عن العمل، فسيتمكن نيكولاس من وضع شخص في هذه الوظيفة أصغر سناً مني بكثير.» ورفع فنجان قهوته يرشف منها. «ان امامك سنة تثبتين فيها ذاتك، يا روز، فلماذا لا تأتين وتمضين تلك السنة في باريس معي ومع إيرينا، فتتعرفين إليها بشكل افضل، وتعملين معي بصفة مساعدة، فتكتسبين خبرة عملية لتلك الوظيفة.»

حدقت فيه مجفلة: «هل أنت جاد؟»

«جاد تماماً، لا تعطيني الجواب الآن، فكري فيه أولاً.»

فكرت في ذلك بقية ذلك النهار، وكانت قد تركت والدها حال انتهاء الغداء، لكي يذهب لرؤية فابيان أرنود في باربري وارف، ثم ذهبت إلى بيتها حيث أخذت تقوم باعمال المنزل.

لم تتحدث مع والدها عن شؤون الوظيفة، الراتب، الساعات، المسؤولية، كانت تعلم ان والدها سيقوم بتغطية كل القصص المشوقة بنفسه، فهذه هي طبيعته، فقد كان يتغاضى عن شرح ما ستقوم به بالضبط، ولكنها اشتبهت في انها ستقوم لأجله بأعمال البحث والاستنباط للقصص والقيام بالمخابرات الهاتفية، والنظر في كتب المراجع، وهو يكتب القصة التي ستحمل اسمه، بينما تبقى هي، روز متوارية خلفه مجهولة لا يعرفها أحد، كانت هذه هي الناحية السلبية من ذلك، ولكن كانت هناك ناحية إيجابية، فقد كانت تعمل عنده متدربة، لقد سبق وعملت عند شخص آخر، ولكنها هذه المرة، ستكون في طريقها إلى الحصول على وظيفة

مراسلة باريس عندما يترك والدها العمل، ولكن هل هذا سيحدث؟ ماذا لو اعطوا تلك الوظيفة لنيكول أوغسطين؟ أو لشخص آخر مثلها؟

سيكون بإمكانها ان تكتشف كل ما يتعلق بشقيقتها إيرينا، أيضاً، بطبيعة الحال، إذ عليها ان تعرف المزيد عنها، وكيف يمكنها ذلك إذا لم ترها على الدوام؟ كان واضحاً ان والدها يريدها ان تأتي وتمضي بعض الوقت مع شقيقتها للمزيد من التعارف بينهما.

انهم سيؤلفون أسرة لمدة عام أو نحو ذلك. وتنهدت روز، حسناً، ولما لا؟ فالفكرة هذه مبهجة مثيرة.

كان والدها قد طلب منها ان تتناول العشاء معه، ذلك المساء، وذلك في مطعم بيير الفرنسي في ساحة بلازا في باربري وارف وهكذا اخذت تستعد لذلك منذ الساعة السادسة وكان والدها قد اخبرها بأنه كان ينوي دعوة اشخاص آخرين من موظفي الصحيفة، ولكن بما انه لم يوجه اليهم الدعوة بعد، فهو لم يذكر اسماءهم ما عدا قوله إنه يأمل ان يكون فابيان أرنود واحداً منهم، اذا كان خالياً من العمل.

كان المساء ربيعياً دافئاً وقد ابتدأ النهار يطول الآن وابتدأت الأشجار تزهر، كانت مياه النهر تتألق بالأضواء المنعكسة عليها والمختلفة الألوان وذلك من مصابيح الشارع وهي تنطلق في سيارة أجرة إلى باربري وارف بمحاذاة ضفاف النهر، وكانت هي قد جاءت مبكرة عن الموعد حاسبة حساباً لازدحام السير أو أي تعطل غير منتظر، وهكذا وصلت إلى باربري وارف مبكرة جداً.

وإذ شعرت بالضيق لذلك، اخذت تتمشى في ساحة بلازا حيث كانت النسائم منعشة دافئة مفعمة بشذا الأزهار قاصدة الحدائق على ضفاف النهر حيث احاطت بها الحمائم، ملتمسة طعاماً لم تكن روز بإمكانها ان تمنحه.

وإذا بصوت خطوات واسعة خلفها يجعلها تتشبث في مكانها ثم تلتفت بسرعة وقد بان التيقظ في عينيها.

سألها دانيال بصوت خشن غاضب: «لماذا لم تجيبي على اتصالاتي الهاتفية؟»

ردت عليه بحدة: «كنت مشغولة، ماذا كنت تريد، على كل حال؟ هل لتخبرني بأن والدي حصل على تلك الوظيفة؟ لقد اخبرني بذلك بنفسه، فقد تغدينا معاً.»

ضاقت عينا دانيال وهو ينظر اليها متفحصاً محاولاً ان يرى تأثير ردة الفعل لذلك في نفسها إزاء هذا الخبر، ثم قال: «انني آسف إذا كنت أصبت بخيبة الأمل، ولكنني واثق من انك أدركت انه لم يكن لنا خيار في الأمر... ذلك ان والدك متفوق بشكل بالغ على أي من المرشحين للوظيفة.»

«ليس عليك ان تحاول التخفيف عني، فأنا أحب والدي كثيراً واعرف أي مراسل هو، ولكن لماذا استمررتم بإجراء المقابلات لنا بعد إقرار الأمر؟ لقد جعلتنا ندخل إلى حيث تجرى لنا المقابلات بينما كنتم قد سبق ووافقتم على قرار نيكولاس بتعيين والدي. لقد ضيعتم وقتكم ووقتنا، لماذا لم تخرج وتحدثنا بصراحة، لماذا لم تقل لنا انكم عينتم والدي في الوظيفة وان علينا أن نعود إلى بيوتنا؟»

سألها: «اتظنين ان هذا كان أفضل؟ ألا نكتفي بعدم إجراء المقابلات لهم، بل نطردهم بكلمات قليلة؟ ان في هذا

منتهى الإحراج وانعدام التهذيب أيضاً، كما ان عملنا هذا ليس مجرد تمثيل، فقد حصلتم على فرصة عرض مؤهلاتكم... وأنا واثق من أنه في المرة القادمة ستكون وظيفة أي مراسل اجنبي تحصل، هي من نصيب واحد منكم.»

فقالت ببرودة: «انك تعني انها ستكون نصيب نيكول أوغسطين.»

نظر اليها بعينين شبه مغمضتين وقد لوى شفتيه: «انه لم يضر عملها بشيء ان تقف في الصف انتظاراً لحصولها على تلك الوظيفة حتى ولو لم تحصل عليها، فقد قرر نيكولاس بأن يحضرها إلى لندن لكي تعمل في سنتنال لمدة سنة.»

شعرت روز بطعنة في قلبها، ها ان نيكول آتية إلى لندن، وستعمل مع دانيال حيث تراه طوال الوقت، في العمل وخارجه، وابتدأت الغيرة تأكلها. وخافت من ان يرى ذلك في ملامحها فاستدرات عائدة إلى بلازا وهي تقول من فوق كتفها: «اننا إذن سنتبادل أماكننا.» قالت ذلك وقد قررت أمرها في تلك اللحظة.

أمسك دانيال بذراعها وجذبها يديرها إليه وهو يحملق فيها قائلاً: «ماذا قلت؟ ما الذي تتحدثين عنه؟»

شعرت بفمها يجف، ولكنها تمتمت تقول: «لقد دعاني والدي للالتحاق به في باريس لمدة عام.»

فصرخ فيها: «انك لن تذهبي.»

فقالت بمرارة: «بل سأذهب، ولو لأخلص منك.»

شدد قبضته على ذراعها وهو يهزها بغضب بالغ: «انك

لن تخلصي مني أبداً، يا روز، حتى ولو ذهبت إلى آخر الدنيا.»

توقفت انفاسها واخذت تحدّق في عينيه السوداوين المتألقتين وقد التهبتا غضباً، وإلى المشاعر التي كانت تحترق في اعماقهما، لم تستطع ان تصدق ما تراه. وأخذ قلبها يخفق سرعة حتى شعرت بالدوار، ثم همس قائلاً بصوت مثقل بالعاطفة: «لقد طال انتظاري لك... آواه، يا روز. لقد انتظرت سنوات ما كان اطولها.»

كانت الآن ترتجف ولا تستطيع الكلام أو الحركة.

وعاد يهمس: «كفى هرباً، واجهي الأمر الواقع، يا روز، انني لن اتوقف عن الانتظار والمحاولة... فأنا، كالموت وضريبة الدخل، لا يمكن اجتنابي، وانت ملكي منذ سنين حتى ولو لم تعترفي بذلك.»

كانت عيناها متسعتين داكنتين ويداها باردتين... لم تستطع ان تصدق ما تسمع.

ثم قالت بصوت أجش: «لقد بقيت سنوات تسخر مني...»

فتأوه قائلاً: «كنت أريد ان اعترف لك بحبي ولكنك كنت صغيرة جداً، ولهذا كنت أحاول ان افعل ذلك لأبقيك بعيدة عني بعض الشيء.»

نظرت في عينيه متفحصة وقد ازداد خفقان قلبها: «وماذا عن تلك النساء اللاتي عرفتهن طوال تلك السنوات؟»

لقد ظهرت غيرتها الآن واحتد صوتها. «وماذا بالنسبة إلى نيكول؟»

هز كتفيه بعدم اكتراث، وقد بدا على وجهه فروغ الصبر: «لو ان أية واحدة كانت تعني شيئاً بالنسبة إليّ، لتزوجتها،

ولكن هذا لم يحصل، أليس كذلك؟ كنت اخرج معهن، ولكن علاقاتنا لم تكن جادة قط، كنت فقط انتظرك ان تكبري وتكفّي عن محاولة ان تكوني نسخة كربونية عن والدك.»

فسألته: «أتراك بهذا الكلام لا تريد سوى منعي من الالتحاق بوالدي في باريس؟»

قال وهو يتنهد طويلاً: «أنا لا أريدك ان تذهبي.»

نظرت اليه غير واثقة، متمنية لو ان بإمكانها ان تصدق انه يعني كل ما يقول، خائفة من ان يتبدد الوهم مرة أخرى.

«لقد كنت تستاء مني وتغضب على الدوام، كنت تظنني استغل وضعي بصفتي ابنة ديسموند.»

فقال بخشونة: «كنت أغار من حبك لوالدك... وكنت أريدك ان تحبيني، كما كنت خائفاً عليك، فأنا اعرف مبلغ خطورة حياة المراسل الأجنبي، وان لم يكن خطراً ظاهراً، هناك الحروب وخطر الخطف أو المهاجمة، في كثير من هذه الأماكن يمكنك ان تصابي بعدوى أمراض خطيرة، مهما كنت حذرة، لم أكن اريدك ان تواجهي كل تلك الأخطار.»

فقالت: «انها هي الحياة التي أريدها.» رأته يغمض عينيه، وشعرت بجسمه يرتجف وهو يتمتم قائلاً: «وانت هي الحياة التي أريدها.»

تمنت لو تثق بما يقول، كانت خائفة من ان تصدق كلامه... من الثقة به خوفاً من ان يقوم بلعبة أخرى يسخر بها منها فيعرضها للشعور بالتعاسة مرة أخرى، فتح عينيه ونظر اليها بمحبة بالغة: «روز، إذا كنت حقاً تريدين ذلك العمل، فيجب ان تحصلي عليه، لقد كان لديّ شغف بالتجوال لمدة [illegible]، وأنا أدرك ان عليك ان ترضي رغبتك تلك... ولكن

ماذا سأفعل من دونك؟ فقد طال شعوري بالإحباط بسببك، ولا استطيع التحمل اكثر من ذلك، انني احبك، يا روز، وأريدك.»

لم تستطع ان تنطق بحرف، فقد شحب وجهها واتسعت عيناها، وكان دانيال يراقبها، منتظراً بعض التجاوب ثم انفجر يقول: «ألا تعلمين ان كلانا هو للآخر، واننا دوماً كنا كذلك، وسنبقى على الدوام؟ ألا تشعرين بهذا؟»

نعم، ان بإمكانها ان تشعر به، فقد كان هذا شعورها على الدوام، حتى عندما كانا يتشاجران بكل مرارة.

عاد يقول: «لا شيء يسعدني اكثر من وجودي معك، منذ كنت فتاة صغيرة في المدرسة، كنت اعلم انك لي، وكنت واثقاً من انني الرجل الذي ستحبينه..»

همست شاعرة بقلبها يذوب: «أواه، يا دانيال...» نظر إليها متأوهاً، هو أيضاً بينما عادت هي تهمس: «دانيال... آه يا دانيال، كم أحبك... أحبك...»

وزعق نورس فوق رأسيهما فأجفلا، نظر دانيال إليها وقد نطقت عيناه بحب عنيف: «لقد طال انتظاري لك، يا روز.»

«ولماذا انتظرت كل ذلك الوقت؟ لماذا لم تخبرني بحبك منذ سنوات؟»

«لقد استغرق نضوجك زمناً طويلاً، يا حبيبتي، لقد كنت مصممة تماماً على أن تكوني نسخة أخرى من ديسموند إيميري، ما جعلك ترفضين خلاف ذلك، وانك شيء أكثر منه أضمية.»

«وما هو ذاك؟»

فقال بصوت عميق: «انك تمثلين ذاتك، فأنت صحافية جيدة، يا روز، وأنا أعتقد انك ستصبحين افضل مما انت، ولكنني لا اظنك فكرت قط في مواهبك الخاصة، وأيها اقوى لديك، وإنما اتبعت فقط خطوات والدك وبكل إيمان.»

قطبت جبينها وهي تدرك ان في ما يقوله بعض الحقيقة: «انني ما زلت أحب وظيفة مراسلة أجنبية يا دانيال، فقد وجهت كل طاقاتي لذلك.»

أوماً قائلاً: «أعلم ذلك، ولكن انظري إلى نفسك بقسوة وتجرد، يا روز، فكري بما قلته لك.» نظر اليها طويلاً، ثم قال: «روز... تعالي معي إلى البيت.»

«ولكنني مدعوة إلى العشاء مع والدي...»

فقال: «وكذلك أنا، انه دعا معنا نصف دزينة من الأشخاص، فلن يفتقدنا، اننا سنترك له خبراً في مطعم بيير، فإذا نحن أسرعنا فسنتوارى قبل أن يأتي أحد منهم ويرانا.»

لكن بينما هما يسرعان بعبور ساحة بلازا، اذا بهما وجهاً لوجه مع والدها الذي نظر اليهما وقد بدا الهزل في عينيه.

احمر وجه روز، بينما ضحك دانيال له: «آسف، يا ديسموند، لن نستطيع القدوم للعشاء معك.»

فقال ببشاشة: «لا بأس.»

أضاف دانيال قائلاً بحزم: «كما ان روز لن تذهب إلى باريس، هي أيضاً، مع الأسف.»

لو كان هذا حدث قبل ساعة، لقالت له روز، وقد تملكها الغيظ، انها لا تريده أن يقرر أمورها الخاصة بنفسه، انما الآن كل ما فعلته هو انها ابتسمت لوالدها بخجل وهي تقول:

«انني آسفة، يا والدي. وشكراً لدعوتك لي للذهاب معك، ن ان آتي كثيراً لرؤيتكما أنت وإيرينا في باريس، ولكنني سأبقى في لندن مع دانيال.»

لمعت عينا دانيال بنظرة الفوز ما جعل ديسموند يقول مقلباً شفتيه: «لا بأس، يا روز... إذهبي معه مع مباركتي لكما سلفاً بالخطوبة، لقد تأخرتما طويلاً لكي تصلا إلى هذا القرار، ولكنني كنت اعلم دوماً انكما ستتزوجان، يوماً ما.»

لم يكن هناك شيء جديد على ديسموند إيميري.

تمت

www.elromancia.com